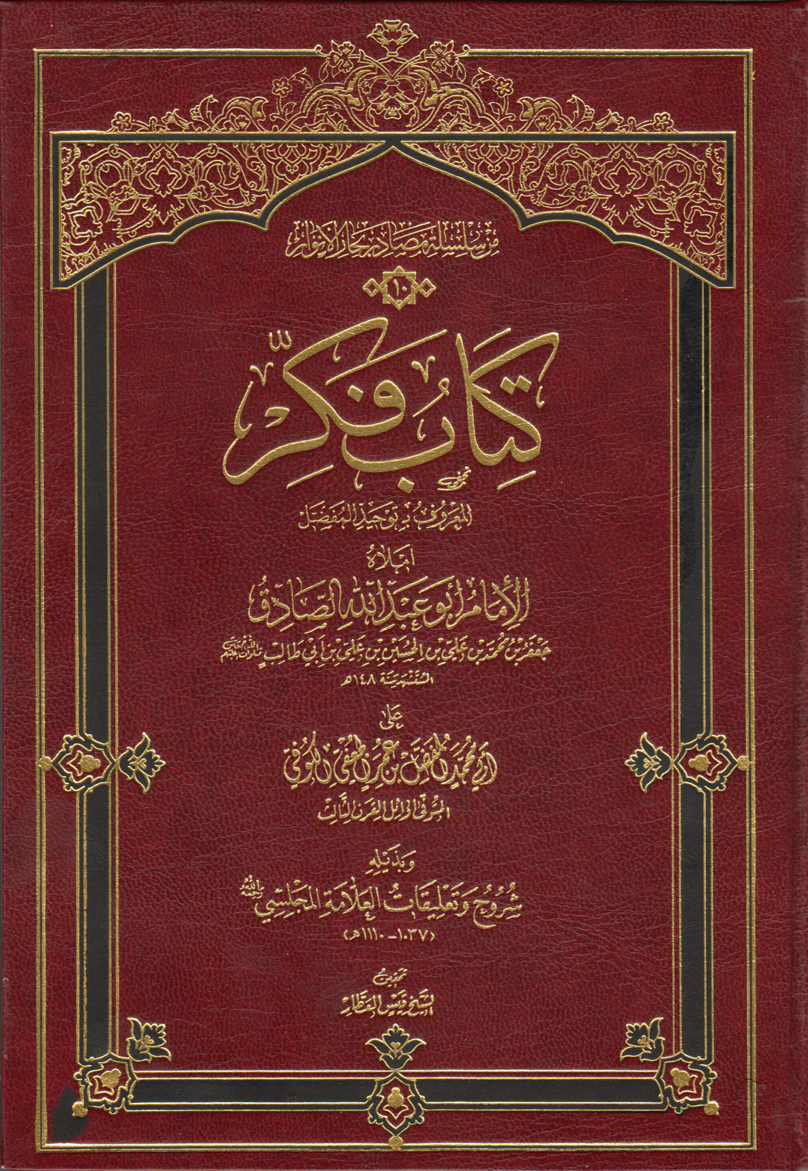


من سلسلة مصادر بحار الأنوار
(١٠)
كتاب فكر
المعروف بتوحيد المفضل
إملاء
الإمام أبو عبد الله الصادق
جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب صلوات الله عليهم
المستشهد سنة ١٤٨ هـ
على
أبي محمد المفضل بن عمر الجعفي الكوفي
المتوفى أوائل القرن الثالث
وبذيله
شروح وتعليقات العلامة المجلسي رحمه الله
(١٠٣٧ - ١١١٠ هـ)
تحقيق
الشيخ قيس العطار



إجازتان من العلّامة محمّد باقر المجلسي رحمه ا... بخطّه الشريف
لحبيب اللّه بن حسن علي الإصفهاني على ظهر نسختين
من كتاب((بحار الانوار)) في مكتبة آية ا... المرعشي رحمه ا... بقم - رقم ٥٧٨
و هامش صفحة من المجلّد السادس من الكتاب المذكور
عند الميرزا نصر ا... الشبستري بطهران


بسم الله الرحمن الرحيم


شبكة الفكر
alfeker.net


يا علي يا فاطمة

من سلسلة مصادر بحار الأنوار

(١٠)



المعروف بـ توحيد المفضل

أملاه

الإمام أبو عبد الله الصادق

جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب صلوات الله عليهم أجمعين

المستشهد سنة ١٤٨ هـ

على

أبي محمد المفضل بن عمر الجعفي الكوفي

المتوفى أوائل القرن الثالث

وبذيله

شروح وتعليقات العلامة المجلسي رحمه الله

(١٠٣٧ - ١١١٠ هـ)

تحقيق

الشيخ قيس العطار

مكتبة العلامة المجلسي رحمه الله

▼
كتاب فِكْرٌ المعروف بـ توحيد المفضّل

المفضّل بن عمر الجعفي

تحقيق: قيس العطار

منشورات دليل‌ما

الطبعة الأولى: ۱۴۲۷ هـ ق ـ ۱۳۸۵ هـ.ش.

طبع في ۲۰۰۰ نسخة

المطبعة: نگارش

السعر مُجلّداً ۱۰۰۰۰ توماناً

ردمك: ISBN ۹۶۴ـ۳۹۷ـ۲۰۹ـ۷

ایران، قم، شارع معلم، بناية الناشرين، الطابق السادس، رقم ۶۱۳ - ۶۱۲

هاتف و فكس: ۳۷۷۴۴۹۸۸، ۳۷۷۳۳۴۱۳ (۹۸۲۵+)

صندوق البريد: ۱۱۵۳ـ ۳۷۱۳۵

www.Dalilema.ir

Dalilema@yahoo.com

منشورات دليل‌ما

مراكــز التوزيع

١) قم، شارع معلم، بناية الناشرين، الطابق الأرضي، رقم ٩، منشورات دليل ما، الهاتف ٣٧٨٤٢٤٦٦

٢) قم، شارع صفائيه، مقابل زقاق رقم ٣٨، منشورات دليل‌ما، الهاتف ٣٧٧٣٧٠١١ ـ ٣٧٧٣٧٠٠١

٣) طهران، شارع إنقلاب، شارع الفخر الرازي، رقم ٦١، الهاتف ٦٦٤٦٤١٤١

٤) مشهد، شارع الشهداء، شمالي حديقة نادري، زقاق خوراكيان، بناية گنجينة الكتاب، الطابق الأول، منشورات دليل‌ما، الهاتف ٥ ـ ٢٢٣٧١١٣

٥) النجف الأشرف، سوق الحويش، مقابل جامع الهندي، مكتبة الامام باقر العلوم عليه السلام، الهاتف ٠٧٨٠١٢٦٣٥٧٩

٦) كربلاء المقدسة، شارع قبلة الإمام الحسين عليه السلام، مكتبة ابن فهد الحلي رحمه الله، الهاتف ٠٧٨٠١٥٨٨٧٠٧ - ٠٧٨٠١٥٥٨٩٤٢

مفضّل بن عمر، قرن ۲ ق

[توحید مفضّل]

کتاب فکْر المعروف بـ توحید المفضّل / المفضّل بن عمر الجعفي: تحقیق قیس العطار. ـ قم: دلیل‌ما، ۱۳۸۵.

۲۳۰ ص.

ISBN 964 - 397 - 209 - 7

فهرستنویسی بر اساس اطلاعات فیپا.

مطالب این کتاب را حضرت امام صادق علیه السلام بر مفضل املاء نموده، است.

۱. خدا ـ اثبات. ۲. خداشناسی. الف. جعفر بن محمد علیه السلام، امام ششم، ۸۰ـ۱۴۸ ق. ب. عطار، قیس، محقق. ج. عنوان. د. عنوان: توحید المفضل.

BP ۲۱۷ / ۲ / ۹ت ۷م ۱۳۸۵ — ۲۹۷ / ۴۲

کتابخانه ملی ایران — م۸۵ـ۱۸۵۹۸

الاهداء

وَفّـــــقني اللهُ لإتمـــامِهِ مُحـــقَّقاً بشَكـــلِهِ الرائِـــقِ

و حـــينما أُكـمِلَ أَهـديتُهُ إلى إمامي جَعفرِ الصادقِ

قيس العطار

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمدُ للّه ربّ العالمين، و الصلاة على سيّدنا محمّد و آله الطيبين الطاهرين، واللعنة الدائمة على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين.

و بعد، فإنّ أشرف العلوم قدراً و أرفعا شأناً و خطراً هو العلم بالمعارف الإلهية والأصول الاعتقادية، و هو الذي يتكفّل به علم الكلام، و هذا العلم هو أشرف العلوم؛ لأنّ شرف العلم بشرف المعلوم، و معلومُ العلمِ الإلهيّ هو أشرف الموجودات، فكان هو أشرف العلوم.

و قد صدع الأنبياء الكرام و بلّغوا و حاججوا بأخصر الطرق و أوضحها وأدقّها، فأَسَّسوا أُسُس علم الكلام منذ بدء الخليقة، فكان احتجاج هابيل على قابيل، واحتجاج نوح عليه السلام على قومه، و إبراهيم عليه السلام على عَبدة النُّجوم، و موسى عليه السلام على السَّحَرة، و عيسى عليه السلام على أهل الطبّ، و رسول الله محمّد صلى الله عليه وآله على الكفّار و المشركين و المنافقين و أدباء العرب و غيرهم، فكان الأنبياء عليهم السلام هم أصحاب الحجج

الواضحة و الأدلة الدامغة ﴿فللّه الحجة البالغة﴾[١].

و حين انتشر الإسلام ـ كثمرة طيّبة لجهود الرسالات و النبوّات، و كنتاج طبيعيّ لمنطق الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله و جهوده و مجادلاته لمختلف المشارب و المسارب بالتي هي أحسن ـ أخذت الأمم تعتنق الدين الجديد و تفكّر بالمنطق الإلهيّ طبق المعطيات الجديدة، و كان النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله يزيح كلّ الشّكوك و الشُّبهات الطارئة، وكلّ ما لعلّه ينقدح في أذهان معتنقي الدين الجديد، ناهيك عن محاجاجاته للكفّار واليهود والنّصارى.

و كانت مسألة التوحيد من أهمّ ـ بل أهمّ ـ ما يجري حوله البحث و النقاش والمُسائَلَة، فلذلك نزلت سورة الإخلاص في التوحيد، و لذلك سُمِّيت هذه السورةُ المباركة نِسْبَةَ الرَّبِّ.

فعن الإمام الصادق عليه السلام: إنّ اليهود سألوا رسول الله صلى الله عليه وآله فقالوا: انسب لنا ربك، فلبث ثلاثاً لا يجيبهم، ثمّ نزلت «قل هو الله أحد»[٢] ...

قال المازندراني: و فيها من جوامع التوحيد ما تعجز عنه عقول العارفين، و من لوامع التنزيه ما يتحير فيه فحول السالكين، فقد كتب العلماء و دوّن الفضلاء شيئاً جميلاً من حقائقها، و أمراً جزيلاً من دقائقها، و لم يجدوا مع ذلك معشار ما فيها، فمن تمسّك بها و تفكّر فيها فقد رشد، و من أعرض عنها و قال بخلافها فهلك و قد فسد[٣].

---

(١) الأنعام: ١٤٩.

(٢) الكافي ١: ٩١ / ح ١، التوحيد للصدوق: ٩٣ / ح ٨.

(٣) شرح أصول الكافي ٣: ١٣٧.

و عنهعليه السلام: «قل هو الله أحد» نسبة الربّ عزوجل[١].

و عنهعليه السلام: لمّا نزلت «قل هو الله أحد» خلق الله لها أربعة الآف جناح، فما كانت تمرّ بملأ من الملائكة إلّا خشعوا لها و قالوا: هذه نسبة الربّ تبارك و تعالى[٢].

و روى الكليني بسنده عن عبدالعزيز بن المهتدي، قال: سألت الرضاعليه السلام عن التوحيد، فقالعليه السلام: كلّ من قرأ «قل هو الله أحد» و آمَنَ بها فقد عرف التوحيد[٣].

فكان التّوحيدُ عمدةَ مسائل علم الكلام التي أكّد عليها الله عزوجل ورسولهصلى الله عليه وآله، و كانت كلمة «لا إله إلّا الله» الكلمة الأولى التي صدع بها الرسول وكانت تحوي جوامع الكلم و كلّ التوحيد لمن فهمها[٤].

و بعد وفاة رسول اللهصلى الله عليه وآله و توثّب الغاصبين على أكتاف آل محمّدعليهم السلام راح أميرالمؤمنين و فاطمة الزهراءعليهما السلام يفتّقان أكمام أصول علم الكلام و يبيّنان للبشرية معنى الدّليل و معنى الحجّة و معنى الحقّ المهتضم، تلك الأُصول التي ظلت إلى اليوم قمماً شامخة ترتادها الأجيال طيلة العصور، رغم حرص الحكومات الظالمة وقياداتها اللاشرعية على طمس معالمها و تضييع آثارها و مآثرها.

و لمّا استتبت لهم الأمور، و أخذت تتوسّع الفتوحات بلا نظام فكريّ متين، وتوافدت الأُمم لاعتناق الإسلام أكثر فأكثر، بانَ العجز الفكري بشكل فاضح عند

---

(١) الفقيه ١: ٤٧٠ /ح ١٣٥٣، التهذيب ٢: ١١٦ /ح ٤٣٧.

(٢) الخرائج و الجرائح ٢: ٦٨٦ /ح ٦.

(٣) الكافي ١: ٩١ /ح ٤.

(٤) و لذلك قال الإمام الرضاعليه السلام: بشروطها و أنا من شروطها، بعد أن روى عن جده رسول اللهصلى الله عليه وآله، عن جبرئيلعليه السلام، عن الله عزوجل: كلمة لا إله إلّا الله حصني فمن دخل حصني أمن من عذابي.

الشيخين، خصوصاً في مناظراتهم لليهود و النصارى و من كانت في أذهانهم شبهات يريدون لها حلولاً، حتّى كان الصحابة يضطرّون للاستنجاد بعلم أميرالمؤمنين عليه السلام للحفاظ على وجه الإسلام الناصع، و لحلّ ما يستعصي عليهم من مبهمات الأمور، حتّى اضطرّ عمر للاعتراف بهذه الحقيقة المرّة على قلبه قائلاً «لو لا عليٌّ لهلك عمر» و «لولاك لهلكنا» و «معضلة ليس لها أبو الحسن».

و هكذا كان الحكم السياسي بيد الغاصبين، و مجرى التاريخ العلمي بيد أميرالمؤمنين عليه السلام، الذي كان و ما يزال و سيبقى تتجاذبه كلُّ المدارس العلمية محاولةً التقرّب إليه و التزلّف إلى مدرسته العظمى، خصوصاً بعد أن بانت ملكاته الإلهيّة و تجلّت حتى لمن جهلوه و أبغضوه عند استلامه أزمّة الخلافة الفعلية، و طار صيته في الآفاق حتّى كان اليهود و النصارى و المنافقون و الطارئون يعتقدون أنّه الملجأ الوحيد و النّدّ الفريد في المساجلات العلمية، و خصوصاً في علم التوحيد الذي هو أشرف العلوم و أعقدها.

فقد اجتمعت اليهود إلى رأس الجالوت فقالوا: إنّ هذا الرّجل عالمٌ ـ يعنون علي ابن أبي طالب عليه السلام ـ فانطلِقْ بنا إليه نسأله، فأتوه ... فقال له رأس الجالوت: يا أميرالمؤمنين، جئنا نسألك، قال عليه السلام: سل يا يهودي عمّا بدا لك، قال: أسألك عن ربّنا متى كان؟ فقال عليه السلام: كان بلاكينونة، كان لم يزل بلا كَمٍّ و لا كيفٍ، كان ليس له قبل، هو القبل، هو بلا قبل و لا غاية و لا منتهى غاية و لا غاية إليها، انقطعت عنه الغايات فهو غاية كُلّ غاية[1] ...

و من خطبة له عليه السلام في التوحيد ـ قال في حقّها الشريف الرضي أنّها تجمع من

---

(١) المحاسن للبرقي ١: ٢٤٠ / ح ٢١٨.

أصول العلم مالا تجمعه خطبة ـ : ما وحّده من كيّفَهُ، و لا حقيقتَهُ أصابَ من مثَّلَه، ولا إيّاه عنى من شَبَّهه، و لا صمَّدَهُ من أشار إليه و توهّمه، كـلُّ مـعروفٍ بـنفسه مصنوعٌ، و كلُّ قائمٍ في سواه معلولٌ ... لا يجري عليه السُّكونُ و الحركة، و كـيف يجري عليه ما هو أجراه، و يعود فيه ما هو أبداه، و يحدث فيه ما هو أحدثه، إذاً لتفاوتت ذاته، و لتجزّأ كُنهُهُ، و لا متنع من الأَزَل معناه، و لكان له وراءٌ إذ وُجِدَ له أَمامٌ، و لا لتمس التمام إذ لزمه النُّقصانُ، و إذاً لقامت آية المصنوع فيه، و لتحوّل دليلاً بعد أن كان مدلولاً عـليه ... و لا يـوصف بـشيءٍ مـن الأَجـزاء و لا بـالجوارح والأعضاء، و لا بعرَضٍ من الأعراض، و لا بالغيريّة و الأبعاض، و لا يقال له حدّ ولا نهاية، و لا انقطاع و لا غاية[١] ...

و من خطبة له عليه السلام أيضاً: الحمد للّه الدّالّ على وجوده بخلقه، و بمحدث خلقه على أزليّته، و باشتباههم على أن لا شبه له، لا تستلمه المشاعر، و لا تحجبه السواتر: لافتراق الصانع و المصنوع، و الحادّ و المحدود، و الربّ والمربوب، الأحد لا بتأويل عدد، و الخالق لا بمعنى حركَةٍ و نَصَب ... مَن وصفه فقد حَدَّهُ، و من حَدَّهُ فقد عَدَّهُ، و من عدَّهُ فقد أبطل أَزَلَهُ، و من قال: كيف؟ فقد استوصفه، و من قال: أين؟ فقد حيّزه[٢] ...

و لو أردنا استقصاء عُشر معشار كلمات أَميرالمؤمنين عليه السلام في التوحيد لاحـتجنا إلى جهد جهيد، لكن يكفينا قول الشريف الرضي في مقدّمة نهج البلاغة: و رأيت من بعد تسمية هذا الكتاب بـ«نهج البلاغة»، إذ كان يفتح للناظر فيه أبوابَها، ويُقرِّب

---

(١) نهج البلاغة ٢: ١١٩ ـ ١٢٥ / الخطبة ١٨٦.

(٢) نهج البلاغة ٢: ٣٩ / الخطبة ١٥٢.

عليه طِلابها، فيه حاجة العالم و المتعلّم، و بُغيةُ البليغ و الزاهد، و يمضي في أثنائه من الكلام في التوحيد و العدل و تنزيه الله سبحانه و تعالى عن شَبَه الخَلْقِ، ما هو بَلالُ كُلِّ غلّة و جلاء كلّ شبهة[١].

و تابَعَ الإمامان الحَسَنان عليهما السلام نهج الأنبياء و نهج جدّهما رسول الله صلى الله عليه وآله و أبيهما أميرالمؤمنين عليه السلام، فأرشدا التائهين، و هديا الضّالّين، و أكّدا على تبيين مفاهيم التوحيد و دقائق مسائله، و حَسْبُ المرء أن يقرأ مناجاة الإمام الحسين عليه السلام لربّه قبيل شهادته بلحظات ليقف على معاني التوحيد و مغازيه و مراميه[٢].

و بعد استتباب الأمور لمعاوية و الأمويين و من بعدهم للعباسيين كان الشكّ والكفر و الإلحاد و الزَّندقة و المانوية و و و .. كلّها تزحف زحفاً و تدبّ دبيباً وتنخر في جسم الأمّة الإسلامية، فظهر التشبيه و التجسيم و الجبر و غير ذلك من الأفكار المريضة، و استفحل الأمر و تطوّر بشكل كبير في العصر العبّاسي، فتعدّدت المذاهب العقلية و الفلسفية في القرنين الثاني و الثالث، فلذلك نرى في هذين القرنين تكثيف الأئمة عليهم السلام و أصحابهم الجهود الكبيرة، فبذلوها سخيّة للوقوف دون انحراف الأفكار و العقائد و الفقه و التاريخ و السيرة و على كافّة الأصعدة.

و فيما نحن فيه نرى دعاء الإمام السجّاد عليه السلام في التوحيد: إلهي بدت قدرتك و لم تبد هيبة جلالك فجهلوك، و قدّروك بالتقدير على غير ما أنت به، شبّهوك و أنا بريء يا إلهي من الّذين بالتشبيه طلبوك، ليس كمثلك شيء إلهي و لم يدركوك، وظاهرُ ما بهم من نعمةٍ دليلُهم عليك لو عرفوك، و في خلقك يا إلهي مندوحةٌ عن أن

---

(١) آخر خطبة الكتاب.

(٢) انظر مقتل الحسين عليه السلام للمقرّم: ٢٨٢ ـ ٢٨٣.

ينالوك، بل ساووك بخلقك فمن ثَمَّ لم يعرفوك، و اتّخذوا بعض آياتك ربّاً، فبذلك وصفوك، فتعاليت يا إلهي عمّا به المشبِّهون نَعَتُوك(١).

و عن عبدالرحمن بن أبي نجران، قال: سألتُ أبا جعفرعليه السلام عن التوحيد، فقلتُ: أَتَوَهَّمُ شيئاً؟ فقال: نعم، غير معقول و لامحدود، فما وقع وهمك عليه من شيء فهو خلافه، لا يشبهه شيء، و لا تدركه الأوهام، كيف تدركه الأوهام و هو خلاف ما يُعقل و خلاف ما يُتَصَوَّرُ في الأوهام؟ إنّما يتوهم شيء غير معقول و لا محدود(٢).

و قال عليه السلام: إنّ الله ـ تباركت أسماؤه التي يُدعَى بها و تعالى في علوّ كُنهه ـ أَحَدٌ، توحَّدَ بِالتَّوَحُّد في توحُّده، ثمّ أجراه على خلقه، فهو أحدٌ صمدٌ قُدُّوسٌ، يعبده كل شيء و يصمد إليه(٣) ...

و في زمان الإمام الصادق عليه السلام كانت ذروة التصدّي، حيث أخذ كلّ من هبّ ودبّ يدلي بدلوه و يُنظِّر و يُمَدْرِس كلّ ما يحلوله، فضاع على الناس الصواب إلّا ما كان عند أهل البيت عليهم السلام، فلذلك قال يونس بن يعقوب للإمام الصادق عليه السلام: جُعلتُ فداك، إنّي سمعتك تنهى عن الكلام و تقول: ويل لأصحاب الكلام ... فقال الإمام عليه السلام: إنّما قلت: فويل لهم إن تركوا ما أقول و ذهبوا إلى ما يريدون(٤).

قال المازندراني: إنّ علم الكلام علم غامض لا يُدركُ حقيقَتَهُ إلّا اللهُ سبحانه ومن حفظه الله تعالى عن الخطأ، وَ أَمّا غيرهُمْ و إن بالَغُوا فَهُم بَعْدُ في مقامٍ يحتمل الخطأ والضّلال، إذ ليس المعصوم إلّا من عصمه الله، و بالجملة: أهل الكلام يجب أن

---

(١) الصحيفة السجادية: ٢٢ / دعاؤه عليه السلام في التوحيد.

(٢) الكافي ١: ٨٢ / ح ١.

(٣) المحاسن للبرقي ١: ٢٤١ / ح ٢٢٦.

(٤) الكافي ١: ١٧١ / ح ٤.

يكون معصوماً أو من يسمع من المعصوم، و قول الصادقعليه السلام صريح في ذلك[١].

و لذلك نرى في هذه الفترة نجوماً لامعة من تلامذة الإمام الصادقعليه السلام مثل هشام ابن الحكم و المفضل بن عمر و مؤمن الطاق و غيرهم من عمالقة الفكر، و من ثمّ نرى امتداد هذا الفكر الشامخ حتّى اليوم و هو يفنّد مدرسَتَي الأشاعرة و المعتزلة، و يقف بكل كبرياء ليحطّم معتقدات المانوية و المزدكية و الثنوية و الزرادشتية، مضافاً إلى أباطيل الزنادقة و الملحدين و المشككين و تيارات الانحراف.

و في هذا المضمار نلحظ كثرة المؤلّفات في التّوحيد، إمّا على نحو المؤلفات المستقلة، أو في ضمن مواضيع و كتب أخرى، و ما أُلّف في التوحيد حَمَل أسامي وعناوين كثيرة ليس هذا محلّ استقصائها، غير أنّا نذكُرُ هنا ما حمل منها اسم «التوحيد» و أُلّف مستقلاً في هذا المجال، لنقف على أهميّة كتاب توحيد المفضل وموقعه في الفكر البشري عموماً و الإسلامي خصوصاً و الشّيعيّ الإمامي على الأخصّ، و الكتب هي:

١ ـ التوحيد: للمفضل بن عمر الجعفي الكوفي، و هو كتاب «فكِّر» الذي ذكره النجاشي، و هو هذا الكتاب الماثل بين يديك.

٢ ـ التوحيد: لشيخ متكلمي الشيعة أبي محمد هشام بن الحكم الكوفي، الذي كان حيّاً سنة ١٩٩ هـ.

٣ ـ التوحيد: لأبي جعفر محمد بن خليل السكاك البغدادي، تلميذ هشام بن الحكم.

٤ ـ التوحيد: لأبي أحمد محمد بن أبي عمير زياد بن عيسى الأزدي، المتوفّى سنة

---

(١) شرح أصول الكافي ٥: ٩٦.

٢١٧ هـ، و قد لقي الامام الكاظم عليه السلام و روى عن الإمام الرضا عليه السلام.

٥ ـ التوحيد: للضحاك أبي مالك الحضرمي الكوفي العربي، رواه علي بن الحسن ابن محمد الطاطري الذي هو في طبقة الحسن بن علي بن فضّال المتوفّى سنة ٢٢٤ هـ. أدرك الضحّاكُ الإمامَ الصادقَ عليه السلام، و روى عن الإمام الكاظم عليه السلام، و هو من الواقفية. يروي عنه النجاشي بأربع وسائط.

٦ ـ التوحيد: لأبي الحسن علي بن الحسن بن محمد الطاطري الواقفي، يروي عنه النجاشي بثلاث وسائط.

٧ ـ التوحيد و العدل الكبير، و التوحيد و العدل الصغير: لأبي محمد القاسم بن إبراهيم طباطبا، المعروف بالقاسم الرسي، المتوفّى متخفّيا سنة ٢٤٦ هـ عن سبع وسبعين سنة.

٨ ـ التوحيد: لأبي سعيد سهل بن زياد الآدمي الرازي، كان حيّا سنة ٢٥٥ هـ، و هو من أصحاب الأئمة؛ الجواد و الهادي و العسكري عليهم السلام، و كتب إلى الإمام العسكري عليه السلام.

٩ ـ التوحيد من كتب الله الأربعة المنزلة: لأبي محمد الفضل بن شاذان بن الخليل الأزدي النيسابوري، المتوفّى سنة ٢٦٠ هـ، من أصحاب الأئمة؛ الجواد و الهادي والعسكري عليهم السلام.

١٠ ـ التوحيد: لأبي جعفر محمد بن الحسين بن أبي الخطّاب الزيّات الهمداني، المتوفّى سنة ٢٦٢ هـ، من أصحاب الائمة؛ الجواد و الهادي و العسكري عليهم السلام.

١١ ـ التوحيد: لشيخ القميّين أبي جعفر أحمد بن محمد بن عيسى الأشعري القمي، صحب من الأئمة الرضا و الجواد و الهادي عليهم السلام، يرويه عنه النجاشي بثلاث وسائط،

و هو الذي أخرج أحمد بن محمد بن خالد البرقي من قم، و البرقي توفّي سنة ٢٧٠ أو ٢٧٤ هـ.

١٢ ـ التوحيد: لمحمد بن إسماعيل بن أحمد بن بشير البرمكي، المعروف بصاحب الصومعة، يروي بواسطة واحدة عن الإمام الهادي عليه السلام المستشهد سنة ٢٥٤ هـ، وكان في زمان السفراء الأربعة، يروي عنه محمد بن جعفر الأسدي الكوفي المتوفّى سنة ٣١٢ هـ. يرويه عنه النجاشي بثلاث وسائط. فهو من رواة أواخر القرن الثالث.

١٣ ـ التوحيد و الشرك: لأبي الحسن علي بن إبراهيم بن هاشم القمي، من مشايخ الكليني المتوفّى سنة ٣٢٨ هـ. فهو من رواة أواخر القرن الثالث و أوائل القرن الرابع.

١٤ ـ التوحيد الكبير و التوحيد الصغير: لأبي محمد الحسن بن موسى النوبختي، قبل الثلاثمائة و بعدها، توفّي حدود سنة ٣١٠ هـ.

١٥ ـ التوحيد: لأبي سهل إسماعيل بن علي بن إسحاق بن أبي سهل بن نوبخت، المتوفّى سنة ٣١١ هـ، من الفائزين بلقاء الحُجَّة عجل الله فرجه.

١٦ ـ التوحيد: لأبي عبدالله الحسين بن عبيدالله بن سهل السعدي، يروي السعدي عن الحسن بن علي السجادة من أصحاب الإمامين الجواد و الهادي عليهما السلام. يروي النجاشي جميع كتبه عنه بثلاث وسائط.

١٧ ـ التوحيد: لأبي محمد إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن هلال المخزومي، كان حيّا سنة ٢٩٨ هـ، و ربّما يكون هو المذكور في كتب العامّة المتوفّى سنة ٣٠١ هـ. و هو من مشايخ علي بن أحمد العقيقي المعاصر للصدوق المتوفّى سنة ٣٨١ هـ. رواه عنه النجاشي بواسطتين.

١٨ ـ التوحيد: للشريف أبي يعلى حمزة بن القاسم بن علي بن حمزة بن الحسن بن

عبيدالله بن العباس بن أميرالمؤمنينعليه‌السلام العلويّ العباسي، الثقة الجليل، من رجال أوائل المائة الرابعة، يروي عن سعد بن عبدالله الأشعري المتوفّى سنة ٣٠١ ه‍، ويروي عنه هارون بن موسى التلعكبري المتوفّى سنة ٣٨٥ ه‍.

١٩ ـ التوحيد: لأبي النضر محمد بن مسعود العياشي السلمي السمرقندي، صاحب تفسير العياشي، المتوفّى نحو سنة ٣٢٠ ه‍.

٢٠ ـ التوحيد: لوالد الشيخ الصدوق، الشيخ أبي الحسن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي، المتوفّى سنة ٣٢٩ ه‍.

٢١ ـ التوحيد و الإيمان: لأبي الفضل محمد بن أحمد بن إبراهيم بن سليم الجعفي الكوفي المعروف بالصابوني، عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الهاديعليه‌السلام، و أدرك الغيبتين الصغرى و الكبرى، و الكبرى وقعت سنة ٣٢٩ ه‍. يروي عنه بلا واسطة ابنُ قولويه المتوفّى سنة ٣٦٨ ه‍.

٢٢ ـ التوحيد: لأبي عبدالله الكاتب، الحسين بن القاسم بن محمد بن أيّوب بن شمّون. يرويه النجاشي بسنده إلى أبي طالب الأنباري المتوفّى سنة ٣٥٦ ه‍، عنه.

٢٣ ـ التوحيد و المعرفة: لأبي الحسن علي بن أبي سهل حاتم بن أبي حاتم القزويني، كان حيّاً سنة ٣٥٠ ه‍، و سمع منه التلعكبري إلى ما بعد سنة ٣٢٦ ه‍. يرويه عنه أبو عبدالله بن شاذان الذي هو من مشايخ النجاشي المتوفّى سنة ٤٥٠ ه‍.

٢٤ ـ التوحيد: للشريف أبي القاسم علي بن أحمد العلوي الكوفي المتوفّى سنة ٣٥٢ه‍.

٢٥ ـ التوحيد و العدل و الإمامة: لأبي طالب عبيدالله بن أبي زيد أحمد الأنباري، المتوفّى سنة ٣٥٦ ه‍.

٢٦ ـ التوحيد: للشيخ الصدوق أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بـابويه القمي، المتوفّى سنة ٣٨١ هـ.

٢٧ ـ التوحيد و نفي التشبيه: للشيخ أبي عبدالله الحسين بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي، أخ الشيخ الصدوق، و المتوفّى بعد أخيه الشيخ الصدوق.

٢٨ ـ التوحيد و نفي التحديد: للامام المنصور بالله، أبي الحسين القاسم بن علي العياني، المتوفّى سنة ٣٩٣ هـ بقرية عيان.

٢٩ ـ التوحيد و سائر أبوابه: للشريف أبي محمد يحيى بن أبي الحسين محمد الزاهد العلوي النيسابوري من بني زبارة، لقي الشيخُ الطوسيُّ كثيراً ممن لقوه وقرأوا عليه، فهو من طبقة السيد المرتضى و سلّار و أبي يعلى الجعفري.

٣٠ ـ التوحيد: لأبي سلمة البكري، عليم بن محمد الشاشي، حكاه النـجاشي، وقال: لم يُخبرني عنه أحد من أصحابنا أنّه رآه، غير أنّه ذُكر في الفهرستات.

و من خلال هذا الاستعراض السريع للكتب المؤلّفة في التوحيد، يبرز تـوحيد المفضل في صدر القائمة، مما يؤكّد ما قلناه من أنّ التشويش و الخلط و التشويه لمفهوم التوحيد كان قد وصل إلى درجة كبيرة في عصر الإمام الصادق عليه السلام، خصوصاً و أنّ الأمويين و العباسيّين كانوا يروّجون للأفكار المعادية لـمدرسة أهـل البـيت عليهم السلام، وللأفكار الّتي تخدمهم كالجبر و أنّ كل ما يقع فهو من الله، و كالتجسيم و حطّ مرتبة الباري تعالى، و غير ذلك، و انجرّت تشكيكاتهم حتّى طالت النبوّة التي هي فرع التوحيد، فزعموا غلط النبي صلى الله عليه وآله و سهوه، و أنّه غير معصوم مطلقاً، و أنّـه يـناله السحر، و و و ... ليبرّر الحكّام لأنفسهم و يبرّر لهم وعّاظهم أغاليطَهُم و فضائِحَهم، بزعمة أنّ كلّ إنسان خطّاء و أنه ليس هناك معصوم!!!

و لذلك نرى ابن أبي العوجاء و صاحبه ينالان من النبي‌ﷺ بمحضر المفضل بن عمر، فيزعم صاحب ابن أبي العوجاء أنّ النبيّ‌ﷺ فيلسوف استطاع أن يسخّر الناس بعقله، ثمّ قَرَنَ اسمه باسم الربّ في الأذان!! و جَرَّ ابنُ أَبي العوجاء الشكّ والإلحاد إلى أصل وجود الخالق سبحانه و تعالى، زاعماً أنّ الكونَ وُجد بلا خالق ولا صانع، و أنّه متكوّن من ذاته، و أنّ الأشياء لا صنعة فيها و لا تقدير.

و لمّا سمع المفضّل بن عمر كلامهما راح يردّهما منفعلاً، فأجاباه بأنّ الإمام الصادق‌عليه‌السلام كان يسمع الشبهات و يجيب عنها بكلّ متانة و تَأَنٍّ و بقوّة الحجّة، و هذا يؤكّد بشكل قاطع مدى اهتمام الإمام‌عليه‌السلام بعلم التوحيد بشكل خاصّ، واستمراره‌عليه‌السلام في دفع شبهات المشبّهين و تشكيكات المشكّكين، و تخرّصات الدهريّين و الزنادقة و سائر المنحرفين.

و هناك لجأ المفضل إلى الإمام الصادق‌عليه‌السلام ليملي عليه مجالس في التوحيد تمثّل قمة الفكر الإسلامي الصحيح، و مثل هذا الكتاب الرائع كان كتاب الإهليلجة الذي كتبه الإمام الصادق‌عليه‌السلام للمفضّل بن عمر أيضاً في نفس المجال، أعني في التوحيد.

كتاب فَكِّرْ المعروف بالتوحيد

قال النجاشي في ترجمة المفضل بن عمر: و له كتاب يوم و ليلة، و كتاب فَكِّرْ؛ كتاب في بدء الخلق و الحثّ على الاعتبار، وصية المفضل، كتاب علل الشرائع[1] ...

قال العلامة المجلسي‌رحمه‌الله: قال النجاشي في ترجمة المفضّل: «و له كتاب فكّر كتاب

(١) رجال النجاشي: ٤١٦.

في بدء الخلق و الحث على الاعتبار»، و لعلّه إشارة إلى التوحيد[١].

و قال أيضاً: وعدّ النجاشي من كتبه كتاب الفكر ... و لعلّ المراد منه هو كتاب توحيده هذا[٢].

و نقل السيد الخوئي‌ؒ عبارة النجاشي و فيها: «و كتاب فكّر»، ثم قال: أقول: هو المعروف بتوحيد المفضّل[٣].

و قال مرّة أخرى: و يكفي في جلالة المفضل تخصيص الإمام الصادق‌ؑ إيّاه بكتابه المعروف بتوحيد المفضّل، و هو الذي سمّاه النجاشي بكتاب فَكِّرْ[٤].

و قال الاغا بزرك الطهراني: التوحيد لأبي عبدالله أو أبي محمد مفضل بن عمر الجعفي الكوفي ... عبّر عنه النجاشي بكتاب فَكِّرْ[٥].

و إنّما سُمّي بكتاب فَكِّر، لأَنّ الإمامَ الصادق‌ؑ أكثر فيه من قوله «فَكّر يا مفضّل»، و عرف بتوحيد المفضّل لأنّ موضوع الكتاب هو التوحيد و قد أملاه الإمام‌ؑ على المفضّل.

و هذا الكتاب هو من عيون ما وصلنا من الكتب في علم التوحيد، و إذا كان هناك كلام في سنده أو في تمامية سنده، فلا كلام في أنّه يحوي عيون المطالب الحقّة في التوحيد، مطابقاً لما ورد عن أهل البيت‌ؑ، مؤيّدة بالدليل العقلي السليم، و لذلك أطراه العلماء و جعلوه محلّ عنايتهم و محطّ أنظارهم، و أفادوا منه كثيراً في بحوثهم وكتبهم.

---

(١) بحار الأنوار ١: ٣٢.

(٢) بحار الأنوار ٣: ٥٦.

(٣) معجم رجال الحديث ١٩: ٣١٧.

(٤) معجم الرجال الحديث ١٩: ٣٢٩.

(٥) الذريعة ٤: ٤٨٢.

قال السيد ابن طاووس: و يصحب [المسافر] معه كتاب المفضل بن عمر الذي رواه عن الصادقعليه‌السلام في معرفة وجوه الحكمة في إنشاء العالم السفلي و إظهار أسراره، فإنّه عجيب في معناه[١].

و قال في كشف المحجّة مُوصِياً ولده محمّداً، فانظر في كتاب نهج البلاغة و ما فيه من الأسرار، و انظر كتاب المفضل بن عمر الذي أملاه عليه مولانا الصادقعليه‌السلام فيما خلق الله جلّ جلاله من الآثار[٢].

و قال العلامة المجلسيرحمه‌الله: و لنذكر بعد ذلك توحيد المفضل بن عمر، و رسالة الإهليلجة المرويتين عن الصادقعليه‌السلام، لاشتمالهما على دلائل و براهين على إثبات الصانع تعالى، و لا يضرّ إرسالهما لاشتهار انتسابهما إلى المفضل، و قد شهد بذلك السيّد ابن طاووس و غيره ... مع أنّ متن الخبرين شاهد صدق على صحّتهما، وأيضاهما يشتملان على براهين لا تتوقف إفادتهما العلم على صحة الخبر[٣].

و قال أيضاً: و كتاب التوحيد و الإهليلجة قد عرفت حالهما، و سياقهما يدلّ على صحّتهما[٤].

و قال الميرزا النوريرحمه‌الله: قال السيّد المحقق صدر الدين العاملي: من نظر في حديث المفضّل المشهور عن الصادقعليه‌السلام علم أنّ ذلك الخطاب البليغ و المعاني العجيبة و الألفاظ الغريبة، لا يخاطبُ الإمام بها إلّا رجلاً عظيماً جليلاً كثير العلم زكيّ الحسّ، أَهلاً لتحمّل الأسرار الرفيعة و الدقائق البديعة[٥].

---

(١) الأمان من أخطار الأسفار و الأزمان: ٩١ ـ ٩٢.

(٢) كشف المحجة: ٥١ / الفصل ١٦.

(٣) بحار الأنوار ٣: ٥٥ ـ ٥٦.

(٤) بحار الأنوار ١: ٣٢.

(٥) خاتمة المستدرك ٤: ١٣١، أعيان الشيعة ١٠: ١٣٢ ـ ١٣٣.

و قال ﷺ: قال التقيّ المجلسيّ في شرح المشيخة: و اعلم أنّ للمفضّل نسخة معروفة بتوحيد المفضّل، كافية لمن أراد معرفة الله تعالى، و النسخة شاهدة بصحّتها، فينبغي أن لا يغفلوا عنها ... ثمّ قال الميرزا النوري ﷺ: و مضامين الكتاب كما قال رحمه‌الله من أقوى الشواهد بصحّتها[(١)] ...

و قال العلامة السيد الطباطبائي ﷺ في تعليقته على البحار: أمّا متن الخبر الأوّل المشتهر بتوحيد المفضل فهو مطابق لجُلّ الأخبار المروية عن أهل البيت عليهم‌السلام المطابقة لمعارف الكتاب العزيز، و ما يشتملُ عليه من الأدلّة براهين تامّة لا غُبار عليها[(٢)].

و قال المازندراني ﷺ: و الحقّ أنّه مع قلّة حجمه كتاب يظهر لمن مارسه من العلم بالحكم الإلهية و التدبيرات الربوبيّة ما يكلّ اللسان عن وصفه، و يعجز البيان عن شرحه[(٣)]. و قد أفاد ﷺ في مواطن كثيرة من شرحه من كتاب توحيد المفضّل، واستدلّ به على كثير من المطالب، و أحال عليه في المسائل التي تحتاج إلى مزيد بيان و إيضاح[(٤)].

و نقل الميرزا النوريّ ﷺ تصريح الحرّ العامليّ ﷺ بأنّ توحيد المفضل من الكتب المعتمدة[(٥)].

و أفاد منه الشيخ الحويزي ﷺ المعاصر للحُرِّ العاملي ﷺ في تفسير نور الثقلين في موارد كثيرة، بل لم يتخطّه أحدٌ من علماء الطائفة ممّن ألّفوا في علم التوحيد، و لم

---

(١) خاتمة المستدرك ٤: ١٣١.

(٢) هامش بحار الأنوار ٣: ٥٦.

(٣) شرح أصول الكافي ١: ٤٦.

(٤) انظر على سبيل المثال شرح أصول الكافي ٣: ١٤، ٤: ٣٣، ١٢: ١٣.

(٥) انظر خاتمة المستدرك ١: ٢٢٩.

يذكروه إلّا بالإعجاب و الإكبار و الإشادة بمطالبه الإلهية التي لا يمكن أن تصدر عن غير المعصومعليه السلام.

لفت نظر:

بعد أن وقفنا على بعض تصريحات العلماء الأعلام في حقّ كتاب التوحيد، و قبل أن نقف على أسانيد هذا الكتاب، لا بدّ لنا من لفت النظر و التنبيه على أنّ كتاب التوحيد و نسخه المشهورة المتداولة و كلّ النسخ التي وقفنا عليها، تضمّ أربعة مجالس أملاها الإمام الصادقعليه السلام على المفضّل في علم التوحيد، و كلّ هذه المجالس تتعلّق بأحوال المادّيّات و ما في العالم السفليّ الّتي من خلالها يستدلّ على وجود الخالق و العمد في الخَلْق و أنّ المخلوقات كلّها طبق نظام دقيق و خلق عجيب أنيق يدل على الصانع و حُسن الصنعة.

غير أنّ نهاية المجلس الرابع تدلّ على أنّ الإمامعليه السلام وعَدَ المفضّل بن عمر أن يملي عليه مجلساً آخر أو مجالس أخرى تدلّ على الباري سبحانه و تعالى لكن عبر بيان علم ملكوت السماوات و الأرض و ما بينهما، و ما فيهما من عجائب الخلق، وأصناف الملائكة و صفوفهم و مقاماتهم و مراتبهم إلى سدرة المنتهى، و سائر الخلق من الجنّ و الإنس إلى الأرض السابعة السفلى و ما تحت الثرى.

و نسخ التوحيد و إن كانت خالية عن تتمة أمالي الإمامعليه السلام، إلّا أنّ الميرزا النوريرحمه الله أشار إلى عثوره على ما يترجّح أنّه المجلس الخامس لكنّه اعتذر عن نقله بأنّه لم يجده في موضع يمكنه الاعتماد عليه.

و دلَّ الاغا بزرك الطهرانيرحمه الله على محلّ وجود هذا المجلس الخامس، الذي يبدو

أنّه بالضبط ما أشار إليه النوريّ، إذ أنّه موجود في كتاب من كتب الفرقة الذهبية بسندٍ مذكور في محله.

قال الميرزا النوري: و يوجد في بعض المواضع حديث أوّله: روي من الشيخ الثقة الحسين بن محمد بن علي الحلّيّ ... عن مفضل بن عمر الجعفي، قال: قلت لمولانا الصادق للوعد منه إليّ و قد خلوت به فوجدتُ منه فرصة أتمنّاها: أسألك عمّا جرى في خاطري ... الخبر، و فيه مطالب غريبة غامضة لا توجد في غيره، ويُحتمل أن يكون هو ما وعده في آخر الخبر السابق [أي المجلس الرابع]، إلّا أنّي لم أجده في موضع يمكن الاعتماد عليه و النقل منه(١).

و قال الاغا بزرك الطهراني: التوحيد لأبي عبدالله ـ أو أبي محمد ـ مفضل بن عمر الجعفي الكوفي، عبّر عنه النجاشي بكتاب فكّرٍ، و سمّاه بعض الفضلاء بكنز الحقائق و المعارف ... فتبيّن أنّه عدلٌ للرسالة الإهليلجة، و كلاهما في إثبات التوحيد، و هما من منشآت الإمام أبي عبدالله الصادق، غير أنّه قد كتب الإهليلجة بنفسه إلى مفضل بن عمر، و أملى التوحيد هذا على المفضل و هو كَتَبَهُ بخطّه ...

و يظهر من كلام السيّد ابن طاووس المتوفّى سنة ٦٦٤ هأنّ المتداول من التوحيد هذا في عصره كان هذا الموجود المطبوع المشروح المتداول اليوم ... إلى آخر الموجود من المجالس الأربعة ... و هذا الجزء كلّه متعلّق باحوال المادّيّات و ما في العالم السفلي، و الجزء الآخر الذي هو في بيان أحوال الملكوت الأعلى ـ و قد وعد صادق الوعد ببيانه للمفضل هذا ـ لم يكن مشهوراً متداولاً في تلك الأعصار مثابَةَ اشتهارِ الجزء الأوّل، لكنّه ظفر به أخيراً السيد ميرزا أبوالقاسم الذهبي فأورده

(١) خاتمة المستدرك ٤: ١٣١ ـ ١٣٢.

بتمامه في كتاب «تباشير الحكمة»[١].[٢]

و قال أيضاً: إن الجزء الثاني من توحيد المفضل موجود في كتاب تباشير الحكمة، تأليف السيد العارف ميرزا أبو القاسم بن محمد نبي الحسيني الشريفي الذهبي الشيرازي الشهير بـ«آقا ميرزا بابا»، قال: و صرّح المؤلّف بأنّه و إن لم يصل إليه هذا الجزء بإسنادٍ معتبر مثل الجزء الأوّل لكنّه يُشَمُّ منه روائح الصدور عنهم عليهم السلام[٣].

و نحن ذكرنا هذا المجلس الخامس كما وجدناه تتميماً للفائدة و تعميماً لها، وإكمالاً لكل ما وصلنا من هذا الكتاب، و إن كان شرح العلامة المجلسي رحمه الله لا يتناول هذا المجلس، و لم ينقل عنه علماؤنا في كتبهم لأنّ نسخته لم تصل إليهم و لم يعثروا عليها.

أسانيد الكتاب

المجالس الأربعة من هذا الكتاب وجدنا لها سندين:

الأوّل: سند النجاشي: أخبرنا أبو عبدالله بن شاذان، قال: حدثنا أحمد بن محمد ابن يحيى، عن أبيه، عن عمران بن موسى، عن إبراهيم بن هاشم، عن محمّد بن سنان، عن المفضل بن عمر[٤].

الثاني: سند الحرّ العاملي عن الصدوق، عن محمد بن الحسن بن الوليد، عن الحسن بن متّيل، عن أحمد بن أبي عبدالله، عن أبيه، عن محمد بن سنان، عن المفضل

---

(١) في طبعته الحجرية، و الحروفية الجديدة «طباشير الحكمة»، و لا أدري هل هذا من لحن الفُرس، أو أنّ المراد به الطباشير الذي يكتب به.

(٢) الذريعة ٤: ٤٨٢ ـ ٤٨٣.

(٣) انظر الذريعة ٣: ٣١٠.

(٤) رجال النجاشي: ٤١٦.

ابن عمر[١].

و أمّا المجلس الخامس فسنده هو: روي عن الشيخ الثقة أبي الحسن محمد بن علي الحلي، عن شيخه السيد أبي عبدالله الحسيني بن أحمد الصيني، قال: حدثني جعفر بن مالك الفزاري الكوفي، عن عبدالله بن يونس الموصلي، [عن محمّد بن صدقة العبدي]، عن محمد بن سنان الزاهري، عن صفوان بن يحيى الكوفي، عن مفضل بن عمر الجعفي.

و هناك سندان آخران للشيخ الطوسي إلى جميع كتب و روايات محمد بن سنان، قال:

أخبرنا بكتبه و رواياته جماعة، عن أبي جعفر بن بابويه، عن أبيه و محمد بن الحسن جميعاً، عن سعد و الحميري و محمد بن يحيى، عن محمد بن الحسين و أحمد بن محمد، عن محمد بن سنان.

و أخبرنا أيضاً ابن بابويه، عن محمد بن علي ماجيلويه، عن محمد بن أبي القاسم عمّه، عن محمد بن علي الصيرفي، عن محمد بن سنان[٢].

و السند الأول ضعيف بالصيرفي، و الثاني صحيحٌ إلى محمد بن سنان بلا كلام، ومحمد بن سنان ثقة على الصحيح ـكما سيأتيك ـفيكون السندُ صحيحاً، فإذا أُضيف إلى سند النجاشي الصحيح أو الحسن ـكما ستقف عليه قريباً ـكانت النتيجة هي أنّ كتاب فكّرٍ صحيح الإسناد.

و عُمدة الكلام تقع في السند الأوّل، لأنّ السند الثاني ـكما سيتبين لكَ ـإنّما هو سند

---

(١) إجازة الحرّ العاملي للفاضل المشهدي المطبوعة في البحار ١١٠: ١١٩ ـ ١٢٠.

(٢) الفهرست: ١٤٣ / رقم ٦٠٩.

الصدوق إلى المفضّل في مشيخة الفقيه، و تعميمه إلى كلّ ما للمفضّل فيه تساهل كبير، و السند الثالث المختصّ بالمجلس الخامس فيه بعض المجاهيل، فتبق أهمّيّة الكلام في السند الأوّل.

السند الأوّل

و هو سند صحيح أو حَسَن.

فمحمد بن علي أبو عبدالله بن شاذان القزويني ثقةٌ لأنّه من مشايخ النجاشي[١]، كما أنّه شيخ إجازته، و شيوخ الإجازة مستغنون عن التنصيص بالوثاقة[٢].

و أحمد بن محمد بن يحيى العطار القمّي، اختُلف في حاله، و الأشهر الاعتماد عليه، فهو من مشايخ الإجازة، و وثقه الشهيد الثاني و السماهيجي و الشيخ البهائي، و اعتمد القدماء على روايته[٣]، و عدم عدِّ جمعٍ له في الثقات لا يدل على عدمه[٤]، و قد يستفاد التعديل من قرائن أخرى[٥].

و أبوه محمد بن يحيى العطار القمّي، أبو جعفر، ثقة عين، من مشايخ

---

(١) معجم الرجال الحديث ١٧: ٣١٥ / الترجمة ١١٢٧٤.

(٢) تنقيح المقال ٣: ١٥٦.

(٣) انظر معجم الرجال الحديث ٣: ١٢٠ ـ ١٢٢ / الترجمة ٩٣٢، و ذهب السيد الخوئي ﵀ إلى أنّه مجهول الحال، و تنقيح المقال ١: ٩٥ ـ ٩٦ و زاد توثيق المحقق الأردبيلي و المحقق الداماد و الشيخ حسن صاحب المنتقى.

(٤) تنقيح المقال ١: ٩٦.

(٥) انظر حاوي الأقوال ٣: ١٣ ـ ١٥، حيث عدّ أحمد العطار هذا من جملة جماعة لم يصرّح بتعديلهم لكن استفيد التعديل من قرائن أُخرى.

أصحابنا في زمانه، و هو من مشايخ الكليني[١]، وثّقه كلّ من ذكره من الفقهاء[٢].

و عمران بن موسى الزيتوني الأشعري القمّي، ثقة[٣]، فلا غمز فيه بوجهٍ[٤].

و إبراهيم بن هاشم القمّي، أبو إسحاق، والد علي بن إبراهيم بن هاشم القمي صاحب التفسير، لا ينبغي الشك في وثاقته، لرواية ولده كثيراً عنه، و لنقل السيد ابن طاووس الاتّفاق على وثاقته، و لأنّه أوّل من نشر حديث الكوفيين بقُمّ، و قد اعتمد عليه القميّون بل المتشدّدون منهم أيضاً[٥]. و من لم يذهب إلى وثاقته قال أنّه حَسَنٌ أو حَسَنٌ كالصَّحيح[٦].

و محمد بن سنان الزاهري أبو جعفر الزاهري المتوفّى سنة ٢٢٠ هـأو بعدها[٧]، وقع الاختلاف فيه، فهو إمّا ثقة و إمّا ممدوح، و قد ضعّفه بعضهم. و هو من أصحاب الكاظم و الرضا و الجوادعليهم السلام.

---

(١) انظر معجم رجال الحديث ١٩: ٣٣ / الترجمة ١٢٠١٠ و ١٩: ٤٣ ـ ٤٥ / الترجمة ١٢٠٣٣.

(٢) تنقيح المقال ٣: ١٩٩. و انظر رجال العلامة: ١٥٧ / الترجمة ١١٠ ـ القسم الأوّل، و رجال ابن داود: ١٨٦ / الترجمة ١٥٣٣ ـ القسم الأوّل.

(٣) انظر معجم رجال الحديث ١٤: ١٦٣ ـ ١٦٤ / الترجمة ٩٠٧٢ و ١٤: ١٦٤ ـ ١٦٥ / الترجمة ٩٠٧٤.

(٤) تنقيح المقال ٢: ٣٥٢. و انظر رجال العلامة: ١٢٥ / الترجمة ٥ ـ القسم الأوّل، و رجال ابن داود: ١٤٧ / الترجمة ١١٥٠ ـ القسم الأوّل.

(٥) انظر معجم رجال الحديث ١: ٢٨٩ ـ ٢٩١ / الترجمة ٣٣٢، و رجال العلامة: ٤ ـ ٥ / الترجمة ٩ ـ القسم الأوّل، و رجال ابن داود: ٣٤ / الترجمة ٤٣ ـ القسم الأوّل.

(٦) انظر تنقيح المقال ١: ٤٠. و معنى حسن كالصحيح هو لزوم العمل بحديثه حتّى ممن لا يعمل بالحسان.

(٧) انظر معجم رجال الحديث ١٧: ١٧٠ ـ ١٧١.

قال المامقاني بعد بحث طويل في حال ابن سنان هذا: قد تلخّص مما ذكرنا كلّه أنّ الأقوى كون الرجل ثقة، صحيح الاعتقاد، معتمداً، مقبول الرواية و إن رمى من رماه بالغلوّ؛ إمّا لاشتباهه في ميله أوّلا إلى الغلوّ و ثباته بمكالمة صفوان معه، أو لِما سمعتَه آنفاً من بعض الأتقياء من أنّه كان من أصحاب أسرار الأئمةعليهم السلام، و روى من أسرارهم ما تمسّك به الغُلاة فجرحه الأصحاب دفعاً للأفسد و هو تقوّي الغلاة بالفاسد[١].

و قال السيد الخوئيرحمه الله: المتحصّل من الروايات أنّ محمد بن سنان كان من الموالين و ممن يدين الله بموالاة أهل بيت نبيّهصلى الله عليه وآله، فهو ممدوح، فإن ثبت فيه شيء من المخالفة فقد زال ذلك و قد رضي عنه المعصومعليه السلام، و لذلك عدّه الشيخ ممن كان ممدوحاً حسن الطريقة[٢].

و ذهب إلى تضعيفه جماعة من العلماء و الرجاليين، فذهبوا إلى عدم الاعتماد على ما انفرد بروايته، قال السيد الخوئيرحمه الله: و لولا أنّ ابن عقدة و النجاشي و الشيخ والشيخ المفيد و ابن الغضائري ضعّفوه، و أنّ الفضل بن شاذان عدّه من الكذابين، لتعيّن العمل برواياته، و لأجل ذلك لا يمكن الاعتماد على توثيق الشيخ المفيد إياه ... و لا على توثيق علي بن إبراهيم إيّاه[٣].

و كيف كان فإنّ الكلام في هذا المجال طويل و ليس هاهنا محل استقصائه، غير أنّ الصواب أنّه ثقة، و ما ورد فيه من القدح و الذم إنّما صدر لجهاتٍ كلّها غير ناهضة للتضعيف[٤].

---

(١) تنقيح المقال ٣: ١٢٨.

(٢) معجم رجال الحديث ١٧: ١٦٩.

(٣) معجم الرجال الحديث ١٧: ١٦٩.

(٤) انظر ذلك بشيء من التفصيل في منتهى المقال ٦: ٦٥ ـ ٧٦ / رقم ٢٦٦٩.

و حسبنا ما في رواية صحيحة السند عن أبي طالب عبدالله بن الصلت القمي، قال: دخلتُ على أبي جعفر الثاني عليه السلام في آخر عمره، فسمعته يقول: جزى الله صفوان بن يحيى و محمد بن سنان و زكريا بن آدم عنّي خيراً، فقد وفوا لي[١] ...

و ما رواه كل من الكليني و الصدوق و الكشي بأسانيدهم عن محمد بن سنان، قال: دخلت على أبي الحسن موسى عليه السلام قبل أن يُحمل إلى العراق بسنة، و عليٌّ ابنه عليه السلام بين يديه، فقال لي: يا محمد، قلت: لبيّك، قال: إنّه سيكون في هذه السنة حركة و لا تخرج منها، ثمّ أطرق و نكت في الأرض بيده، ثمّ رفع رأسه إليّ و هو يقول: و يضلّ الله الظالمين و يفعل الله ما يشاء، قلت: و ما ذلك جُعلت فداك؟ قال: من ظلم ابني هذا حقّه و جحد إمامته من بعدي، كان كمن ظلم علي بن أبي طالب حقّه و إمامته من بعد محمد صلى الله عليه وآله، فعلمتُ أنّه قد نعى إليّ نفسه و دلّ على ابنه، فقلت: والله لئن مدّ الله في عمري لأسلّمنّ إليه حقّه و لأُقرّنّ له بالإمامة، و أشهد أنّه حجةالله من بعدك على خلقه، و الداعي إلى دينه، فقال لي: يا محمّد، يمدّالله في عمرك و تدعو إلى إمامته و إمامة من يقوم مقامه من بعده، فقلت: و من ذاك جعلت فداك؟ قال: محمّد ابنه، قلتُ: بالرِّضا و التسليم، فقال: كذلك وجدتك في صحيفة أميرالمؤمنين عليه السلام، أما إنّك في شيعتنا أبينُ من البرق في الليلة الظلماء.

ثم قال عليه السلام: يا محمّد، إنَّ المفضل أنسي و مستراحي، و أنت أنسهما و مستراحهما، حرام على النار أن تمسك أبداً ـ يعني أبا الحسن الرضا عليه السلام و أبا جعفر عليه السلام[٢].

---

(١) اختيار معرفة الرجال ٢: ٧٩٢ / ٩٦٣.

(٢) اختيار معرفة الرجال ٢: ٧٩٦ ـ ٧٩٧ / ٩٨٢، الكافي ١: ٣١٩ / ح ١٦، عيون أخبار الرضا ٢: ٤٠ ـ ٤١ / ح ٢٩.

و أمّا المفضل بن عمر الجعفي فهو أشهر من نار على علم، و وثاقته و علوّ شأنه كالشمس في رابعة النهار.

فقد وردت في حقّه مدائح عظيمة عن ثلاثة من الأئمة المعصومين، و هم الإمام الصادق و الإمام الكاظم و الإمام الرضا عليهم السلام، تدل على علوّ شأنه و سامي مكانته، خصوصاً إذا لوحظت مروياته الدالّة على عالي مرتبته و سلامة عقيدته و تثبّته في أمور التوحيد و النبوة و الإمامة.

و الروايات المادحة كثيرة جدّاً بحيث تحقّق العلم بوثاقة الرجل و أنّه محلّ إجلال و إكبار الأئمة، فلا تقاومها بعض الروايات الذامّة الصادرة على بعض وجوه المصالح.

ما روي عن الصادق عليه السلام في حقه:

روى الشيخ المفيد بسنده الصحيح، عن عبدالله بن الفضل الهاشمي، قال: كنت عند الصادق جعفر بن محمد عليه السلام، إذ دخل المفضّل بن عمر، فلمّا بصر به ضحك إليه، ثمّ قال: إليَّ يا مُفضّل، فو ربّي إنّي لأُحبّك و أُحبّ من يحبّك، يا مفضل لو عرف جميعُ أصحابي ما تعرف ما اختلف اثنان، فقال له المفضّل: يابن رسول‌الله، لقد حسبتُ أن أكون قد أنزلتُ فوقَ منزلتي، فقال عليه السلام: بل أُنزلتَ المنزلة التي أنزلك الله بها[1] ...

و روى الكشي بسنده عن المفضّل بن عمر، قال: سمعتُ أبا عبدالله عليه السلام يوماً و قد دخل عليه الفيض بن المختار ... فقال له الفيض: إني لأجلس في حلقهم بالكوفة

---

(١) الاختصاص: ٢١٦ / حديث المفضل و خلق أرواح الشيعة من الأئمة عليهم السلام.

فأكاد أشك في اختلافهم في حديثهم، حتى أرجع إلى المفضّل بن عمر فيوقفني من ذلك على ما تستريح إليه نفسي و يطمئن إليه قلبي، فقال أَبو عبدالله عليه السلام: أجل هو كما ذكرتَ يا فيض[١] ...

و روى بسنده عن علي بن الحسين العبيدي، قال: كتب أبو عبدالله عليه السلام إلى المفضّل بن عمر الجعفي حين مضى عبدالله بن أبي يعفور: يا مفضّل، عهدتُ إليك عهدي كان إلى عبدالله بن أبي يعفور، فمضى موفياً للّه عزوجل و لرسوله و لإمامه بالعهد المعهود للّه[٢] ...

و روى الكليني بسنده عن المفضل، قال: قال لي أبو عبدالله عليه السلام: اكتب و بُثّ علمك في إخوانك، فإن مُتَّ فأورث كتبك بنيك، فإنّه يأتي على الناس زمان هرج لا يأنسون فيه إلّا بكتبهم[٣].

و روى أيضاً بسنده عن المفضل، قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: إذا رأيت بين اثنين من شيعتنا منازعة فافتدهما من مالي[٤].

و روى أيضاً بسنده عن أبي حنيفة سابق الحاج، قال: مرّ بنا المفضل و أنا و ختني نتشاجر في ميراث، فوقف علينا ساعة، ثم قال لنا: تعالوا إلى المنزل، فأتيناه فأصلح بيننا بأربعمائة درهم فدفعها إلينا من عنده، حتّى إذا استوثق كل واحد منا من صاحبه، قال: أَمَا إنّها ليست من مالي، و لكنْ أبو عبدالله عليه السلام أمرني إذا تنازع رجلان من أصحابنا في شيء أن أُصلح بينهما و أفتديهما من ماله، فهذا من مال أبي

---

(١) اختيار معرفة الرجال ١: ٣٤٧ / ٢١٦.

(٢) اختيار معرفة الرجال ٢: ٥١٨ / ٤٦١.

(٣) الكافي ١: ٥٢ /ح ١١.

(٤) الكافي ٢: ٢٠٩ /ح ٣.

عبدالله عليه السلام[١].

و روى الكشي و الطوسي بسنديهما عن هشام بن أحمر، قال: دخلت على أبي عبدالله عليه السلام ـ و أنا أريد أن أسأله عن المفضّل بن عمر ـ و هو في ضيعة له في يوم شديد الحر و العرق يسيل على صدره، فابتدأني فقال: نِعْمَ ـ و الله الذي لا إله إلّا هو ـ الرجل المفضّل بن عمر الجعفي، حتّى أحصيت نيفاً و ثلاثين مرّة يقولها و يكرّرها، و قال: إنما هو والد بعد والد[٢].

و روى الكشي بسنده عن بشير الدهان، قال: قال أبو عبدالله عليه السلام لمحمد بن كثير الثقفي: ما تقول في المفضّل بن عمر؟ قال: ما عسيتُ أن أقول فيه، لو رأيت في عنقه صليباً و في وسطه كستيجاً لعلمتُ أنّه على الحق بعد ما سمعتك تقول فيه ما تقول. قال عليه السلام: رحمه‌الله لكن حجر بن زائدة و عامر بن جذاعة أتياني فشتماه عندي، فقلت لهما: لا تفعلا فاني أهواه، فلم يقبلا، فسألتهما و أخبرتهما أنّ الكفّ عنه حاجتي فلم يفعلا، فلا غفر الله لهما، أما إني لو كرمتُ عليهما لكرم عليهما من يكرم عَلَيَّ[٣]...

و روى الكليني بسنده عن يونس بن ظبيان، قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: ألا تنهى هذين الرجلين عن هذا الرجل؟ فقال: من هذا الرجل؟ و من هذين الرجلين؟ قلت: ألا تنهى حجر بن زائدة و عامر بن جذاعة عن المفضّل بن عمر، فقال عليه السلام: يا يونس قد سألتهما أن يكفّا عنه فلم يفعلا، فدعوتهما و سألتهما و كتبت

---

(١) الكافي ٢: ٢٠٩ /ح ٤.

(٢) اختيار معرفة الرجال ٢: ٦١٤ / ٥٨٥، الغيبة للطوسي: ٣٤٦ - ٣٤٧ /ح ٢٩٧.

(٣) اختيار معرفة الرجال ٢: ٦١٢ - ٦١٣ / ٥٨٣. و مثله في ٢: ٦١٣ - ٦١٤ / ٥٨٤ بسنده عن بشير النبال.

إليهما و جعلته حاجتي إليهما فلم يكفّا عنه، فلا غفر الله لهما ... أما و الله لو أَحبّاني لأَحبّا من أُحبّ[١].

و في رجال الكشي: حكى نصر بن الصباح، عن ابن أبي عمير بإسناده: أنّ الشيعة حين أحدث أبو الخطّاب ما أحدث خرجوا إلى أبي عبدالله عليه السلام فقالوا: أقِم لنا رجلا نفزع إليه في أمر ديننا و ما نحتاج إليه من الأحكام، قال عليه السلام: لا تحتاجون إلى ذلك، متى ما احتاج أحدكم عرج إليّ وسمع منّي و ينصرف، فقالوا: لا بدَّ. فقال عليه السلام: قد أقمت عليكم المفضل، اسمعوا منه واقبلوا عنه، فإنه لا يقول على الله و عَلَيَّ إلّا الحقّ، فلم يأتِ عليه كثير شيء حتّى شنَّعوا عليه و على أصحابه، و قالوا: أصحابه لا يصلّون و يشربون النبيذ و هم أصحاب الحَمام و يقطعون الطريق، والمفضل يقرّبهم و يدنيهم[٢].

و روى الكليني بسنده عن يونس بن يعقوب، قال: أمرني أبو عبدالله عليه السلام أن آتي المفضل و أعزّيه بإسماعيل، و قال: أقرئ المفضّل السلام و قل له: إنا قد أصبنا بإسماعيل فصبرنا، فاصبركما صبرنا، إنّا أردنا أمراً وأراد الله أمراً، فسلَّمنا لأمر الله[٣].

قال السيّد الخوئي رحمه الله: هذه الرواية تدل على شدة علاقة الصادق عليه السلام بالمفضّل ابن

---

(١) الكافي ٨: ٣٧٣ ـ ٣٧٤ / ٥٦١. و رواه الكشي في اختيار معرفة الرجال ٢: ٦٢١ / ٥٩٨ مختصراً بسنده عن يونس بن ظبيان، قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: جعلت فداك لو كتبت إلى هذين الرجلين بالكف عن هذا الرجل فإنهما له مؤذيان، فقال: إذن أغريهما به... أما و الله لو كرمت عليهما لكرم عليهما من أقرّب و أُوثر.

(٢) اختيار معرفة الرجال ٢: ٦٢٠ / ٥٩٢.

(٣) الكافي ٢: ٩٢ / ح ١٦.

عمر، و الرواية صحيحة[١].

ما روي عن الكاظمعليه السلام في حقه:

روى الكشي بسنده عن صفوان، قال: بلغ من شفقة المفضل أنّه كان يشتري لأبي الحسنعليه السلام الحيتان، فيأخذ رؤوسها و يبيعها و يشتري له حيتاناً؛ شفقةً عليه[٢].

و روى بسنده عن خالد بن نجيح الجوان، قال: قال لي أبو الحسنعليه السلام: ما يقولون في المفضّل بن عمر؟ قلت: يقولون فيه هَبْهُ يهودياً أو نصرانيّاً و هو يقوم بأمر صاحبكم، قال: ويلهم ما أخبث ما أنزلوه، ما عندي كذلك، و ما لي فيهم مثله[٣].

و روى الكشي و الطوسي بسنديهما عن موسى بن بكر، قال: كنت في خدمة أبي الحسنعليه السلام و لم أكن أرى شيئاً يصل إليه إلّا من ناحية المفضّل بن عمر، و لربّما رأيتُ الرجل يجيء بالشيء فلا يقبله منه و يقول: أوصله إلى المفضل[٤].

و روى الكشي و الكليني و الصدوق بأسانيدهم عن محمد بن سنان، قال: دخلت على أبي الحسن موسىعليه السلام قبل أن يحمل إلى العراق بسنة، و عليٌّ ابنهعليه السلام بين يديه، فقال لي: يا محمد، قلتُ: لبيك، قال: إنّه سيكون في هذه السنة حركة ولا تخرج منها ... ثم قال: يا محمّد إنّ المفضّل أُنْسي و مستراحي[٥]...

---

(١) معجم رجال الحديث ١٩: ٣٢٦.

(٢) اختيار معرفة الرجال ٢: ٦٢١ / ٥٩٦.

(٣) اختيار معرفة الرجال ٢: ٦٢٠ / ٥٩٤.

(٤) اختيار معرفة الرجال ٢: ٦٢٠ ـ ٦٢١ / ٥٩٥، الغيبة للطوسي: ٣٤٧ / ح ٢٩٩.

(٥) اختيار معرفة الرجال ٢: ٧٩٦ ـ ٧٩٧ / ٩٨٢، الكافي ١: ٣١٩ / ح ١٦، عيون أخبار الرضا ٢: ٤٠ / ح ٢٩.

و روى الكشي بسنده عن عيسى بن سليمان، عن أبي إبراهيمعليه السلام، قال: قلتُ: جعلني الله فداك، خلّفتُ مولاك المفضّل عليلاً، فلو دعوت له، قالعليه السلام: رحم الله المفضّل قد استراح، قال: فخرجتُ إلى أصحابنا فقلت لهم: قد ـ و الله ـ مات المفضّل، قال: ثمّ دخلتُ الكوفة و إذا هو قد مات قبل ذلك بثلاثة أيّام(١).

و روى بسنده عن موسى بن بكر، قال: سمعتُ أبا الحسنعليه السلام يقول لما أتاه موت المفضّل بن عمر: رحمهالله كان الوالد بعد الوالد(٢).

ما روي عن الرضاعليه السلام في حقّه:

روى الكشي بسنده عن محمد بن حبيب، قال: حدثني بعض أصحابنا ممن كان عند أبي الحسن الرضاعليه السلام جالساً، فلما نهضوا قال لهم: القوا أبا جعفرعليه السلام فسلّموا عليه و أحدثوا به عهداً، فلما نهض القوم التفت إليّ و قال: يرحمُ الله المفضل، إن كان ليكتفي بدون هذا(٣).

هذه المدائح كلّها و الترحّمات و التوثيقات الضمنية عن ثلاثة من الأئمةعليهم السلام، تتلوها أقوال كبار علماء الطائفة و رجاليّيها، حيث عدّه الشيخ المفيدرحمه الله من خاصّة أبي عبداللهعليه السلام و بطانته و ثقاته الفقهاء الصالحين ممن روى النصّ بالإمامة من أبي عبداللهعليه السلام على ابنه أبي الحسن موسىعليه السلام(٤).

---

(١) اختيار معرفة الرجال ٢: ٦٢١ / ٥٩٧.

(٢) اختيار معرفة الرجال ٢: ٦١٢ / ٥٨٢.

(٣) اختيار معرفة الرجال ٢: ٦٢٠ / ٥٩٣. و رواه الكليني في الكافي ١: ٣٢ / ح ١ بسنده عن علي بن محمد، عن سهل بن زياد، عن محمد بن الوليد، عن يحيى بن حبيب الزيات، قال: أخبرني من كان عند أبي الحسن الرضاعليه السلام ...

(٤) الإرشاد ٢: ٢١٦.

و قد روى له ابن قولويه في كامل الزيارات في عدّة مواضع، فهو من الموثّقين له على من يلتزم هذا المبنى[١].

و ذكره الشيخ الطوسي في المحمودين المختصين بالأئمة، حيث قال في كتاب الغيبة: فصل في ذكر طرف من أخبار السفراء الذين كانوا في حال الغيبة، و قبل ذكر من كان سفيراً حال الغيبة نذكر طرفاً من أخبار من كان يختصّ بكلّ إمام و يتولّى له الأمر ... فمن المحمودين حمران بن أعين ... و منهم المفضّل بن عمر[٢].

و عدّه ابن شهر آشوب من خواص أصحاب الصادق عليه السلام في باب إمامة الصادق عليه السلام[٣]، و عدّه من الثقات الذين رووا صريح النصّ على موسى بن جعفر عليه السلام من أبيه عليه السلام[٤]، كما ذكر أن المفضّل بن عمر الجعفي كان باب موسى بن جعفر عليه السلام[٥].

و عدّه الشيخ في رجاله، تارة في أصحاب الصادق عليه السلام[٦]، و أُخرى في أصحاب الكاظم عليه السلام[٧]، كما ذكره في الفهرست قائلا: المفضّل بن عمر، له وصيّة يرويها[٨] ...

و عدّه البرقي في أصحاب الصادق عليه السلام، قائلا: المفضّل بن عمر الجعفي، مولى، كوفي[٩] ...

و هذا كلّه لا تقاومه بعض الطعون الواردة فيه، إذ أنّها مضافاً إلى انحصارها في

---

(١) انظر كامل الزيارات: ٨٩ / الباب ١٠ ـ ح ٢، و ص ٢٤٨ / الباب ٤٧ ـ ح ٤، و غيرهما.

(٢) الغيبة للطوسي: ٣٤٦ / الفصل ٦.

(٣) مناقب ابن شهر آشوب ٣: ٤٠٠ / باب إمامة الصادق عليه السلام.

(٤) مناقب ابن شهر آشوب ٣: ٤٣٦ / فصل في معالي أموره عليه السلام.

(٥) مناقب ابن شهر آشوب ٣: ٤٣٨ / فصل في أحواله و تواريخه عليه السلام.

(٦) رجال الطوسي: ٣١٤ / ٥٥٤.

(٧) رجال الطوسي: ٣٦٠ / ٢٣.

(٨) الفهرست: ٢٥١ / ٧٥٨.

(٩) رجال البرقي: ٩٠ / رقم ٨٦٧.

زمان الصادق عليه السلام ـ مما يدلّ على أنّها صدرت تقية و حفاظاً عليه، شأنها شأن الطعون الصادرة في حقّ زرارة و أمثاله ـ لا تتعدى رميه بالخطابية و الإسماعيلية والغلو، و كلّها مردودة غير ثابتة، فقد نفى الأعلام هذه المنسوبات إليه، و احتمل بعضهم أنّه صار خطابيا مدة ثم رجع عن ذلك، و هذا غير قادح فيه.

على أنّ القدح فيه جاء عن ابن الغضائري الذي لا اعتداد بكتابه و لا بقدوحه، و عن النجاشي و هو لا يقاوم التوثيقات المارّة الذكر.

قال أبو علي في منتهى المقال: و يظهر من أخباره أنّه كان في الغالب على حسن العقيدة، و على تقدير كونه خطّابيّاً يكون ذلك في وقت ما فلا يضرّ، نظير نظرائه من البزنطي و ابن المغيرة و ابن الوشاء، فظهر الجواب عن سائر ماورد في ذمّه بوروده في تلك الأوقات.

و في الكافي في باب الصبر في الصحيح عن يونس بن يعقوب، قال: أمرني أبو عبدالله عليه السلام أن آتي المفضّل و أعزّيه بإسماعيل، و قال: أقرئ المفضّل السلام و قل له: إنا قد أصبنا بإسماعيل فصبرنا، فاصبركما صبرنا ...

ثم قال: أقول: أمّا ما ذكره في الخلاصة فيه من القدح فهو بأجمعه كلام الغضائري كما نقله عناية الله القهبائي، و تضعيف النجاشي معارضٌ بتعديل المفيد في الإرشاد والشيخ في الغَيبة، و الأخبار و إن كانت متعارضة إلّا أنّ أخبار المدح أقرب إلى السلامة و أبعد من التهمة، فإن كان و لا بدّ فلتحمل أخبار الذم على أوّل أمره ... والشاهد خبر حماد[1].

---

(١) في اختيار معرفة الرجال ٢: ٦١٢ / ٥٨١ روى بسنده عن حماد بن عثمان، قال: سمعتُ اباعبدالله عليه السلام يقول للمفضل بن عمر الجعفي: يا كافر يا مشرك، مالك و لا بني - يعني إسماعيل بن جعفر ـ و كان منقطعاً إليه يقول فيه مع الخطابية، ثمّ رجع بعد.

و قال في التحرير الطاووسي: ورد في مدحه و ذمّه آثار، و قال حماد بن عثمان أنّه رجع بعد، انتهى. فاحتمال الكشي استقامته أوّلاً ثم صيرورته خطّابيّاً خطأٌ، و ممّا ينادي بذلك الصحيح المذكور عن الكافي عن يونس بن يعقوب المتضمن لقراءة الإمام عليه السلام السلام عليه، فإنه بعد موت إسماعيل، و أخبار الذم أكثرها في أيّام حياته. و أمّا كونه غالياً فشيءٌ يُقطع بفساده[1].

و قال المامقاني في تنقيح المقال: المفضّل بن عمر الجعفي، أبو عبدالله ... و قد وقع الخلاف في الرجل على قولين: أحدهما أنّه ثقة، و هو الذي صرّح به الشيخ المفيد بقوله في الارشاد: ممن روى النصّ عن أبي عبدالله عليه السلام على ابنه أبي الحسن موسى عليه السلام من شيوخ أصحاب أبي عبدالله و خاصته و بطانته و ثقاته الفقهاء الصالحين رحمهم‌الله المفضّل بن عمر الجعفي ... و هو نصٌّ في توثيقه الرجل، و عن غيبة الطوسي أنّه كان من قوّام الأئمة و كان محموداً عندهم و مضى على منهاجهم، و ظاهر المحقق الوحيد أيضاً الاعتماد عليه. ثانيهما: إنّه ضعيف، و هو الّذي صرّح به جماعة، قال ابن الغضائري ... و قال النجاشي ...

حجة القول الأوّل الأخبار المستفيضة الواردة في مدحه ... إلى غير ذلك من الأخبار الدالّة على عدالة الرجل و جلالته و بذل غاية جهده في خدمات إمامه وكونه مستريحاً بالموت، المؤيّد بكونه كثير الرواية و سديدها، و كون الكتب المعتبرة مملوءة من أخباره، و كون رواياته متلقّاة بالقبول مفتى بها، و قصور سند جملة من الأخبار المزبورة الواردة في مدحه غير ضائر بعد تعاضدها و تجابرها، بل تواترها معنىً ...

---

(١) منتهى المقال ٦: ٣١٦ ـ ٣١٨.

حجة القول الثاني أمورٌ: منها رمي غير واحد إيّاه بالغلوّ ... و فيه أنّا بيّنّا غير مرّة أنّ رمي القدماء الرجل بالغلوّ لا يعتمد عليه و لا يُركن إليه، لوضوح كون القول بأدنى مراتب فضائلهم غلوّاً عند القدماء ... و لقد أجاد المحقق الوحيد حيث قال: إنّ رواياته الكثيرة في كتب الأخبار و الرجال صريحة في خلاف الغلو.

و منها نسبة الخطّابية إليه ... و كيف يعقل ترحّم الإمام عليه السلام على من كان خطّابيّاً و إخباره بأنّه استراح بالموت بنيل الروح و الريحان، و كيف يعقل كون الخطابي أنسه و مستراحه، أم كيف يعقل تشبيهه إياه بالوالد ... و الأخبار الدالة على كونه وكيل الكاظم عليه السلام في قبض الأموال على وجهٍ ما كان يصل إليه شيء إلّا من قِبَلِهِ، وكان يأمر من أتاه بالمال أن يسلمه إلى المفضّل. و إن أراد [الكشي] أنّه صار خطّابيّاً مدّة ثم رجع ـ كما هو صريح ما رواه هو [أي الكشي] من رواية حماد بن عثمان، ففيه أنّ صيرورته خطّابيّاً مدّة ـ بشبهة عرضت له ـ ثمّ رجوعه عن ذلك بعد تبيّن الحق له و توبته عما كان عليه غير قادح في الرجل(١) ...

و قال السيّد الخوئي رحمه الله في معجم الرجال الحديث: و الذي يتحصل مما ذكرنا أنّ نسبة التفويض و الخطّابية إلى المفضّل بن عمر لم تثبت ... و أمّا الروايات الواردة في ذمّه فلا يُعتدّ بما هو ضعيف السند منها، نعم إنّ ثلاث روايات منها تامّة السند، إلّا أنّه لابدّ من ردّ علمها إلى أهلها، فإنها لا تقاوم ما تقدم من الروايات الكثيرة المتضافرة، التي لا يبعد دعوى العلم بصدورها عن المعصومين إجمالاً، على أنّ فيها ما هو الصحيح سنداً، فلا بدّ من حملها على ما حملنا عليه ما ورد من الروايات في ذم زرارة و محمد بن مسلم و بُريد بن معاوية و أضرابهم.

---

(١) تنقيح المقال ٣: ٢٣٨ ـ ٢٤٠.

و يؤكد ذلك أنّ الاختلاف إنّما هو في الروايات التي رويت عن الصادقعليه السلام، وأما ما روي عن الكاظم و الرضاعليهما السلام فكلّها مادحة على ما تقدّم، و هذا يكشف عن أنّ القدح الصادر عن الصادقعليه السلام إنّما كان لِعِلَّةٍ.

و يكفي في جلالة المفضّل تخصيص الإمام الصادقعليه السلام إيّاه بكتابه المعروف بتوحيد المفضّل... و في ذلك دلالة واضحة على أنّ المفضّل كان من خواصّ أصحابه و مورد عنايته.

أضف إلى ذلك ما تقدّم من توثيق ابن قولويه و الشيخ المفيد إيّاه صريحاً، و من عدّ الشيخ إيّاه من السفراء الممدوحين ... و النتيجة أنّ المفضّل بن عمر جليلٌ ثقة[1].

و الذي يؤكّد جلالة و وثاقة و عظمة المفضّل بن عمر، و ينفي عنه شبهة الخطّابية، أنّ الكبار من علماء العامّة عدّوه من رؤساء الشيعة الإمامية و من ذوي الأقدار فيهم، و عدّوه في عداد زرارة و عمار الساباطي، بل سمّوا القائلين بإمامة موسى بن جعفرعليه السلام فرقة «موسوية مفضّلية»، و هذا يؤكد عدم إسماعيليته و عدم خطّابيته.

قال أبو الحسن الأشعري المتوفى سنة ٣٣٠ هـ: و القائلون بإمامة موسى بن جعفر يُدْعَونَ الموسائية [كذا، و الصواب: الموسوية] لقولهم بإمامة موسى بن جعفر، ويُدعَون المفضّلية؛ لأنهم نُسبوا إلى رئيس لهم يقال له: المفضّل بن عمر، و كان ذا قَدْرٍ فيهم[2].

و قال الشهرستاني المتوفى سنة ٥٤٨ هـ: الموسوية و المفضّلية فرقة واحدة قالت

---

(١) معجم الرجال الحديث ١٩: ٣٢٨ ـ ٣٢٩.

(٢) مقالات الإسلاميين ١: ١٠٤.

بإمامة موسى بن جعفر نصّاً عليه بالاسم... وكان موسى هو الذي تولّى الأمر و قام به بعد موت أبيه، رجعوا إليه و اجتمعوا عليه، مثل: المفضّل بن عمر، و زرارة بن أعين، و عمّار الساباطي(١).

و أخيراً، فإن المفضّل بن عمر من وجهاء الطائفة و كبارها وثقاتها، و إخلاصه لأئمته، و ملازمته لهم، و رواياته الكثيرة عنهم، تحكي كلّها عن عظمة هذا الرجل وإخلاصه و تفانيه و تحمّله المتاعب و الأدوار الخطيرة في سبيل معتقده الحق، فرحم الله المفضل عدد ما ترحّم عليه الأئمة عليهم السلام.

و من كل ما تقدم يُعلم أنّ سند النجاشي إلى كتاب التوحيد هو سند صحيح أو حَسَنٌ، فقول السيّد الخوئي رحمه الله: «و الطريق الّذي ذكره [النجاشي] إلى كتبه ضعيف»(٢) آتٍ من تشدّده المتزايد، إذ يبدو أنّ تضعيفه للسند إنّما هو لجهالة أحمد ابن محمد بن يحيى العطار عنده، و قد عرفت أنّه ثقة، و لعدم اعتماده على محمد بن سنان الزاهري، و تد علمت أنّ الصواب خلافه.

السند الثاني

قال الحرّ العاملي رحمه الله في إجازته للفاضل المشهدي: و أجزتُ له أن يروي عنّي كتاب التوحيد و كتاب الاهليلجة و غير هما من روايات المفضل بن عمر، بالسند السابق عن الصدوق، عن محمد بن الحسن بن الوليد، عن الحسن بن متّيل، عن أحمد

---

(١) الملل و النحل ١: ١٤٩ - ١٥٠.

(٢) معجم رجال الحديث ١٩: ٣٣٠.

ابن أبي عبدالله، عن أبيه، عن محمّد بن سنان، عن المفضل بن عمر[١].

و هذا السند هو سند الصدوق في المشيخة، حيث قال: و ما كان فيه عن المفضل ابن عمر فقد رويته عن محمد بن الحسن[٢] ... إلخ.

و هذا الطريق صحيح بناء على وثاقة محمد بن سنان، و إلاّ فهو ضعيف[٣]، غير أنّ هذا السند مختصّ بروايات المفضل في الفقيه، و قد تتبعناها فلم نَرَ فيها و لا رواية عن التوحيد، بل تتبعنا كتب الصدوق ـ و خصوصاً كتابه التوحيد ـ فلم نَرَ رواية بهذا الإسناد، فالظاهر أنّ تعميم الحرّ العاملي ﷺ هذا الإسناد إلى كتاب توحيد المفضّل و الاهليلجة فيه تساهل.

و أمّا سند المجلس الخامس

فإنّ **أبا الحسن محمد بن علي الحلّي**[٤] هو تلميذ الحسين بن حمدان الخُصيبي، و من أعلام طائفة العلويين، و لم نقف له على ترجمة في كتب أصحابنا، غير أنّ في مقدّمة كتاب الهداية الكبرى نقلاً عن مصادر العلويين ذكر في وفاة الخصيبي ما نصُّه: و شهد وفاته بعض تلامذته و مريديه، منهم أبو محمد القيس البديعي، و أبو محمد الحسن بن محمد الاعزازي، و أبوالحسن محمد بن علي

---

(١) إجازة الحرّ العاملي للفاضل المشهدي المطبوعة في البحار ١١٠ : ١١٩ ـ ١٢٠.

(٢) من لا يحضره الفقيه ٤: ٤٣٥.

(٣) قال السيد الخوئي في معجم رجال الحديث ١٩: ٣٣٠ و الطريق كطريق الشيخ إليه ضعيف و ليس في هذا الطريق ما يصح للطعن غير محمد بن سنان.

(٤) في خاتمة المستدرك: «الحسين بن محمد بن علي الحلي». و الصواب أنّه أبو الحسن ـ أو الحسين ـ محمد بن علي الجلّي.

الجلّي[١]، و دفن في حلب[٢] ...

و في نسخة من ديوان الخصيبي: ديوان قدوة الزمان و إمام الوقت و الأوان، السيد أبي عبدالله الحسين بن حمدان، عليه الرحمة و الرضوان، و هو مما رواه الشابّ الثقة أبو سعيد ميمون بن قاسم الطبراني، قال: أنشدني الشيخ الثقة أبوالحسين محمد بن علي الجلّي قدس الله روحه بحلب سنة ٣٩٩ تسعة و تسعين و ثلاثمائة، قال: سمعته من الشيخ الخصيبي قدس الله روحه و شرّف مقامه تحت قلعة حلب[٣] ...

و أمّا أبو عبدالله الحسيني[٤] **بن أحمد الصيني**، فهو مصحّف عن أبي عبدالله الحسين بن حمدان الخُصيبي، المولود سنة ٢٦٠ هـ، و المتوفّى سنة ٣٣٤ هـ أو ٣٤٦ هـ أو ٣٥٨ هـ[٥]، و آخرها أصوبها.

قال النجاشي: كان فاسد المذهب، له كتب، منها: كتاب الاخوان، كتاب المسائل، كتاب تاريخ الأئمة، كتاب الرسالة تخليط[٦].

و قال ابن الغضائري: كذاب، فاسد المذهب، صاحب مقالة ملعونة، لا يلتفت إليه[٧].

---

(١) هكذا ضبطت ضبط قلم بالجيم، و هي نسبة صحيحة. انظر إكمال الكمال ٢: ١١١ و ١١٣.

(٢) مقدمة الهداية الكبرى: ٥.

(٣) الصفحة الأولى من النسخة ب من ديوان الخصيبي، الموجودة صورتها في أوّل ديوانه: ٢٤.

(٤) و في خاتمة المستدرك: الحسين، و هو الصواب.

(٥) انظر الذريعة ١: ٣٢٠ / ١٦٥٧، و مقدمة الهداية الكبرى: ٥، ومقدمة ديوان الخصيبي: ٩.

(٦) رجال النجاشي: ٦٧ / ١٥٩.

(٧) مجمع الرجال ٢: ١٧٢.

و قال الشيخ الطوسي: روى عنه التلعكبري[١]، سنة ٣٤٤ هـ[٢].

و قد دافع عنه بعض المتأخّرين، كالسيد الأمين في أعيان الشيعة[٣]، و الظاهر أنّ عمدة القدح فيه هو فساد المذهب و التخليط، و أمّا كونُهُ كذّاباً كما سمعت عن ابن الغضائري، أو كونه قائلاً بالتناسخ و الحلول كما عن ابن حجر، فلا دليل عليه، وكأنّه لذاك لم يقدحه الشيخ الطوسي.

قال ابن حجر: الحسين بن حمدان بن الخطيب الخصيبي، أحد المصنفين في فقه الإمامية، ذكره الطوسي و النجاشي و غيرهما، و له من التآليف: أسماء النبي و أسماء الأئمة و الاخوان و المائدة، و روى عنه أبو العباس ابن عقدة و أثنى عليه، و قيل أنّه كان يؤمّ سيف الدولة، و له أشعار في مدح أهل البيت، و ذكر ابن النجاشي أنّه خلّط وصنف في مذهب النصيرية واحتج لهم، قال: و كان يقول بالتناسخ و الحلول[٤].

و في كلامه هذا افتراء على النجاشي إذ ليس من هذا الكلام عين و لا أثر في كتابه، كما أنّ في كلامه افتراء على الخُصيبي من أنّه قائل بالتناسخ و الحلول إذ لا أثر لذلك فيما وقفنا عليه من مؤلفاته و مروياته[٥].

و أمّا جعفر بن مالك الفزاري الكوفي، فقد وقع الاختلاف فيه، و الصواب أنّه ثقة. توفّي حُدود سنة ٣٠٠ هـ.

---

(١) رجال الشيخ الطوسي: ٤٢٣ / ٦٠٩٨.

(٢) الذريعة ١: ٣٨٢ / ١٩٧٨

(٣) اعيان الشيعة ٥: ٤٩٠ ـ ٤٩١.

(٤) لسان الميزان ٢: ٢٧٩ ـ ٢٨٠.

(٥) انظر الهداية الكبرى، و ديوان الخصيبي، و أخبار يوم الغدير، كلّها للخصيبي و هي مطبوعة.

قال الشيخ الطوسي: جعفر بن محمد بن مالك، كوفيّ ثقة، و يضعّفه قوم، روى في مولد القائم عليه السلام أعا جيب(١).

و قال الكوفي في الاستغاثة: حدثنا جماعة من مشايخنا الثقات منهم جعفر بن محمد بن مالك الكوفي(٢).

و قد روى عنه أبو علي بن همام و أبو غالب الزّراري و علي بن ابراهيم، و هو يكشف عن توثيقه.

و كان أُستاذ الحسين الخصيبي حيث أكثر الرواية عنه في الهداية الكبرى، و قال: و كان جعفر بن مالك راوياً علوم آل محمد عليهم السلام، و كان الحسن عمّه من فقهاء شيعة آل محمّد عليهم السلام(٣).

قال النجاشي: كان ضعيفاً في الحديث. قال أحمد بن الحسين [الغضائري]: كان يضع الحديث وضعاً، و يروي عن المجاهيل. و سمعت من قال: كان أيضا فاسد المذهب و الرواية. و لا أدري كيف روى عنه شيخنا النبيل الثقة أبو علي بن همام، وشيخنا الجليل الثقة أبو غالب الزُّراري رحمها الله(٤).

و قال ابن الغضائري: كذاب، متروك الحديث جملة، و كان في مذهبه ارتفاع، ويروي عن الضعفاء و المجاهيل، و كلُّ عيوب الضعفاء مجتمعة فيه(٥).

و ذكر النجاشي في ترجمة محمد بن أحمد بن يحيى استثناء ابن الوليد و الصدوق

---

(١) رجال الشيخ الطوسي: ٤٥٨ / ٤ في من لم يرو عن الأئمة.

(٢) الاستغاثة في بدع الثلاثة ٢: ٧٦.

(٣) الهداية الكبرى: ٧٠ / ح ٢٤.

(٤) رجال النجاشي: ١٢٢ / ٣١٣.

(٥) مجمع الرجال ٢: ٤٢.

من رواياته ما رواه عن جمع منهم جعفر بن محمد بن مالك، و استصواب أبي العباس ابن نوح استثناءهما[١].

قال المامقاني: و تحقيق المقال أنّ الأقوى كون الرجل ثقة، اعتماداً على توثيق الشيخ المؤيّد بأمور، فمنها: كشف رواية أبي علي بن همام و أبي غالب الزراري عنه عن توثيقهما إيّاه كما لوّح إليه النجاشي ... و منها ما عن كتاب الاستغاثة في بدع الثلاثة ... و منها رواية البزوفري و ابن عقدة عنه و كونه كثير الرواية و إكثار المشايخ الرواية عنه، فلا شبهة لنا في لزوم الاعتماد على توثيق الشيخ المؤيّد بما عرفت[٢] ...

ثمّ قال ما ملخّصه: إنّ النجاشي لم يضعفه، و إنما قال أنّ أحاديثه ضعيفة من جهة تضمّنها الأعاجيب، و كلام ابن الغضائري لا قيمة له، و نسبة الغلو و الارتفاع إليه باطلة؛ إذ كثيراً ما كانوا يضعّفون و يرمون بالارتفاع من يروي روايات فيها مقامات لا يدركونها، و إلى ذلك أشار الشيخ الطوسي، هذا إن لم يكن منشأ تضعيف النجاشي هو تضعيف ابن الغضائري.

و أمّا استثناء ابن الوليد و الصدوق و استصواب ابن نوح، فإنّ ذلك ليس لضعف جعفر بن محمد بن مالك، و إنّما لخصوصية في الروايات، و يشهد له أنّ في المستثنَين من هو مسلَّم الثقة و العدالة و الضبط، كما يشهد له أنّ الصدوق روى عن جعفر بن محمد بن مالك روايات كثيرة بغير طريق محمد بن أحمد بن يحيى[٣].

---

(١) انظر رجال النجاشي: ٣٤٨ / ٩٣٩. و انظر الفهرست: ١٤٥ / ٦١١.

(٢) تنقيح المقال ١: ٢٢٥ ـ ٢٢٦.

(٣) تنقيح المقال ١: ٢٢٦. و انظر تهذيب المقال ٤: ٤٢١ ـ ٤٦٤.

و **أمّا عبدالله بن يونس الموصلي**، فلم نقف له على ترجمة، نعم هناك أخوان راويان ثقتان، سمع منهما التلعكبري سنة ٣٢٦ هـ، و هما أبوالحسن عبدالعزيز بن عبدالله بن يونس الموصلي[١]، و أبوالقاسم عبدالواحد بن عبدالله بن يونس الموصلي[٢].

و هناك راو باسم عبدالله بن يونس السبيعي، روى عن المفضل بن عمر، و روى عنه محمد بن شهاب،[٣] و نفس هذا الرواي روى الخصيبي في الهداية الكبرى عن جعفر بن محمد بن مالك الفزاري، عنه، عن المفضل بن عمر[٤]، كما روى عن جعفر ابن محمد بن مالك، عنه (باسم عبدالله السبيعي) عن المفضل بن عمر[٥] و لعلّ السبيعي هو نفسه الموصلّي، و أنّه هو والد عبدالعزيز و عبد الواحد الموصليّان، يؤيد ذلك ما في أمالي المفيد و أمالي الطوسي «عبدالواحد بن عبدالله بن يونس الربعي، قال: حدثنا الحسين بن محمد بن عامر»[٦]، فإنّ عبدالواحد هذا هو نفسه أبوالقاسم عبدالواحد بن عبدالله بن يونس الموصلي الذي يروي عن الحسين بن محمد بن عمران بن عامر الأشعري. فيكون الأب و ابناه سبيعيِّين أو ربعيِّين محتداً، موصليِّين نسبةً أو مسكناً أو مولداً.

و كيف كان فإنّ عبدالله بن يونس الموصلي مجهول شخصاً، و عبدالله بن يونس

---

(١) رجال الطوسي: ٤٣١ / ٦١٨٣.

(٢) رجال الطوسي: ٤٣١ / ٦١٨٤.

(٣) انظر معجم رجال الحديث ١١: ٤٠٩ / ٧٢٤٩، و تهذيب الاحكام ٦: ٣٧ / ح ٧٥، و فرحة الغري: ١١٢.

(٤) انظر الهداية الكبرى: ٣٧.

(٥) انظر الهداية الكبرى: ٣٨.

(٦) أمالي المفيد: ٣١٢ ح ٥، و أمالي الطوسي: ٨٠ / ح ١٢٠.

السبيعي مجهول حالاً.

و أمّا محمد بن صدقة العبدي، فلم يرد في تباشير الحكمة، و ورد في خاتمة المستدرك، و على فرض وجوده في السند فإنّه مصحف عن محمد بن صدقة العنبري البصري، أبي جعفر.

روى عن الإمام الكاظم عليه السلام و الإمام الرضا عليه السلام، و له كتاب عن موسى بن جعفر عليه السلام[1].

و في رجال الطوسي عدّه من أصحاب الامام الكاظم عليه السلام قائلاً: محمد بن صدقة العنبري[2].

وعدّه مرة أُخرى في أصحاب الإمام الرضا عليه السلام قائلاً: محمد بن صدقة، بصري غالٍ[3].

و الظاهر أنّه إماميّ، لكنّه مجهول الحال، إذ في غلوّه تأمُّل، خصوصاً بعد سكوت النجاشي عن ذلك. و توثيق المامقاني إياه برواية ابراهيم بن المنذر الخزاعي[4] ـ أو الحزامي كما هو الصواب ـ مجازفة، و كذلك إيراد السيد الخوئي رحمه الله روايته هذه و قوله أنّها صريحة وثاقته إلّا أنّ طريقها ضعيف بعدة مجاهيل[5]، لا محصّل له، لأنّ هذه الرواية هي رواية عامّيّة و إن رواها الشيخ الطوسي في أماليه[6]، و محمد بن صدقة

---

(١) انظر رجال النجاشي: ٣٦٤ / ٩٨٣.

(٢) رجال الشيخ الطوسي: ٣٥٩ / ٨.

(٣) رجال الشيخ الطوسي: ٣٩١ / ٦٠.

(٤) انظر تنقيح المقال ٣: ١٣٣.

(٥) انظر معجم رجال الحديث ١٧: ١٩٩ / ١١٠٠٤.

(٦) أمالي الطوسي: ٣٩٩ / ح ٨٨٩.

فيها هو الفدكي العامّيّ(١)، لا العنبري الإمامي.

هذا و كان العنبريّ قد روى عن محمد بن سنان و روى عنه محمد بن سنان.

و أمّا محمد بن سنان الزاهري، فقد مرّ الكلام فيه و أنّ الصواب أنّه ثقة.

و أمّا صفوان بن يحيى الكوفي، فهو البجليّ، بيّاع السابري المتوفى سنة ٢١٠هـ، من أصحاب الإمام الكاظم و الرضا و الجوادعليهم السلام، و روى عن أربعين رجلاً من أصحاب الإمام الصادقعليه السلام، له كتب كثيرة، و هو ثقة ثقة عين، و من أصحاب الإجماع، توفّي بالمدينة و بعث اليه الإمام الجوادعليه السلام بحنوطه و كفنه، و أمر اسماعيل بن موسى بالصلاة عليه(٢)، و هو لوثاقته غني عن الكلام.

و أما المفضّل بن عمر الجعفي، فهو ثقة و قد مرّ الكلام فيه.

يبقى أن كلاًّ من عبدالله بن يونس، و محمد بن صدقة، و محمد بن سنان، و صفوان ابن يحيى كانوا في طبقة واحدة، و كلّ منهم سمع أو يصلح أن يسمع من المفضل مباشرة، و رواية المتعاصرين عن بعضهم و إن كانت غير عزيزة إلّا أنّ رواية الرواي بثلاث وسائط من معاصريه عمن يستطيع الرواية عنه مباشرة أمر في غاية الندرة، فمن غير البعيد أن يكون أصل الإسناد «عن عبدالله بن يونس الموصلي، ومحمد بن صدقة العنبري، و محمد بن سنان الزاهري، و صفوان بن يحيى الكوفي، عن المفضل بن عمر الجعفي»، خصوصاً و إنّ أغلب روايات جعفر بن مالك الفزاري عن المفضل إنّما هي بواسطة واحدة أو واسطتين.

---

(١) انظر الحد الفاصل للرامهرمزي: ٤٠٣، و التبيين لأسماء المدلسين لسبط ابن العجمي: ٥١. و انظر لسان الميزان ٥: ٢٠٦ حيث عقد ترجمة له، ثم عقد ترجمة أخرى لمحمد بن صدقة الراوي عن موسى بن جعفر الصادق.

(٢) انظر معجم رجال الحديث ١٠: ١٣٤ - ١٤١ / ٥٩٣٢.

و مهما يكن الأمر فإن هذا السند ضعيف[1] على الأقل من جهة أبي الحسن محمد ابن علي الجلّيّ، و عبدالله بن يونس الموصلي، غير أنّ ما يهوّن الخطب هو أنّ الكتاب بِرُمّته لا تتوقف مطالبه على صحة الخبر، بل هو استدلالات و براهين على وجود الصانع، و مطالبه معتضدة بالأدلة العقلية الدقّيّة مضافاً إلى المرويات الصحاح عن أهل البيت في هذا المضمار.

قال المجلسي: و لنذكر بعد ذلك توحيد المفضل بن عمر، و رسالة الاهليلجة المرويتين عن الصادقعليه السلام لاشتمالهما على دلائل و براهين على إثبات الصانع تعالى، و لا يضرّ إرسالهما[2] لاشتهار انتسابهما إلى المفضل، و قد شهد بذلك السيد ابن طاووس و غيره ... مع أنّ متن الخبرين شاهد صدق على صحتهما، و أيضاً هما يشتملان على براهين لا تتوقف إفادتها العلم على صحة الخبر[3].

نسخ الكتاب و منهج التحقيق:

اعتمدنا في تحقيق هذا الكتاب على أربع نسخ خطية مضافاً إلى مطبوعة النجف الأشرف، فكانت تضم المجالس الأربعة من كتاب التوحيد، و النسخ هي:

---

(١) بل في متن الملجس الخامس بعض التعابير التي يستخدمها النصيرية، كالتعبير عن رسول اللهصلى الله عليه وآله بالسيّد الميم، و عن ظاهر صفة أميرالمؤمنينعليه السلام بالصورة الأنزعية. انظر ص ٤٢ من رسالة أخبار يوم الغدير نقلاً عن الحسين الخصيبي.

(٢) الظاهر أنّ المجلسيرحمه الله غفل عن سند النجاشي لكتاب التوحيد، أو أنّ كلامه منصبّ على نسخه الموجودة حيث إنّها كلّها خالية عن الإسناد، و كون ما في هذه النسخ هو ما رواه النجاشي أمرٌ غير محقّق.

(٣) بحارالأنوار ٣: ٥٥.

١ ـ نسخة مكتبة أحمد بن موسى عليه السلام (شاهچراغ) بشيراز، المحفوظة برقم ٢٣٠، وهي بخط النسخ، كتبها حسين بن شمس الدين محمد الاصفهاني، و فرغ من كتابتها في يوم الجمعة ٢٢ شعبان سنة ١٠٧٤ هـ. و هي مكوّنة من ٩٥ صفحة، في كل صفحة ١٥ سطراً، و هي بحجم ١٣ × ١٩/٥ سم. وتمتاز هذه النسخة بوفرة شروح الكلمات الغامضة و ضبط ما يحتاج إلى الضبط من الكلمات. و قد رمزنا لها بالحرف «أ».

٢ ـ نسخة مكتبة آية‌الله العظمى السيّد المرعشي النجفي رحمه الله ضمن المجلّد الثاني من كتاب «بحار الأنوار» تأليف العلّامة المجلسي رحمه الله برقم ٧٢٣٢، و هي بخط النسخ، مكوّنة من ٢٧٤ ورقة، و كتاب التوحيد من الورقة ١١٦ ـ ١٤٢، في كلّ صفحة ٢٣ سطراً، و هي بحجم ١٨ × ٢٥/٥ سم. والنسخة نفيسة مصحّحة مضبوطة محرّكة، من القرن الحادي عشر، كتبها بعض كاتبي العلّامة المذكور، وعليها حواش وتصحيحات بخطّه الشريف وعلى حواشيها نُسخُ بدل تتطابق في أغلب مواردها مع التوحيد المطبوع في البحار، و قد رمزناها بالحرف «ب».

٣ ـ نسخة مكتبة الفاضلي بخوانسار، المحفوظة برقم ٢١، و هي بخط النسخ الجلي، كتبها جعفر بن غازي الرازي، و فرغ من كتابتها في عصر يوم السبت ١٥ ربيع الأول سنة ١٠٩٢ هـ في بلدة رشت.

و كتب في هامش الصفحة الأخيرة منها: قوبل و صحّح بقدر الوسع و الطاقة والشروع في مقابلته و إتمامه أيضا في يوم الأحد الثاني يوم ختم كتابته و الحمدلله أولاً و آخراً و ظاهراً و باطناً.

و هي مكونة من ١٢٠ ورقة، في كل صفحة ١٢ سطراً، و هي بحجم ١٣/٥ × ١٩.
و تمتاز هذه النسخة مضافاً إلى شرح الكلمات الغامضة في الهامش بوفرة نسخ البدل

بشكل كبير جدّا بحيث تكاد تستوعب كلّ الوجوه. و قد رمزنا لها بالحرف «ج».

٤ ـ نسخة مكتبة جامعة الالهيات في مشهد المقدّسة، المحفوظة ضمن مجموعة برقم ٩٣٧، و هي بخط النسخ، مجهولة الكاتب، و النسخة بحجم ١٦ × ٥/٢٤ سم، ونسخة التوحيد مؤلفة من ٤٧ ورقة، و أسطر صفحاتها ما بين ١٨ ـ ٢١.

و قد قابل نسخة التوحيد المحدّث صالح بن عبدالكريم البحراني في ٩ محرم الحرام سنة ١٠٨٠ هـ. و هي نسخة سليمة المتن، نادرة الشروح و نسخ البدل في الهوامش. وقد رمزنا لها بالحرف «د».

٥ ـ مطبوعة النجف الأشرف بتحقيق كاظم المظفر، و قد رمزنا لها بالحرف «ن».

و أما المجلس الخامس، فقد اعتمدنا في تحقيقه على ما في كتاب تباشير (أو طباشير) الحكمة، لأبي القاسم بن محمد الحسيني الشريفي الشيرازي المعروف بـ آقا ميرزا، و المتخلّص بـ«راز شيرازي»، و قد اعتمدنا على طبعته الحجرية المطبوعة بشيراز سنة ١٣١٩ هـ ق، و على الطبعة الحروفية المطبوعة بشيراز سنة ١٣٩٣ هـ، انتشارات خانقاه أحمدي.

و قد اتّبعنا في تحقيق الكتاب الأسلوب التلفيقي بين النسخ، و انتخاب المتن الأقرب للصواب، و ذلك عبر المراحل التالية:

١ ـ عيّنا النسخ التي يكون عليها مدار التحقيق و حصلنا على مصوّراتها.

٢ ـ قابلنا النسخ الخطية و أثبتنا ما بينها من اختلافات.

٣ ـ انتخبنا النصّ الأقرب للصواب و أثبتناه في المتن، و ذكرنا ما يخالف النص المنتخب في الهامش.

٤ ـ حصرنا الآيات القرآنية بين الأقواس المزهّرة ﴿ ﴾.

٥ ـ كلّ ما حصرناه بين القوسين ( ) أشرنا إلى النسخة أو النّسخ السّاقط منها ما

بينهما، أو الاختلاف في النص المحصور بينهما.

٦ ـ كلّ ما حصرناه بين المعقوفتين [ ] أشرنا إلى مأخذنا فيه، و إلّا فهو من عندنا.

٧ ـ هناك اختلافات في ضبط المتن بين النسخ، و كلُّ ضبطٍ له وجه وجيه، و بما أنّ المتن للمعصومعليه‌السلام رأينا عدم ترجيح ضبطٍ على آخر، و اكتفينا بضبط الموارد التي يتوقّف فهم النصّ عليها، و على ضبط المفردات الغامضة.

٨ ـ وضعنا شروح العلامة المجلسيرحمه‌الله ملحقة بعد تمام متن كتاب فكِّرْ المعروف بتوحيد المفضّل، و أشرنا إلى الصفحة أو الصفحات المذكور فيها الكلام المشروح، وتركنا ذكر ذلك في الهوامش تجنُّباً لتكثيرها، و حفاظاً على النصّ الخالص.

و قبل الختام نتقدم بفائق الشكر و الامتنان إلى سماحة حجة الإسلام السيد حسن الموسوي البروجردى، لمساعيه الدؤوبة التي بذلها في سبيل إحياء هذا الكتاب، فللّه درّه و عليه أجره.

هذا، و آخر دعوانا أن الحمد للّه ربّ العالمين، و الصلاة على أشرف الأنبياء والمرسلين أبي القاسم محمد و على أهل بيته الطيبين الطاهرين، و اللعن الدائم على أعدائهم أجمعين.

١ / محرم الحرام / ١٤٢٧ هـ . ق

قيس العطار

نماذج من صور النسخ



وقف ومتعلق به كتابخانه آستان مبارك ... عليه السلام
ردیف ۳۰۰ ب مخصوص ۲۳۰ تاریخ ۱۸/...

بسم الله الرحمن الرحيم

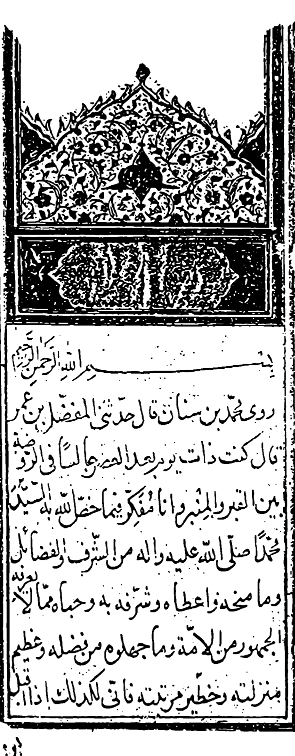
روى محمد بن سنان قال حدثني المفضل بن عمر قال كنت ذات يوم بعد العصر جالسا
في الروضة بين القبر والمنبر وأنا مفكر فيما خص الله به سيدنا محمدا صلى الله عليه وآله
من الشرف والفضائل وما منحه وأعطاه وشرفه به وحباه مما لا يعرفه الجمهور من الأمة
وما جهلوه من فضله وعظيم منزلته وخطير مرتبته فإني لكذلك إذ أقبل ابن أبي العوجاء
فجلس بحيث أسمع كلامه فلما استقر به المجلس إذا رجل من أصحابه قد جاء فجلس إليه فتكلم
ابن أبي العوجاء فقال لقد بلغ صاحب هذا القبر العز بكماله وحاز الشرف بجميع خصاله
ونال الحظوة في كل أحواله فقال له صاحبه إنه كان فيلسوفا ادعى المرتبة العظمى
والمنزلة الكبرى وأتى على ذلك بمعجزات بهرت العقول وضلت فيها الأحلام وغاصت
الألباب على طلب علمها في بحار الفكر فرجعت خاسئات وهي حسير فلما استجاب
لدعوته العقلاء والفصحاء والخطباء دخل الناس في دينه أفواجا فقرن اسمه باسم ناموسه
فصار يهتف به على رؤوس الصوامع في جميع البلدان والمواضع التي انتهت إليها
دعوته وعلت بها كلمته وظهرت فيها حجته برا وبحرا وسهلا وجبلا في كل يوم

صورة الصفحة الأولى من النسخة «أ»

تعرض لها فيستدل بذلك على أنها مصرفة مدبرة مفتقرة إلى إبداء الخالق وقدرته في تلوينها
وإتمام عليها تبارك الله أحسن الخالقين يا مفضل خذ ما آتيتك واحفظ ما منحتك وكن
لربك من الشاكرين ولآلائه من الحامدين ولأوليائه من المطيعين فقد شرحت لك من الأدلة
على الخلق والشواهد على صواب العمد والتدبير قليلاً من كثير وجزءاً من كل فتدبره وفكر
فيه واعتبر به فقلت بمعونتك يا مولاي أقوى على ذلك وأبلغه إن شاء الله تعالى فوضع
يده على صدري فقال احفظ بمشية الله ولا تنس إن شاء الله تعالى فخررت مغشياً فلما أفقت
قال كيف ترى نفسك يا مفضل قلت قد استغنيت بمعونة مولاي عن الكتاب الذي
كتبته وصار ذلك بين يدي كأنما أقرأه من كفي ولمولاي الحمد والشكر كما هو أهله ومستحقه
قال يا مفضل فرغ قلبك واجمع إليك ذهنك وعقلك وطمأنينتك فسألقي إليك من علم
ملكوت السماوات والأرض وما خلق الله بينهما وفيهما من عجائب خلقه وأصناف الملائكة وصفوفهم
ومقاماتهم ومراتبهم إلى سدرة المنتهى وسائر الخلق من الجن والإنس إلى الأرض السابعة السفلى
وما تحت الثرى حتى يكون ما وعيته جزءاً من أجزاء انصرف إذا شئت مصاحباً مكلوءاً فأنت منا
بالمكان الرفيع وموضعك من قلوب المؤمنين موضع الماء من الصدى ولا تسألن عما وعدتك
حتى أحدث لك منه ذكراً قال المفضل فانصرفت من عند مولاي بما لم ينصرف أحد بمثله

وقع الفراغ من نسخه في يوم الجمعة الثاني والعشرين من شعبان سنة أربع وستين
بعد الألف على يد العبد الجاني حسين بن شمس الدين محمد
الاصفهاني حامداً لله تعالى مصلياً
مسلماً

صورة الصفحة الأخيرة من النسخة «أ»



بسم الله الرحمن الرحيم

روى محمد بن سنان قال حدثني المفضل بن عمر
قال كنت ذات يوم بعد العصر جالساً في الروضة
بين القبر والمنبر وأنا مفكر فيما خص الله به السيد
محمداً صلى الله عليه وآله من الشرف والفضائل
وما منحه وأعطاه وشرفه به وحباه مما لا يعرفه
الجمهور من الأمة وما جهلوه من فضله وعظيم
منزلته وخطير مرتبته فإني لكذلك إذ أقبل

صورة الصفحة الأولى من النسخة «ج»


مكتبة العلامة المجلسي

ومقاماتهم ومراتبهم الى سدرة المنتهى وسائر
الخلق من الجن والانس الى الارض السابعة السفلى
وما تحت الثرى حتى يكون ما وعيته جزءا من
اجزاء انصرف اذا شئت مصاحبا مكلوءا
فانت منا بالمكان الرفيع وموضعك من قلوب
المؤمنين موضع الماء من الصدى ولا تسألن
عما وعدتك حتى احدث لك منه ذكرا قال المفضل
فانصرفت من عند مولاي بما لم ينصرف
احد بمثله قد تم الاجازة
فرغت من كتابته بعون الله ومنه في عصر يوم السبت
الخامس عشر من شهر ربيع الاول من شهور سنة
اثنى وتسعين والف في بلدة شوشتر صانها
الله تعالى من الحدثان وكاتبه اقل الخليقة عملا
واكثرهم زللا جعفر بن الغازي الرازي
عفي عنهما بالنبي والوصي

صورة الصفحة الأخيرة من النسخة «ج»

مكتبة العلامة المجلسي رحمه الله

بسم الله الرحمن الرحيم

روى محمد بن سنان قال حدثنا المفضل بن عمر قال كنت ذات يوم
بعد العصر جالساً في الروضة بين القبر والمنبر وانا مفكر فيما خص الله
به سيدنا محمداً صلى الله عليه وآله من الشرف والفضائل وما منحه
وأعطاه وشرفه وحباه مما لا يعرفه الجمهور من الامه وما جهلوه
من فضله وعظيم منزلته وخطر مرتبته فاني لكذلك اذ اقبل ابن
ابي العوجا فجلس بحيث اسمع كلامه فلما استقر به المجلس اذا رجل
من اصحابه قد جاء فجلس اليه فتكلم ابن ابي العوجاء فقال لقد بلغ
صاحب هذا القبر العز بكماله وحاز الشرف بجميع خصاله ونال الحظوة
في كل احواله فقال له صاحبه انه كان فيلسوفا ادعى المرتبة العظمى
والمنزلة الكبرى واتى على ذلك بمعجزات بهرت العقول وضلت فيها
الاحلام وغاصت الالباب على طلب علمها في بحار الفكر فرجعت
خاسئات وهي حسير فلما استجاب لدعوته العقلاء والفصحاء
والخطباء دخل الناس في دينه افواجاً فقرن اسمه باسم ناموسه فصار
يهتف به على رؤس الصوامع في جميع البلدان والمواضع التي انتهت

صورة الصفحة الأولى من النسخة «د»

وصفوهم بمقاماتهم ومراتبهم الى سدرة المنتهى وسائر الخلق من الجن والانس
الى الارض السابعة السفلى وما تحت الثرى حتى يكون ما وعيته جزءا من اجزائهم
اذا شئت صاحبا كملوا فانت منا بالمكان الرفيع وموضعك من قلوب
المؤمنين موضع الماء من الصدى ولا تسألن عما وعدتك حتى احدث لك منه ذكرا
قال المفضل فانصرفت من عند مولاي بما لم ينصرف احد بمثله والحمد لله رب
العالمين

بسم الله الرحمن الرحيم

قال حدثني محرز بن سعيد النحوي بدمشق قال حدثني محمد بن ابي مسهر بالرملة
عن ابيه عن جده قال كتب المفضل بن عمر الجعفي الى ابي عبد الله جعفر بن محمد
يعلمه ان اقواما ظهروا من اهل هذه الملة يجحدون الربوبية ويجادلون على ذلك
ويسأله ان يرد عليهم قولهم ويحتج عليهم فيما ادعوا بحسب ما احتج به على غيرهم
فكتب ابو عبد الله عليه السلام بسم الله الرحمن الرحيم
اما بعد وفقنا الله واياك لطاعته واوجب لنا ولك رضوانه برحمته وصل كتابك
تذكر فيه ما ظهر في ملتنا وذلك من قوم من اهل الالحاد بالربوبية قد كثرت عدتهم
واشتدت خصومتهم وتسأل الرد عليهم والنقض لما في ايديهم نحو ما رددت على
غيرهم من اهل البدع والاختلاف ونحن نحمد الله على النعم السابغة والحجج البالغة
والبلاء المحمود عند الخاصة فان نعمه العظام علينا والآءه الجسام الينا بما انعم على
خلقه من معرفته وانزل عليهم كتابا فيه شفاء لما في الصدور من امراض الخواطر
ومشتبهات الامور ولم يدع لهم ولا لشيء من خلقه حاجة الى سواه نعمة جل ذكرها
وعظم شكرها واستغنى بالله عليهم واستغنى عنهم والله غني حميد

صورة الصفحة الأخيرة من النسخة «د»



كتاب فكّر
المعروف بتوحيد المفضّل

بسم الله الرحمن الرحيم

[كلام ابن أبي العوجاء مع صاحبه]

روى محمّد بن سنان، قال: حدّثني[1] المفضّل بن عمر، قال: كنت ذات يوم بعد العصر جالساً في الروضة بين القبر والمنبر، وأنا مفكّر فيما خصّ الله تعالى به سيّدنا[2] محمّداً ﷺ من الشرف والفضائل، وما منحه وأعطاه وشرّفه به[3] وحباه، ممّا لا يعرفه الجمهور من الأُمّة وما جهلوه من فضله وعظيم منزلته، وخطير[4] مرتبته، فإنّي لكذلك إذ أقبل ابن أبي العوجاء فجلس بحيث أسمع كلامه، فلمّا استقرّ به المجلس إذا[5] رجل من أصحابه قد جاء فجلس إليه، فتكلّم ابن أبي العوجاء

---

(١) في «ب» «د»: حدّثنا.

(٢) في «أ» «ج»: السيّد. وفي نسخة بدل من «ج» كالمثبت.

(٣) ليست في «ن» «د».

(٤) في «ب» «د» ونسخة بدل من «ج»: وخطر.

(٥) في «ن»: إذ.

فقال: لقد بلغ صاحب هذا القبر العزّ بكماله، وحاز الشرف بجميع خصاله، ونـال الحظوة في كلّ أحواله.

فقال له صاحبه: إنّه كان فيلسوفاً ادّعى المرتبة العظمى، والمنزلة الكبرى، وأتى على ذلك بمعجزات بهرت العقول، وضلّت فيها الأحلام، وغاصت الألبـاب عـلى طلب علمها في بحار الفكر، فرجعت خاسئات وهي حُسَّر[١]، فلمّا استجاب لدعوته العقلاء والفصحاء والخطباء، دخل الناس في دينه أفواجاً، فقرن اسمه باسم ناموسه، فصار يهتف به على رؤوس الصوامع، في جميع البلدان والمواضع، التي انتهت إليها دعوته، وعَلَت بها[٢] كلمته، وظهرت فيها حجّته برّاً وبحراً، و[٣]سهلاً وجبلاً، في كلّ يوم وليلة خمس مرّات مُرَدَّداً في الأذان والإقامة[٤]، ليتجدّد في كلّ ساعة ذكره، و[٥]لئلّا يَخمُلَ أمره.

فقال ابن أبي العوجاء: دع ذكر محمّد فقد تحيّر فيه عقلي، وضلّ في أمره فكري، وحدّثنا في ذكر الأصل الذي يُمشَى به[٦] .. ثمّ ذكر ابتداء الأشياء، وزعم أنّ ذلك بإهمال لا صنعة فيه ولا تقدير، ولا صانع لهُ[٧] ولا مدبّر، بل الأشياء تتكوّن من ذاتها بلا مدبّر، وعلى هذا كانت الدنيا لم تزل ولا تزال!

---

(١) في «أ» «ب» «ج» «د»: حسير.

(٢) في «ن»: «وعلتها» بدل «وعلت بها».

(٣) الواو ليست في «ن».

(٤) في «ج»: والإقامات.

(٥) الواو ليست في «ب» «د».

(٦) في «أ» «ن» ونسخة بدل من «ج»: نمشي له. وفي نسخة بدل من «ب»: يسمّى به.

(٧) ليست في «ن».

[محاورة المفضّل مع ابن أبي العوجاء]

قال المفضّل: فلم أملك نفسي غضباً وغيظاً وحنقاً، فقلت: يا عدوّ الله، ألحدت في دين الله، وأنكرت الباري جلّ قدسه الذي خلقك في أحسن تقويم، وصوّرك في أتمّ صورة، ونقلك في أحوالك حتّى بلغ بك[١] إلى حيث انتهيت، فلو تفكّرت في نفسك وصدقك لطيف حسّك[٢]، لوجدت دلائل الربوبيّة وآثار الصنعة فيك قائمة، وشواهده جلّ وتقدّس في خلقك واضحة، وبراهينه لك لائحة.

فقال: يا هذا، إن كنت من أهل الكلام كلّمناك، فإن ثبتت لك حجّة تبعناك، وإن لم تكن منهم فلا كلام لك، وإن كنت من أصحاب جعفر بن محمّد الصادق فما هكذا يُخاطبنا[٣]، ولا بمثل دليلك يُجادِلُنا[٤]، ولقد سمع من كلامنا أكثر ممّا سمعتَ، فما أفحش في خطابنا، ولا تعدّى في جوابنا وإنّه للحليم[٥] الرزين، العاقل الرصين، لا يعتريه خُرْقٌ ولا طيشٌ ولا نَزَقٌ، يسمع[٦] كلامنا ويصغي إلينا ويستعرف[٧] حجّتنا، حتّى إذا استفرغنا ما عندنا، وظننّا أنّا قد[٨] قطعناه، دحض[٩] حجّتنا

---

(١) ليست في «أ» «ج» «ن».

(٢) في «د»: جسمك.

(٣) في «ن»: تخاطبنا.

(٤) في «أ» «ج» «د» ونسخة بدل من «ب»: يجادل فينا. وفي «ن»: تجادلنا. والمثبت عن متن «ب».

(٥) في «ن»: الحليم.

(٦) في «ب»: ويسمع.

(٧) في «د»: ويستفرغ. وفي «ن»: ويتعرّف.

(٨) ليست في «ن».

(٩) في «أ» «ب» «د» ونسخة بدل من «ج»: أَدحَض. وكلاهما لغة صحيحة.

بكلام يسير، وخطاب قصير، يُلْزِمنا به الحُجّةَ، ويقطع العذر، ولا نستطيع لجوابه ردّاً، فإن كنت من أصحابه فخاطبنا بمثل خطابه.

[سبب إملاء الكتاب على المفضّل]

قال المفضّل: فخرجت من المسجد محزوناً مفكّراً[١] فيما بلي به الإسلام وأهله من كفر هذه العصابة وتعطيلها، فدخلت على مولاي عليه السلام فرآني منكسراً، فقال: ما لك يا مفضّل[٢]؟ فأخبرته بما سمعت من الدهريَّيْنِ وبما[٣] رددت عليهما، فقال: يا مفضّل[٤]، لألقينّ إِلَيك[٥] من حكمة الباري جلّ وعلا وتقدّس اسمه ـ في خلق العالم والسباع والبهائم والطير والهوام وكلّ ذي روحٍ من الأنعام والنبات والشجرة[٦] المثمرة وغير ذات الثمر والحبوب والبقول؛ المأكول من ذلك وغير المأكول ـ ما يعتبر به[٧] المعتبرون، ويسكن إلى معرفته المؤمنون، ويتحيّر فيه الملحدون، فبكّر عليّ غداً.

---

(١) في «ج»: متفكّراً.

(٢) قوله «يا مفضّل» ليس في «ب» «ج» «د» «ن».

(٣) في «ج» «د»: وما. وفي نسخة بدل من «ج» كالمثبت.

(٤) قوله «يا مفضل» ليس في «ب».

(٥) في «ن»: عليك.

(٦) في «ج» «د»: والشجر. وأدخلت التاء في متن «ب» عن نسخة.

(٧) ليست في «ج» «د».

المجلس الأوّل

قال المفضّل: فانصرفت من عنده فرحاً مسروراً، وطالت عليّ تلك الليلة انتظاراً لما وعدني به، فلمّا أصبحت غدوت[1] فاستؤذن لي فدخلت، وقمت بين يديه، فأمرني بالجلوس، فجلست، ثمّ نهض إلى حجرةٍ كان يخلو فيها، ونهضتُ بنهوضه، فقال: اتبعني، فتبعته، فدخل ودخلت خلفه، فجلس وجلست بين يديه، فقال: يا مفضّل كأنّي بك وقد طالت عليك هذه الليلة انتظاراً لما وعدتك.

فقلت: أجل يا مولاي.

فقال: يا مفضّل، إنّ الله تعالى كان ولا شيء قبله، وهو باق ولا نهاية له، فله الحمد على ما ألهمنا، وله[2] الشكر على ما منحنا، فقد[3] خصّنا من العلوم بأعلاها،

(١) في «أ»: وغدوت.

(٢) «له» ليست في «أ» «ج» «ن». وأدخلت في متن «ب» عن نسخة.

(٣) في «ب»: وقد.

ومن المعالي[١] بأسناها، واصطفانا على جميع الخلق بعلمه، وجعلنا مهيمنين عليهم بحكمه[٢].

فقلت: يا مولاي، أتأذن لي أن أكتب ما تشرحه ـ وكنت أعددت معي ما أكتب فيه ـ؟

فقال لي: افعل.

[جهل الشكّاك بأسباب الخلقة ومعانيها]

يا مفضّل، إنّ الشكّاك جهلوا الأسباب والمعاني في الخلقة، وقصرت أفهامهم عن تأمّل الصواب والحكمة فيما ذرأ الباري جلّ قدسه، وبرأ من صنوف خلقه[٣] في البرّ والبحر، والسهل والوعر، فخرجوا بقِصَرِ علومهم إلى الجحود، وبضعف بصائرهم إلى التكذيب والعنود، حتّى أنكروا خلق الأشياء، وادّعوا أنّ تكوّنها[٤] بالإهمال، لا صنعة فيها[٥] ولا تقدير، ولا حكمة من مدبّر ولا صانع، تعالى الله عمّا يصفون، وقاتلهم الله أنّى يؤفكون، فهم في ضلالهم وعمههم[٦] وتحيّرهم[٧] بمنزلة عميان دخلوا داراً قد بُنيت أَتْقَنَ بناءٍ وأحسَنَهُ، وفُرشت بأحسن الفرش وأفخره، وأُعدّ

---

(١) في «أ» «ج» «د»: المعاني. واستظهر ناسخ «أ» أنّها المعالي.

(٢) في «أ»: بحكمته.

(٣) في نسخة بدل من «ب»: الخلقة.

(٤) في «أ» «ب» «ج» «د»: كونها.

(٥) في «ج» فيه. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

(٦) في «ب» «د»: وعماهم. وفي «ن»: وغيّهم.

(٧) في «ن»: وتجبّرهم.

فيها ضروب الأطعمة والأشربة والملابس والمآرب التي يُحتاج إليها و[١]لا يُستغنى عنها، ووُضِع كلّ شيء من ذلك موضعه على صواب من التقدير، وحكمة من التدبير، فجعلوا يتردّدون فيها يميناً وشمالاً، ويطوفون ببيوتها[٢] إدباراً وإقبالاً، محجوبة أبصارهم عنها، لا يبصرون بنية[٣] الدار، وما أُعدّ فيها، وربّما عثر بعضهم بالشيء الذي قد وضع موضعه، وأُعدّ للحاجة إليه، وهو جاهل بالمَعْنيّ[٤] فيه، ولما أُعدّ، ولماذا جعل كذلك، فتذمّر وتسخّط وذمّ الدار وبانيها، فهذه حال هذا الصنف في إنكارهم ما أنكروا من أمر الخلقة وثبات[٥] الصنعة، فإنّهم لمّا عزبت[٦] أذهانهم عن معرفة الأسباب والعلل في الأشياء، صاروا يجولون في هذا العالم حيارى، لا[٧] يفهمون ما هو عليه من إتقان خلقته، وحسن صنعته، وصواب تهيئته[٨]. وربّما وقف بعضهم على الشيء يجهل[٩] سببه، والأَرَب فيه، فيسرع إلى ذمّه وعيبه[١٠] ووصفه بالإحالة والخطأ، كالذي أقدمت عليه المنّانيّة[١١] الكفرة، وجاهرت به

---

(١) الواو ليست في «أ» «ب».

(٢) في «ب» «ج» «د» «ن»: بيوتها.

(٣) في «ج» و نسختي بدل من «أ» «ب»: هيئة.

(٤) في «ن»: للمعنى.

(٥) في «د»: وإثبات.

(٦) في «ج» «د» ونسخة بدل من «ب»: غُيِّبت. وفي نسخة بدل أخرى من «ب»: وعرت. وفي نسخة بدل من «ج»: غربت.

(٧) في «أ» «ب» «ج» «د»: ولا. وفي «ن»: فلا. والمثبت من عندنا.

(٨) في «ن»: هيئته.

(٩) في «أ» «ب» «د»: لجهل.

(١٠) قوله «وعيبه» ليس في «ب» «ج» «د» «ن».

(١١) في «ب» ونسخة بدل من «د»: المانويّة.

الملحدة[١] المارقة الفجرة، وأشباههم من أهل الضلال المعللين أنفسهم بالمحال، فيحقّ[٢] على من أنعم الله عليه بمعرفته ـ وهداه لدينه، ووفّقه لتأمّل التدبير في صنعة الخلائق، والوقوف[٣] على ما خُلِقُوا له من لطيف التدبير وصواب التعبير[٤]، بالدلالة القائمة الدالّة على صانعها ـ أن يكثر حمد الله مولاه على ذلك، ويرغب إليه في الثبات[٥] عليه والزيادة منه فإنّه جلّ اسمه يقول: ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾[٦].

[تهيئة العالم وتأليف أجزائه]

يا مفضّل، أوّل العبر والأدلّة[٧] على الباري جلّ قدسه، تهيئة هذا العالم، وتأليف أجزائه ونظمها على ما هي عليه، فإنّك إذا تأمّلت العالم بفكرك وخبرته[٨] بعقلك، وجدته كالبيت المبنيّ المُعَدّ فيه جميع ما يحتاج إليه عباده، فالسماء مرفوعة كالسقف، والأرض ممدودة كالبساط، والنجوم منضودة[٩] كالمصابيح، والجواهر مخزونة

---

(١) في نسخة بدل من «ج»: الملاحدة.

(٢) في نسخة بدل من «ج»: فحق.

(٣) في نسخة بدل من «ج»: وللوقوف.

(٤) في «ن»: التقدير.

(٥) في «أ»: الثناء. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

(٦) إبراهيم: ٧.

(٧) في «أ» «ج» «ن»: والدلالة. والمثبت عن «ب» «د» ونسخة بدل من «ج».

(٨) في «ب» «د» ونسخة بدل من «ج»: وميّزته. وفي متن «ج»: ومِزْتَهُ.

(٩) في «أ»: مُضَوَّءَة. وفي «ن»: مضيئة. والمثبت عن «ب» «ج» «د» ونسخة بدل من «أ».

كالذخائر، وكلّ شيء فيها لشأنه مُعَدّ، والإنسان كالمُمَلَّكِ[١] ذلك البيت، والمُخَوَّل[٢] جميع ما فيه، وضروب النبات مهيّأة لمآربه، وصنوف الحيوان مصروفة في مصالحه ومنافعه، ففي هذا دلالة واضحة على أنّ العالَم مخلوق بتقدير وحكمة ونظام وملائمة، وأنّ الخالق له واحد، وهو الذي ألّفه ونظمه بعضاً إلى بعض، جلّ قدسه وتعالى جدّه وكرم وجهه ولا إله غيره تعالى عمّا يقول الجاحدون، وجلّ وعظم عمّا ينتحله الملحدون[٣].

[خلق الإنسان وتدبير الجنين في الرحم]

نبتدئ[٤] يا مفضّل بذكر خلق الإنسان فاعتبر به.. فأوّل ذلك ما يدبّر به الجنين في الرحم، وهو محجوب في ظلمات ثلاث: ظلمة البطن، وظلمة الرحم، وظلمة المشيمة، حيث لا حيلة عنده في طلب غذاء، ولا دفع أذى، ولا استجلاب منفعة، ولا دفع مضرّة، فإنّه يجري إليه من[٥] دم الحيض ما يغذوه كما يغذو[٦] الماءُ النباتَ، فلا يزال ذلك غذاءه.

---

(١) في «ن»: كالملك.

(٢) في «ج»: والمحوّل. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

(٣) في «ج» زيادة: «وكذلك لو كان فيهما آلهة إلّا الله لفسدتا ففي كلّ شيء له آية تدلّ على أنّه واحد».

(٤) في «ج»: نستبدئ. وفي «د»: سنبتدئ. وفي «ن»: نبدأ. والمثبت عن «أ» «ب» ونسخة بدل من «ج».

(٥) أدخلت في متن «ج» عن نسخة.

(٦) قوله «كما يغذو» ساقط من «ن» والعبارة فيها: ما يغذوه الماء والنبات.

[كيفيّة ولادة الجنين وغذائه وطلوع أسنانه وبلوغه]

حتّى إذا كمل خلقه واستحكم بدنه وقوي أديمه على مباشرة الهواء، وبصره على ملاقاة الضياء، هاج الطلق بأُمّه فأزعجه أشدّ إزعاج وأعنفه حتّى يولد، فإذا ولد صرف ذلك الدم الذي كان يغذوه من دم أُمّه إلى ثدييها(١) فانقلب(٢) الطعم واللون إلى ضرب آخر من الغذاء وهو أشدّ موافقة للمولود من الدم فيوافيه في وقت حاجته إليه، فحين يولد قد تلمّظ وحرّك شفتيه طلباً للرضاع، فهو يجد ثديي(٣) أُمّه كالإداوتين المعلّقتين لحاجته فلا يزال يغتذي(٤) باللبن، مادام رطب البدن رقيق الأمعاء ليّن الأعضاء، حتّى إذا تحرّك، واحتاج إلى غذاء فيه صلابة ليشتدّ ويقوى بدنه، طلعت له الطواحن(٥) من الأسنان والأضراس ليمضغ بها الطعام، فيلين عليه، ويسهل له إساغته(٦)، فلا يزال كذلك حتّى يدرك، فإذا أدرك وكان ذكراً طلع الشعر في وجهه، فكان(٧) ذلك علامةَ الذَّكَرِ، وعِزَّ الرجل الذي يخرج به من حَدِّ الصبا وشبه النساء، وإن كانت أُنثى يبقى وجهها نقيّاً من الشعر، لتبقى لها البهجة، والنضارة التي تحرّك الرِّجال(٨) لما فيه دوام النسل وبقاؤه.

---

(١) في «أ» «ن»: ثديها.

(٢) في «ن»: وانقلب.

(٣) في «أ» «ن»: ثدي.

(٤) في «ن»: يتغذّى.

(٥) في «ج» «د»: الطواحين. وفي نسخة بدل من «ج» كالمثبت.

(٦) في «ج» زيادة: «فتبارك الله أحسن الخالقين».

(٧) في «أ»: وكان.

(٨) في «أ» «ن» ونسخة بدل من «ج»: الرجل. والمثبت عن «ب» «ج» «د» ونسخة بدل من «أ».

اعتبر يا مفضّل فيما يُدَبَّرُ به الإنسان في هذه الأحوال المختلفة، هل ترى مثله[١] يمكن أن يكون بالإهمال؟ أفرأيت لو لم يجر إليه ذلك الدم وهو في الرحم، ألم يكن سَيَذْوي ويجفّ كما يجفّ النبات إذا فقد الماء، ولو لم يزعجه المخاض عند استحكامه ألم يكن سيبقى في الرحم كالموؤد في الأرض؟ ولو لم يوافقه اللبن مع ولادته ألم يكن سيموت جوعاً أو يغتذي بغذاء لا يلائمه، ولا[٢] يصلح عليه بدنه، ولو لم تطلع له[٣] الأسنان في وقتها ألم يكن سيمتنع عليه مضغ الطعام وإساغته، أو يقيمه على الرضاع فلا يشتدّ بدنه ولا يصلح لعمل[٤]؟ ثمّ كان يشغل أُمّه[٥] بنفسه عن تربية غيره من الأولاد.

[حال من لا ينبت في وجهه الشعر وعلّة ذلك]

ولو لم يخرج الشعر في وجهه في وقته، ألم يكن سيبقى في هيئة الصبيان والنساء، فلا ترى له جلالة ولا وقاراً؟

قال[٦] المفضّل: فقلت له[٧]: يا مولاي، فقد رأيتُ من يبقى على حالته ولا ينبت الشعر في[٨] وجهه وإن بلغ حالَ[٩] الكبر.

---

(١) ليست في «ب» «د»، وأُدخلت في متن «ج» عن نسخة.
(٢) في «أ»: فلا. وفي «ج»: ولا، لكن أدخلت الواو في متنها عن نسخة.
(٣) في «ب» «ج» «د»: عليه. وفي نسخة بدل من «ج» كالمثبت.
(٤) في «ج»: للعمل. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.
(٥) في «أ» «ب» «ج» «د»: تشتغل أُمّه.
(٦) في «ب» «ج» «د»: فقال.
(٧) «له» ليست في «ب» «ج». وقوله «فقلت له» ليس في «د».
(٨) في «ج»: على. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.
(٩) ليست في «ن».

فقال عليه‌السلام: ﴿ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾[(١)]، فمن هذا الذي يرصده حتّى يوافيه بكلّ شيء من هذه المآرب إلّا الذي أنشأه خلقاً بعد أن لم يكن، ثمّ توكّل له بمصلحته بعد أن كان، فإن كان الإهمال يأتي بمثل هذا التدبير، فقد يجب أن يكون العمد والتقدير يأتيان بالخطأ والمحال، لأنّهما ضدّ الإهمال، وهذا فظيع من القول وجهل من قائله، لأنّ الإهمالَ لا يأتي بالصواب، والتضادَّ لا يأتي بالنظام، تعالى الله عمّا يقول الملحدون علوّاً كبيراً.

[حال المولود لو ولد فهماً عاقلاً وتعليل ذلك]

ولو كان المولود يولد فَهِماً عاقلاً، لأنكر العالَمَ عند ولادته ولبقي[(٢)] حيرانَ تائه العقل إذا رأى ما لم يعرف، وورد عليه ما لم ير مثله من اختلاف صور العالم (والطير والبهائم)[(٣)]، إلى غير ذلك ممّا يشاهده ساعة بعد ساعة ويوماً بعد يوم.

واعتبر ذلك بأن من سُبِيَ من بلد إلى بلد[(٤)] وهو عاقل، يكون كالواله الحيران فلا يسرع في[(٥)] تعلّم الكلام وقبول الأدب، كما يسرع الذي يُسبى[(٦)] صغيراً غير عاقل، ثمّ لو ولد عاقلاً كان يجد غضاضة إذا رأى نفسه محمولاً مُرضَعاً مُعصَّباً بالخِرَقِ مسجّىً في المهد لأنّه لا يستغني عن هذا كلّه لرقّة بدنه ورطوبته حين يولد ثمّ

---

(١) آل عمران: ١٨٢.

(٢) في نسخة بدل من «ج»: وليبقى.

(٣) في «ب» «د»: والطير من البهائم. وفي «ج» «ن»: من البهائم والطير.

(٤) قوله «إلى بلد» ليس في «ن».

(٥) في «أ» «ن»: «إلى» بدل «في».

(٦) في «ن»: شُبي.

كان لا يوجد له من الحلاوة والوقع[١] من القلوب ما يوجد للطفل فصار يخرج إلى الدنيا غبيّاً غافلاً عمّا فيه أهله، فيلقى الأشياء بذهن ضعيف ومعرفة ناقصة، ثمّ لا يزال يَتَزَيَّد[٢] في المعرفة قليلاً قليلاً، وشيئاً بعد شيء، وحالاً بعد حال، حتّى يألف الأشياء، ويتمرّن ويستمرّ عليها، فيخرج من حدّ التأمّل لها والحيرة فيها إلى التصرّف، والاضطراب[٣] إلى[٤] المعاش بعقله وحيلته، وإلى الاعتبار والطاعة والسهو والغفلة والمعصية.

وفي هذا أيضاً وجوه أُخر، فإنّه لو كان يولد تامّ العقل مستقلّاً بنفسه لذهب موضع حلاوة تربية الأولاد، وما قُدِّر أن يكون للوالدين في الاشتغال بالولد من المصلحة وما يوجب التربية للآباء على الأبناء من المكافاة[٥] بالبرّ، والعطف عليهم، عند حاجتهم إلى ذلك منهم، ثمّ كان الأولاد لا يألفون آباءهم ولا يألف الآباء أبناءهم، لأنّ الأولاد كانوا يستغنون عن تربية الآباء وحياطتهم، فيتفرّقون[٦] عنهم حين يولدون، فلا يعرف الرجل أباه وأُمّه، ولا يمتنع من نكاح[٧] أُمّه وأُخته، وذوات المحارم منه، إذ[٨] كان لا يعرفهنّ.

وأقلّ ما في ذلك من القباحة ـ بل هو أشنع وأعظم وأفظع وأقبح وأبشع ـ لو

---

(١) في «ج»: والموقع.

(٢) في «ن»: يتزايد.

(٣) في «ن»: والاضطرار.

(٤) في «ج» «د»: «في» بدل «إلى». وفي نسخة بدل من «ج» كالمثبت.

(٥) في «ب»: المكلّفات. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

(٦) في «د»: ويتفرّقون.

(٧) في نسخة بدل من «ج»: بكاء.

(٨) في «أ» «د» «ن»: إذا.

خرج المولود من بطن أُمّه وهو يعقل أن يرى منها ما لا يحلّ له، ولا يحسن[(١)] به أن يراه، أفلا ترى كيف أُقيم كلّ شيء من الخلقة على غاية الصواب؟ وخلا من الخطأ دقيقه وجليله.

[منفعة الأطفال في البكاء]

اعرف يا مفضّل ما للأطفال في[(٢)] البكاء من المنفعة، واعلم أنّ في أدمغة الأطفال رطوبة، إن بقيت فيها أحدثت عليهم[(٣)] أحداثاً جليلة وعللاً عظيمة، من ذهاب البصر وغيره، فالبُكاءُ[(٤)] يُسِيلُ تلك الرطوبة من رؤوسهم فيعقبهم ذلك الصحّة في أبدانهم والسلامة في أبصارهم، أفليس قد جاز أن يكون الطفل ينتفع بالبكاء ووالداه لا يعرفان ذلك؟ فهما دائبان ليُسْكِتاهُ، ويتوخّيان في الأُمور مرضاته لئلّا يبكي، وهما لا يعلمان أنّ البكاء أصلح له وأجمل عاقبة[(٥)].

فهكذا يجوز أن يكون في كثير من الأشياء منافع لا يعرفها القائلون بالإهمال، ولو عرفوا ذلك لم يقضوا على الشيء أنّه لا منفعة فيه؛ من أجل أنّهم لا يعرفونه ولا يعلمون السبب فيه، فإنّ كلّ ما لا يعرفه المنكرون يعلمه[(٦)] العارفون، وكثيراً ممّا[(٧)]

---

(١) في «ج»: ولا حسن. وفي نسخة بدل منه كالمثبت.

(٢) في «ج»: من. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

(٣) ليست في «أ».

(٤) في «ن»: والبكاء.

(٥) في «أ»: عافية.

(٦) في نسخة بدل من «ب»: يعرفه.

(٧) في «أ» «ن»: ما. وفي «ج»: عمّا. والمثبت عن «ب» «د» ونسخة بدل من «ج».

يقصر عنه علم المخلوقين محيطٌ به علم الخالق جلّ قدسه وعلت كلمته.

فأمّا ما يسيل من أفواه الأطفال من الريق، ففي ذلك خروج الرطوبة التي لو بقيت في أبدانهم لأحدثت عليهم الأمور العظيمة، كمن تراه قد غلبت عليه الرطوبة فأخرجته إلى حدّ البَلَهِ والجنون والتخليط[١]، إلى غير ذلك من الأمراض المتلفة كالفالج واللقوة وما أشبههما، فجعل الله تلك الرطوبة تسيل من أفواههم في صغرهم، لما لهم في ذلك من الصحّة في كبرهم، فتفضّل على خلقه بما جهلوه، ونظر لهم بما لم يعرفوه، ولو عرفوا نعمه عليهم لشغلهم ذلك عن[٢] التمادي في معصيته، فسبحانه ما أجلّ نعمته وأسبغها على المستحقّين وغيرهم من خلقه، و[٣]تعالى عمّا يقول المبطلون علوّاً كبيراً.

[آلات الجماع وهيئتها]

انظر الآن يا مفضّل كيف جُعِلت آلات الجماع في الذكر والأُنثى جميعاً على ما يشاكل ذلك[٤]، فجُعِل للذكر آلة ناشرة[٥] تمتدّ حتّى تصل النطفة إلى الرحم، إذ[٦] كان محتاجاً إلى أن يقذف ماءه في غيره، وخُلِق للأُنثى وعاء قعر[٧] ليشتمل على

---

(١) في «أ» ونسخة بدل من «ج»: والتخبّط.

(٢) في «أ» «ج» «ن»: من.

(٣) الواو ليست في «ن».

(٤) في «ن»: ذلك عليه فجعل.

(٥) في «ج»: ناشزة. ووضعت دائرة فوق نقطة الزاي.

(٦) في «د»: إذا.

(٧) في «أ»: وعاءً قعيراً. وفي «ن»: وعاءً قعراً.

الماءين جميعاً، ويحتمل الولد ويتّسع له ويصونه حتّى يستحكم، أليس ذلك من تدبير حكيم لطيف سبحانه وتعالى عمّا يشركون؟!

[أعضاء البدن وفوائد كلّ منها]

فكّر يا مفضّل في أعضاء البدن أجمع، وتدبير كلّ عضو[١] منها للأَرَب، فاليدان للعلاج، والرجلان للسعي، والعينان للاهتداء، والفم للاغتذاء، والمعدة للهضم، والكبد للتخليص، والمنافذ لتنفيذ الفضول، والأوعية لحملها، والفرج لإقامة النسل، وكذلك جميع الأعضاء؛ إذا تأمّلتها وأعملت فكرك فيها ونظرك، وجدت كلّ شيء منها قد قدّر لشيء على صواب وحكمة.

[زعم الطبيعيّين وجوابه]

قال المفضّل: فقلت: يا مولاي، إنّ قوماً يزعمون أنّ هذا من فعل الطبيعة.

فقال عليه السلام: سلهم عن هذه الطبيعة أهي شيء له علم وقدرة على مثل هذه الأفعال أم ليست كذلك؟ فإن أوجبوا لها العلم والقدرة فما يمنعهم من إثبات الخالق فإنّ هذه صفته[٢]!! وإن زعموا أنّها تفعل هذه الأفعال بغير علم ولا عَمْد، وكان في أفعالها ما قد تراه من الصواب والحكمة، عُلِمَ أنّ هذا الفعل للخالق الحكيم، وأنّ[٣] الذي سمّوه

---

(١) ليست في «أ» «ب» «د» «ن».

(٢) في «أ» «ب» «د» «ن»: صنعته.

(٣) في «ن»: فإنّ.

طبيعة هو سنّته[١] في خلقه[٢]، الجارية على ما أجراها عليه.

[عمليّة الهضم وتكوّن الدم وجريانه في الشرايين والأوردة]

فكّر يا مفضّل في وصول الغذاء إلى البدن، وما فيه من التدبير، فإنّ الطعام يصير إلى المعدة فتطبخه، وتبعث بصفوه إلى الكبد، في عروق دقاق واشجة[٣] بينهما، قد جعلت كالمِصْفاة[٤] للغذاء، لكيلا يصل إلى الكبد منه شيء فينكأها، وذلك أنّ الكبد رقيقة لا تحتمل العنف، ثمّ إنّ الكبد تقبله فيستحيل بلطف التدبير دماً، وينفذ[٥] إلى البدن كلّه في مجاري مُهَيَّأةٍ لذلك ـ بمنزلة المجاري التي تُهَيَّأُ للماء حتّى يطَّرد[٦] في الأرض كلّها ـ وينفذ ما يخرج منه من الخبث والفضول إلى مفائض[٧] قد أُعدّت لذلك، فما كان منه من جنس المِرَّة الصفراء جرى إلى المرارة، وما كان من جنس السوداء جرى إلى الطحال، وما كان من البِلّة والرطوبة جرى إلى المثانة.

فتأمّل حكمة التدبير في تركيب البدن، ووضع هذه الأعضاء منه مواضعها، وإعداد هذه الأوعية فيه، لتحمل تلك الفضول، لئلّا تنتشر في البدن فتسقمه وتنهكه، فتبارك[٨] مَن أحسن التقدير، وأحكم التدبير، وله الحمد كما هو أهله ومستحقّه.

---

(١) في «ب»: سُنّة.

(٢) في نسخة بدل من «ج»: هو عادة الله من خلقه.

(٣) في نسخة بدل من «د»: راسخة.

(٤) في «ب» «د» «ن»: كالمصفّي.

(٥) في «أ» «ج» «د» «ن»: وينفذه.

(٦) في «ن»: «ليطّرد» بدل «حتّى يطّرد».

(٧) في «ج» ونسخة بدل من «ب»: مغائض. وفي «د»: مغائص.

(٨) في «أ»: فتبارك الله من أحسن.

[أوّل نشوء الأبدان: تصوير الجنين في الرحم]

قال المفضّل: فقلت[١]: صف نشوء الأبدان ونموّها حالاً بعد حال حتّى تبلغ التمام والكمال.

فقال[٢] عليه السلام: أوّل ذلك تصوير الجنين في الرحم حيث لا تراه عين ولا تناله يد، ويدبّره حتّى يخرج سويّاً مستوفياً جميع ما فيه قوامه وصلاحه من الأحشاء والجوارح والعوامل، إلى ما في تركيب أعضائه من العظام، واللحم، والشحم، والعصب، والمخّ، والعروق، والغضاريف، فإذا خرج إلى العالم تراه كيف ينمو[٣] بجميع أعضائه وهو ثابت على شكله وهيئته[٤] لا يتزايد ولا ينقص[٥] إلى أن يبلغ أشدّه إن مُدَّ في عمره أو يستوفي مدّته قبل ذلك، هل هذا إلّا من لطيف التدبير والحكمة.

[اختصاص الإنسان بالانتصاب والجلوس دون البهائم]

اُنظر يا مفضّل[٦] ما خصّ به الإنسان في خلقه تشريفاً وتفضيلاً[٧] على البهائم،

---

(١) ليست في «ج»، وأدخلت في متن «ب» عن نسخة.

(٢) في «ن»: قال.

(٣) في «أ» «ب» «ج» «د»: يَنْمِي. وهما لغتان.

(٤) في «ب» «ن»: شكل وهيئة.

(٥) في «أ» ونسخة بدل من «د»: لا يتزايد ولا ينتقص. وفي «ج» «د»: لا يتزايل ولا يتبعض. وفي «ب» «ن»: لا تتزايد ولا تنقص. والمثبت عن نسخة بدل من «ج».

(٦) في «أ» «ج»: يا مفضّل انظر. وفي «ب» «د»: يا مفضل انظر إلى ما خصّ.

(٧) في «ن»: تشرّفاً وتفضّلاً.

فإنّه خُلِقَ ينتصب قائماً، ويستوي جالساً، ليستقبل الأشياء بيديه[١] وجوارحه، ويمكنه العلاج والعمل بهما[٢]، فلو كان مكبوباً على وجهه كذاتِ[٣] الأربع، لما استطاع أن يعمل شيئاً من الأعمال.

[تخصيص الإنسان بالحواس وتشريفه بها دون غيره]

أُنظر الآن يا مفضّل إلى هذه الحواس التي خُصَّ بها الإنسان في خلقه، وشُرِّفَ بها على غيره، كيف جُعِلت العينان في الرأس كالمصابيح فوق المنارة ليُتَمكّن من مطالعة الأشياء، ولم تجعل في الأعضاء التي تحتهنّ كاليدين والرجلين فتعرضها[٤] الآفات ويصيبها من مباشرة العمل والحركة ما يعلّلها و[٥]يؤثّر فيها وينقص[٦] منها، ولا في الأعضاء التي وسط البدن كالبطن والظهر فيعسر تقلّبها، واطّلاعها نحو الأشياء.

[الحواس الخمس وأعمالها وما في ذلك من الأسرار]

فلمّا لم يكن لها في شيء من هذه الأعضاء موضع، كان الرأس أسنى المواضع للحواس، وهو بمنزلة الصومعة لها، فجُعلت[٧] الحواس خمساً تلقى خمساً لكي لا

---

(١) في «د»: ببدنه.

(٢) في نسخة بدل من «ج»: بها.

(٣) في «ن»: كذوات.

(٤) في «ن»: فتعترضها.

(٥) في «د»: أو يؤثّر.

(٦) في «د»: وينتقص.

(٧) في جميع النسخ: فجعل. والمثبت من عندنا.

يفوتها شيء من المحسوسات..

فخلق البصر ليدرك الألوان، فلو كانت الألوانُ ولم يكن بصرٌ يدركها لم تكن فيها منفعة.

وخلق السمع ليدرك الأصوات، فلو[١] كانت الأصوات ولم يكن سمع يدركها لم يكن فيها أَرَبٌ، وكذلك سائر الحواس[٢].

ثمّ هذا يرجع متكافئاً، فلو[٣] كان بصر ولم تكن ألوانٌ[٤]، لما كان للبصر معنى، ولو كان سمعٌ ولم تكن أصواتٌ لم يكن للسمع موضع.

[تقدير الحواس بعضها يلقى بعضاً]

فانظر كيف قُدِّر بعضها يلق بعضاً، فجعل لكلّ حاسّة[٥] محسوساً تعمل[٦] فيه، ولكلّ محسوس حاسّة تدركه، ومع هذا فقد جُعلت أشياء متوسّطة بين الحواس والمحسوسات، لا تتمّ الحواس إلّا بها، كمثل الضياء والهواء، فإنّه لو لم يكن ضياء يُظْهِر اللون للبصر، لم يكن البصر يدرك اللون، ولو لم يكن هواء يؤدّي الصوت إلى السمع، لم يكن السمع يدرك الصوت، (فتبارك الله؛ من جعل للأشياء وسائط، وقدّر لانتظام العالم ضوابط)[٧]، فهل يخفى على من صحّ نظره، وأعمل

---

(١) في «أ»: ولو.

(٢) في «ج»: سائر الحواس يا مفضل. وكتب تحت الزيادة: ليس في كثير من النسخ.

(٣) في «أ» «د»: ولو.

(٤) في «ن»: الألوان.

(٥) في «ج» «د»: جارحة. وفي نسخة بدل من «ج» كالمثبت.

(٦) في «ب» «ن»: يعمل.

(٧) ليست في «أ» «ب» «د» «ن».

فكره[١]، أنّ مثل هذا الذي وصفت ـ من تهيئة الحواس والمحسوسات بعضها يلق بعضاً، وتهيئة أشياء أُخر بها تتمّ الحواس ـ لا يكون إلّا بعَمْدٍ[٢] وتقدير من لطيف خبير.

[فيمن عدم البصر والسمع والعقل وما في ذلك من الموعظة]

فكّر يا مفضّل فيمن عَدِمَ البصرَ من الناس، وما يناله من الخلل في أُموره، فإنّه لا يعرف موضع قدميه[٣]، ولا يبصر ما بين يديه، فلا يفرّق بين الألوان، وبين المنظر الحسن والقبيح، ولا يرى حفرة إن هجم عليها، ولا عدوّاً إن أهوى إليه بسيف، ولا يكون له سبيل إلى أن يعمل شيئاً من هذه الصناعات مثل الكتابة والنجارة[٤] والصياغة، حتّى أنّه لولا نفاذ ذهنه لكان بمنزلة الحجر الملقى.

وكذلك من[٥] عَدِمَ السمعَ، يختلّ[٦] في أُمور كثيرة فإنّه يفقد روح المخاطبة والمحاورة، ويعدم لذّة الأصوات واللحون الشجيّة[٧] و[٨]المطربة، وتعظم المؤنة على الناس في محاورته، حتّى يتبرّموا به، ولا يسمع شيئاً من أخبار الناس وأحاديثهم،

---

(١) في «ج»: تفكّره. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

(٢) في «ن»: بعمل.

(٣) في «أ» «ب» «ج»: قدمه.

(٤) في «أ» «ب» «ن»: والتجارة.

(٥) في نسخة بدل من «د»: في عَدَمِ السمع.

(٦) في «ج»: مختلّ.

(٧) في «ن»: المشجية.

(٨) الواو ليست في «أ» «ب» «ج» «د».

حتّى يكون كالغائب وهو شاهد، أو[١] كالميّت وهو حيّ..

فأمّا من عَدِمَ العقلَ فإنّه يلحق بمنزلة البهائم، بل يجهل كثيراً ممّا تهتدي إليه البهائم، أفلا ترى كيف صارت الجوارح والعقل، وسائر الخلال ـ التي بها صلاح الإنسان، والتي لو فقد منها شيئاً لعظم ما يناله في ذلك من الخلل ـ تُوافي خلقه على التمام حتّى لا يفقد شيئاً منها، فلم كان كذلك؟ إلّا لأنّهُ[٢] خلق بعلم وعَمْدٍ[٣] وتقدير.

قال المفضّل: فقلت: فلم صار بعض الناس يفقد شيئاً من هذه الجوارح فيناله من[٤] ذلك مثل ما وصفته يا مولاي؟

فقال[٥] عليه السلام: ذلك للتأديب والموعظة لمن يحلّ ذلك به ولغيره بسببه؛ كما قد يؤدّب الملوك الناس[٦] للتنكيل والموعظة، فلا يُنكَر ذلك عليهم، بل يُحمد من رأيهم، ويُستصوب[٧] من تدبيرهم، ثمّ إنّ للذين تنزل بهم هذه البلايا من الثواب بعد الموت ـ إن شكروا وأنابوا ـ ما يستصغرون معه ما ينالهم منها، حتّى أنّهم لو خيّروا بعد الموت لاختاروا أن يُرَدُّوا إلى البلايا، ليزدادوا من الثواب.

---

(١) في «أ» «ج»: وكالميّت.

(٢) في «أ» «ن»: أنّه.

(٣) قوله «وعمد» ليس في «أ» «ب» «د» «ن». وفي نسخة بدل من «ب»: إلّا لأنّه خُلق بعلم وبقدر.

(٤) في «ب» «ج» «د»: في.

(٥) في «أ» «ب» «د» «ن»: قال.

(٦) في «ج»: ناساً.

(٧) في «ب»: ويُصوّب. وفي «ن» ونسخة بدل من «ج»: ويتصوّب.

[الأعضاء المخلوقة أفراداً وأزواجاً وكيفيّة ذلك]

فكّر[١] يا مفضّل في الأعضاء التي خلقت أفراداً وأزواجاً، وما في ذلك من الحكمة والتقدير، والصواب في التدبير.

فالرأس ممّا خلق فرداً، ولم يكن للإنسان صلاح في أن يكون له[٢] أكثر من واحد، ألا ترى أنّه لو أُضيف إلى رأس الإنسان رأس آخر لكان ثقلاً[٣] عليه، من غير حاجة إليه، لأنّ الحواسَّ التي يحتاج إليها مجتمعةٌ في رأس واحد، ثمّ كان الإنسان ينقسم قسمين لو كان له رأسان، فإن تكلّم من أحدهما كان الآخر معطّلاً لا أَرَب فيه ولا حاجة إليه، وإن تكلّم منهما جميعاً بكلام واحد كان أحدهما فضلاً لا يحتاج إليه، وإن تكلّم من أحدهما[٤] بغير الذي تكلّم به من الآخر، لم يدر السامع بأيّ ذلك يأخذ، وأشباه هذا من الاختلاط[٥].

واليدان ممّا خُلِقَ أزواجاً، ولم يكن للإنسان خير في أن يكون له يد واحدة؛ لأنّ ذلك كان يُخِلُّ به[٦] فيما يحتاج إلى معالجته من الأشياء. ألا ترى أنّ النجّار والبنّاء لو شلّت[٧] إحدى يديه لا يستطيع[٨] أن يعالج صناعته[٩]، وإن تكلّف ذلك لم يُحْكِمْه،

---

(١) في «د»: تفكّر. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

(٢) ليست في «ب» «ج» «د».

(٣) في «أ»: ثقيلاً. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

(٤) في «ب» «د» «ن»: «بأحدهما» بدل «من أحدهما».

(٥) في «أ» «ج» «د» «ن»: الاخلاط. والمثبت عن «ب» ونسخة بدل من «د».

(٦) في «ج»: بها. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

(٧) في نسخة بدل من «ج»: سُلّت.

(٨) في «ج»: لم يستطع. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

(٩) في نسخة بدل من «أ»: صنعته.

ولم يبلغ منه ما يبلغه إذا كانت له يدان[١] تتعاونان على العمل.

[الصوت والكلام وتهيئة آلاته في الإنسان وعمل كلّ منها]

أطل الفكر يا مفضّل في الصوت والكلام وتهيئة آلاته في الإنسان؛ فالحنجرة كالأُنبوبة[٢] لخروج الصوت، واللسان والشفتان والأسنان لصياغة الحروف والنغم. ألا ترى أنّ من سقطت أسنانه لم يقم السين، ومن سقطت شفته لم يصحّح[٣] الفاء، ومن ثقل لسانه لم يفصح الراء، وأشبه شيء بذلك المزمار الأعظم، فالحنجرة تشبه قصبة المزمار، والرئة تشبه الزقّ الذي ينفخ فيه لتدخله[٤] الريح، والعضلات التي تقبض على الرئة ـ لتُخْرِجَ[٥] الصوت ـ كالأصابع التي تقبض على الزقّ حتّى تجري[٦] الريح في المزمار[٧]، والشفتان والأسنان التي تصوغ الصوت حروفاً ونغماً كالأصابع التي تختلف في فم المزمار فتصوغ صفيره ألحاناً، غير أنّه وإن كان مخرج الصوت يشبه المزمار بالدلالة[٨] والتعريف فإنّ المزمار ـ بالحقيقة[٩] ـ هو المشبَّه بمخرج الصوت.

---

(١) في «ن»: «يداه» بدل «له يدان».

(٢) في «ج»: كالأنبوب. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

(٣) في «أ» «د» ونسخة بدل من «ج»: يفصح.

(٤) في «أ» «ب» «ن»: لتدخل.

(٥) في جميع النسخ: «ليخرج»، والمثبت عن نسخة بدل من «ب».

(٦) في «د»: يخرج. وفي نسخة بدل من «ج»: تخرج.

(٧) في «ن»: المزامير.

(٨) في «ن»: بالآلة.

(٩) في «ن»: في الحقيقة.

[ما في الأعضاء من المآرب الأُخرى]

قد أنبأتك بما[(١)] في الأعضاء من الغَناء في صنعة[(٢)] الكلام وإقامة الحروف، وفيها مع الذي ذكرت لك مآرب أُخرى:

فالحنجرة ليسلك فيها هذا النسيم إلى الرئة، فتروّح[(٣)] عن[(٤)] الفؤاد بالنَّفَس الدائم المتتابع الذي لو احتبس[(٥)] شيئاً يسيراً لهلك الإنسان.

وباللسان تذاق الطعوم[(٦)] فيميّز بينها ويعرف كلّ واحد منها؛ حلوها من مُرّها، وحامضها من مزّها[(٧)]، ومالحها من عذبها، وطيّبها من خبيثها، وفيه مع ذلك معونة على إساغة الطعام والشراب.

والأسنان لمضغ الطعام حتّى يلين وتسهل إساغته، وهي مع ذلك كالسند للشفتين تمسكهما وتدعمهما من داخل الفم، واعتبر ذلك[(٨)] بأنّك[(٩)] ترى أنّ[(١٠)] من سقطت أسنانه مسترخي الشفة ومضطربها.

وبالشفتين يترشّف الشراب، حتّى يكون الذي يصل إلى الجوف منه بقصدٍ

---

(١) في «ج» «د»: عمّا. وفي نسخة بدل من «د» كالمثبت.

(٢) في «ج»: صيغة. وفي نسخة بدل منها: صفة.

(٣) في «د»: وتروّح.

(٤) في «ن»: على.

(٥) في «ب» «ن»: حبس. وفي نسخة بدل من «ب» كالمثبت.

(٦) في «أ»: يذاق الطعام.

(٧) في «أ» «ن»: مُرّها.

(٨) في «د»: بذلك.

(٩) في «أ» «ن»: فإنّك.

(١٠) ليست في «ب» «ج» «ن».

وقَدَر، لا يثجّ ثجّاً فيغصّ به الشارب، أو ينكأ في الجوف، ثمّ هُما بعد ذلك كالباب المطبق على الفم يفتحها[١] الإنسان إذا شاء ويطبقها[٢] إذا شاء.

وفيما[٣] وصفنا من هذا بيانُ أنّ كلَّ واحدٍ من هذه الأعضاء يتصرّف وينقسم إلى وجوه من المنافع كما تتصرّف الأداة الواحدة في أعمال شتّى، وذلك كالفأس تستعمل في النجارة والحفر وغيرهما من الأعمال.

[الدماغ وأغشيته والجمجمة وفائدتها]

لو[٤] رأيت الدماغ إذا كُشِفَ[٥] عنه لرأيته قد لُفّ بحجب بعضها فوق بعض لتصونه من الأعراض، وتمسكه فلا يضطرب، ولرأيت عليه الجمجمة بمنزلة البيضة، كيما تقيه حدَّ[٦] الصدمة والصكّة التي ربّما وقعت في الرأس، ثمّ قد جُلّلت الجمجمة[٧] بالشعر، حتّى صار[٨] بمنزلة الفرو للرأس يستره[٩] من شدّة الحرّ والبرد، فمَن حصّن

---

(١) في «أ» «ن»: يفتحها.

(٢) في «أ» «ن»: ويطبقها.

(٣) في «ب» «ج» «د»: ففيما.

(٤) في «ن»: ولو.

(٥) في «د»: كشفت.

(٦) في «أ» «ج»: كيما يُفتّه حدّ الصدمة. وفي «ب»: كيما يغته هد الصدمة، وفي نسخة بدل منها: كيما يغته حدّ الصدمة. وفي «د»: كيما تقيه هدة الصدمة. وفي «ن»: كيما تقيه هدّ الصدمة. والمثبت ملفق من بينها.

(٧) ليست في «د».

(٨) في «ن»: صارت.

(٩) في «أ» «د»: ليستره.

الدماغ هذا التحصين، إلّا الذي خلقه وجعله ينبوع الحسّ، والمستحقّ للحياطة[١] والصيانة، بعلوّ منزلته من البدن، وارتفاع درجته، وخطر[٢] مرتبته.

[الجفن وأشفاره]

تأمّل يا مفضّل: الجفن على العين كيف جعل كالغشاء، والأشفار كالأشراج[٣]، وأولجها في هذا الغار، وأظلّها بالحجاب، وما عليه من الشعر.

[الفؤاد ومدرعته]

يا مفضّل من غيّب[٤] الفؤاد في جوف الصدر، وكساه المدرعة التي هي[٥] غشاؤه، وحصّنه بالجوانح وما عليها من اللحم والعصب، لئلّا يصل إليه ما ينكأه؟

[الخلق والمريء]

من جعل في الحلق منفذين: أحدهما لمخرج الصوت وهو الحلقوم المتصل بالرئة، والآخر منفذاً للغذاء، وهو المريء المتّصل بالمعدة الموصل الغذاء إليها، وجعل على الحلقوم طبقاً يمنع الطعام أن يصل إلى الرئة فيقتل؟

---

(١) في «ب» «جـ» «ن»: للحيطة. والمثبت عن «أ» «د» ونسخة بدل من «جـ».
(٢) في «ن»: وخطير.
(٣) في «أ» «ن»: كالأشراح.
(٤) في «جـ»: عيَّبَ.
(٥) ليست في «ن».

[الرئة وعملها... أشراج منافذ البول والغائط]

من جعل الرئة مِرْوَحَة الفؤاد لا تفتر ولا تختلّ[١] لكيلا تَـتَحَيَّزَ[٢] الحـرارةُ في الفؤاد فتؤدّي إلى التلف؟ من جعل لمنافذ البول والغائط أشراجاً[٣] تضبطهما لئـلّا يجريا جرياناً[٤] دائماً فيفسد على الإنسان عيشه؟ فكم عسى أن يحصي المحصي من هذا؟ بل الذي لا يحصى منه ولا يعلمه الناس أكثر.

[المعدة عصبانيّة والكبد]

من جعل المعدة عصبانيّة شديدة وقدَّرها لهضم الطعام الغليظ؟ ومن جعل الكبد رقيقة ناعمة ـ لقبول الصفو اللطيف من الغذاء، ولتهضم[٥] وتعمل ما هو ألطف من عمل المعدة ـ إلّا الله القادر؟ أترى[٦] الإهمال يأتي بشيء من ذلك؟ كلّا بـل هـو تدبير من[٧] مدبّر حكيم قادر، عليم بالأشياء قبل خلقه إيّاها، لا يعجزه شيء وهو اللطيف الخبير.

[المخ والدم والأظفار والأُذن ولحم الإليتين والفخذين]

فكّر يا مفضّل لم صار المخّ الرقيق محصناً في أنابيب العظام؟ هل ذلك إلّا ليحفظه ويصونه؟

---

(١) في «ب» «د»: ولا تخلّ.
(٢) في «د» «ن»: تتحيّر.
(٣) في «د»: أشراحاً.
(٤) في «أ»: جرياً.
(٥) في «د»: «والهضم» بدل «ولتهضم».
(٦) في «ب»: أترى من الإهمال. وأدخلت «من» في متنها عن نسخة.
(٧) ليست في «د» «ن».

لم صار الدم السائل[١] محصوراً في العروق بمنزلة الماء في الظروف إلّا لتضبطه فلا يفيض؟

لم صارت الأظفار على أطراف الأصابع إلّا وقاية لها ومعونة على العمل؟

لم صار داخل الأُذن ملتوياً كهيئة اللولب[٢] إلّا ليطّرد فيه الصوت حتّى ينتهي إلى السمع، وليكسر حُمَّةَ[٣] الريح، فلا ينكأ في السمع؟

لم[٤] حُمِّل الإنسان على فخذيه وأَليتيه[٥] هذا اللحم، إلاّ ليقيه من الأرض، فلا يتألّم من الجلوس عليهما[٦]، كما يألم من نحل جسمه[٧] وقلّ لحمه، إذا لم يكن بينه وبين الأرض حائل يقيه[٨] صلابتها.

[الإنسان ذكر وأُنثى وتناسله وآلات العمل وحاجته وحيلته وإلزامه بالحجّة]

من جعل الإنسان ذكراً وأُنثى إلّا من خلقه متناسلاً؟ ومن خلقه متناسلاً إلّا من خلقه مؤمِّلاً؟ ومن أعطاه آلات العمل إلّا من خلقه عاملاً؟ ومن خلقه عاملاً إلّا من جعله محتاجاً؟ ومن جعله محتاجاً إلّا من ضربه بالحاجة؟ ومن ضربه بالحاجة إلّا من توكّل بتقويمه؟

---

(١) ليست في «د».

(٢) في «أ» «ب» «ج» «د»: الكوكب.

(٣) في «أ» «ج» «د»: حِمية. واستظهر في «ج»: حميت.

(٤) في «أ»: ولم.

(٥) في «أ» «د»: وأليبه. وهما لغتان.

(٦) في «ج» «ن»: عليها.

(٧) في نسخة بدل من «ج»: جسده.

(٨) في «ب» «ج»: يوقّيه. وفي هامش «ب»: يقيه صح ل. وفي نسخة بدل من «ج»: كالمثبت.

من[١] خصّه بالفهم إلّا من أوجب له[٢] الجزاء؟ و[٣]من وهب له الحيلة إلّا من ملَّكه الحول؟ و[٤]من ملّكه الحول إلّا من ألزمه الحجّة؟ و[٥]من يكفيه ما لا تبلغه حيلته إلّا من لا[٦] يُبلَغ مدى شكره؟

فكّر وتدبّر ما وصفته، هل تجد الإهمال يأتي[٧] على مثل[٨] هذا النظام والترتيب، تبارك الله و[٩]تعالى عمّا يصفون.

[الفؤاد وثقبه المتصلة بالرئة]

أصف لك الآن يا مفضّل الفؤاد.. اعلم أنّ فيه ثُقَباً موجهة نحو الثُقُب التي في الرئة تروّح عن الفؤاد، حتّى لو اختلفت تلك الثُّقُب[١٠] وتزايل بعضها عن بعض، لما وصل الرَّوح إلى الفؤاد، ولهلك[١١] الإنسان.

فَكِّر[١٢] أفيستجيز ذو (فكرة و)[١٣] روية أن يزعم أنّ مثل هذا يكون

---

(١) في «ن»: ومن.
(٢) ليست في «ن».
(٣) الواو ليست في «ب» «ج».
(٤) الواو ليست في «د».
(٥) الواو ليست في «ب» «د» «ن».
(٦) في «ب» «ن»: من لم يبلغ. والمثبت عن «أ» «ج» «د» ونسخة بدل من «ب».
(٧) ليست في «ب».
(٨) ليست في «ب». وأُدخلت في متن «ج» عن نسخة.
(٩) الواو ليست في «ن». وقوله «وتعالى» ليس في «ب».
(١٠) في «ب»: الثقبة. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.
(١١) في «ج»: ويهلك. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.
(١٢) ليست في «ب» «د» «ن».
(١٣) ليست في «أ». وفي «ب» «د»: فكر ورويّة.

بالإهمال، ولا يجد شاهداً من نفسه يزعه[١] عن هذا القول؟

لو رأيت فرداً من مصراعين[٢] فيه كلّوب[٣]، أكنت تتوهّم أنّه جُعِلَ كذلك بلا معنى؟ بل كنت ستعلم[٤] ضرورةً أنّه مصنوع يلق فرداً آخر، فيبرزه[٥] ليكون في اجتماعهما ضرب من المصلحة، وهكذا تجد الذكر من الحيوان، كأنّه فرد من زوج مهيّأ[٦] من فرد أُنثى، فيلتقيان لما فيه من دوام النسل وبقائه، فتبّاً وخيبة وتعساً لمنتحلي الفلسفة كيف عميت قلوبهم عن هذه الخلقة العجيبة حتّى أنكروا التدبير والعمد فيها؟

[فرج الرجل والحكمة فيه]

لو كان فرج الرجل مسترخياً كيف كان يصل إلى قعر الرحم حتّى يفرغ النطفة فيه؟ ولو كان منعضاً أبداً كيف كان الرجل يتقلّب في الفراش، أو يمشي بين الناس وشيءٌ شاخص أمامه، ثمّ يكون في ذلك مع قبح المنظر، تحريكُ الشهوة في كلّ وقت من الرجال والنساء جميعاً، فقدّر الله جلّ اسمه أن يكون أكثر ذلك لا يبدو للبصر في كلّ وقت، ولا يكون على الرجال منه مؤنة، بل جعل فيه القوّة على[٧] الانتصاب

---

(١) في «ج»: نزعه. وفي نسخة بدل منها ومن «ب»: ينزعه.

(٢) في نسخة بدل من «ج»: «ومصراعين» بدل «من مصراعين».

(٣) في «ج»: كلون. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

(٤) في «أ» «ب» «ن» ونسخة بدل من «ج»: تعلم.

(٥) في «أ» ونسخة بدل من «ج»: فيقرّره.

(٦) رسمت في «ب»: مهيّا. ثمّ وضعت دائرة حول النقطتين التحتانيتين. وفي نسختي بدل من «ج» «د»: مهنًّا.

(٧) في «ن»: «قوّة الانتصاب» بدل «القوّة على الانتصاب».

وقت الحاجة إلى ذلك، لِما قدّر أن يكون فيه من دوام النسل وبقائه.

[منفذ الغائط ووصفه]

اعتبر الآن يا مفضّل بعظم النعمة على الإنسان في مطعمه ومشربه وتسهيل خروج الأذى، أليس[١] من حسن[٢] التقدير في بناء الدار أن يكون الخلاء في أستر موضع منها[٣]، فهكذا[٤] جعل الله سبحانه المنفذ المهيّأ للخلاء من الإنسان في أستر موضع منه، فلم يجعله بارزاً من خلفه، ولا ناشزاً من بين يديه، بل هو مغيَّب في موضع غامض من البدن، مستور محجوب، يلتقي عليه الفخذان ـ وتحجبه الأَليتان بما عليهما من اللحم ـ فيواريانه[٥]، فإذا احتاج الإنسان إلى الخلاء وجلس تلك الجلسة ألفى[٦] ذلك المنفذ منه منصبّاً، مهيّأً لانحدار الثُّفْل، فتبارك[٧] من تظاهرت آلاؤه ولا تحصى نعماؤه.

[الطواحن من أسنان الإنسان]

فكّر يا مفضّل في هذه الطواحن التي جعلت للإنسان، فبعضها حِداد لقطع الطعام وقرضه، وبعضها عراض لمضغه ورضّه، فلم ينقص واحد من الصفتين[٨]، إذ كان

---

(١) في «د»: أليس هذا من.
(٢) في «أ» «د»: أحسن.
(٣) في «ب»: فيها. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.
(٤) في «ن»: فكذا.
(٥) في «ن»: فتواريانه.
(٦) في «ب» «ج» «د»: ألقى. وفي نسخة من «ب» كالمثبت، وكتب بعدها صح ل.
(٧) في «ب»: فتبارك الله من تظاهرت. وأدخل لفظ الجلالة فيها عن نسخة.
(٨) في نسخة بدل من «ب»: الصنعين. وفي «ج»: الصنعتين، وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

محتاجاً[١] إليهما جميعاً.

[الشعر والأظفار وفائدة قصّهما]

تأمّل واعتبر بحسن التدبير في خلق[٢] الشعر والأظفار، فإنّهما لمّا كانا ممّا يطول ويكثر، حتّى يحتاج إلى تخفيفه أوّلاً فأوّلاً، جعلا عديمَي الحسّ، لئلّا يؤلم الإنسان الأخذ منهما، ولو كان قصّ الشعر وتقليم الأظفار ممّا يوجد[٣] له (مسُّ ذلك، لكان الإنسان)[٤] من ذلك بين مكروهين، إمّا أن يدع كلّ واحد منهما حتّى يطول فيثقل عليه، وإمّا أن يخفّفه بوجع وألم يتألّم منه.

قال المفضّل: فقلت: فلِمَ لَمْ يجعل ذلك خلقة لا تزيد فيحتاج الإنسان إلى النقصان منه؟

فقال[٥] عليه السلام: إنّ الله تبارك اسمه في ذلك على العبد نعماً لا يعرفها فيحمده عليها.. اعلم أنّ آلام البدن وأدواءه تخرج بخروج الشعر في مسامّه وبخروج الأظفار من أناملها، ولذلك أُمِرَ الإنسان بالنورة، وحلق الرأس، وقصّ الأظفار في كلّ أُسبوع ليسرع الشعر والأظفار في النبات، فتخرج الآلام والأدواء بخروجهما.. وإذا طالا تحيّزا[٦]، وقلّ خروجها، فاحتبست الآلام والأدواء في البدن فأحدثت[٧] عللاً

---

(١) في «ج»: يحتاج.
(٢) في «أ» «د» «ن»: حلق.
(٣) في نسخة بدل من «ج»: يوجب.
(٤) في «ن»: أَلمّ وَقَعَ.
(٥) في «ج»: قال.
(٦) في «أ» «ب» «د» «ن»: تحيّرا. والمثبت عن «ج». وشرحت في هامشها: تحوّز تلوّى كتحيّز.
(٧) في «د»: وأحدثت.

وأوجاعاً، ومنع ـ مع ذلك ـ الشعر من المواضع التي تضرّ بالإنسان، وتحدث عليه الفساد والضرر[١].

لو[٢] نبت الشعر في العين، ألم يكن سيعمى البصر؟ ولو نبت في الفم، ألم يكن سينغص[٣] على الإنسان طعامه وشرابه؟ ولو نبت في باطن الكفّ ألم يكن سيعوقه عن صحّة اللمس وبعض الأعمال؟ ولو نبت في فرج المرأة أو[٤] على ذكر الرجل، ألم يكن سيفسد عليهما لذّة الجماع؟

فانظر كيف تَنَكَّبَ الشعر[٥] عن[٦] هذه المواضع، لما في ذلك من المصلحة، ثمّ ليس هذا في الإنسان فقط، بل تجده في البهائم والسباع وسائر المتناسلات، فإنّك ترى أجسامها[٧] مجلّلة بالشعر، وترى هذه المواضع خالية منه لهذا السبب بعينه.. فتأمّل الخلقة كيف تتحرّز وجوه الخطأ والمضرّة، وتأتي بوجوه الصواب[٨] والمنفعة.

[شعر الركب والإبطين]

إنّ المنانيّة[٩] وأشباههم، حين اجتهدوا[١٠] في عيب الخلقة والعمد عابوا الشعر

---

(١) في «ن»: والضرّ.

(٢) في «ج»: ولو. وكذلك في «ب» ثمّ شطب على الواو.

(٣) في «أ» «ب» ونسخة بدل من «ج»: سيغص. وفي نسخة بدل من «أ» كالمثبت.

(٤) في «أ» «ن»: «وعلى» بدل «أو على».

(٥) في «ج»: بالشعر. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

(٦) «عن» ليست في «أ» «ب» «ج» «د».

(٧) في «ب» ونسخة بدل من «د»: أجسامهن.

(٨) في «أ»: بوجوب الصواب. وفي «ب» «ن»: وتأتي بالصواب.

(٩) في «ب»: المانوية. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

(١٠) في «ن»: أجهدوا.

النابت على الرَّكَبِ والإبطين، ولم يعلموا أنّ ذلك من رطوبة تَنْصَبُّ إلى هذه المواضع، فينبت فيها الشعر كما ينبت العشب في مستنقع المياه، أفلا ترى أنّ[١] هذه المواضع أستر وأهيأ لقبول تلك الفضلة من غيرها؟ ثمّ إنّ هذه تعدّ[٢] ممّا يحمل الإنسان من مؤنة هذا البدن وتكاليفه لما له في ذلك من المصلحة، فإنّ اهتمامه بتنظيف بدنه وأخذ ما يعلوه من الشعر، ممّا يكسر به شِرّته[٣] ويكفّ عاديته ويشغله عن بعض ما يخرجه[٤] إليه الفراغ من الأَشَرِ والبطالةِ.

[الريق وما فيه من المنفعة]

تأمّل الريق وما فيه من المنفعة، فإنّه جعل يجري جرياناً دائماً إلى الفم، ليبلّ الحلق واللَّهَوات فلا[٥] يجفّ، فإنّ هذه المواضع لو جعلت كذلك كان فيه هلاك الإنسان[٦]، ثمّ كان لا يستطيع أن يسيغ[٧] طعاماً إذا لم يكن في الفم بلّة تنفذه؛ تشهد بذلك المشاهدة.

واعلم أنّ الرطوبة مطيّة الغذاء، وقد تجري من هذه البلّة إلى موضع آخر[٨] ـ من

---

(١) في «ب» «ج» «ن»: «إلى» بدل «أن».

(٢) في «أ» ونسخة من «ب»: بَعْدُ. وفي نسخة بدل من «أ» كالمثبت.

(٣) في «ج»: شرهه.

(٤) في «أ» ونسخة بدل من «ج»: يخرج.

(٥) في «ج»: ولا يجف.

(٦) في «ن»: الأسنان.

(٧) في «ج»: يشبع.

(٨) في «أ» «ن»: مواضع أُخر.

المِرَّة ـ فيكون في ذلك صلاح تامّ للإنسان[١]، ولو يبست المرّة لهلك الإنسان.

[محاذير كون بطن الإنسان كهيئة القباء]

ولقد قال قوم من جهلة المتكلّمين وضعفة المتفلسفين ـ لقلّة[٢] التمييز وقصور العلم ـ: لو كان بطن الإنسان كهيئة القباء يفتحه الطبيب إذا شاء فيعاين ما فيه، ويُدخِل يده فيعالج ما أراد علاجه منه[٣]، ألم يكن أصلح من أن يكون مُصمتاً محجوباً عن البصر واليد، لا يعرف ما فيه إلّا بدلالات غامضة، كمثل النظر إلى البول، وجَسّ[٤] العِرْق، وما أشبه ذلك ممّا يكثر فيه الغلط والشبهة، حتّى ربّما كان ذلك سبباً للموت.

فلو علم هؤلاء الجهلة أنّ هذا لو كان هكذا، كان أوّل ما فيه أنّه[٥] كان يسقط عن الإنسان الوجل من الأمراض والموت، وكان يستشعر البقاء ويغترّ بالسلامة فيخرجه ذلك إلى العتوّ والأشر.

ثمّ كانت الرطوبات[٦] التي في البطن تترشّح وتتحلّب فتُفسِدُ[٧] على الإنسان مقعده ومرقده وثياب بِذْلَته[٨] وزينته، بل كان يفسد عليه عيشه.

---

(١) في «أ»: للأسنان.

(٢) في «أ» «ب» «ج» «ن»: بقلّة. والمثبت عن «د» ونسخة بدل من «ج».

(٣) ليست في «أ» «ب» «ج» «د».

(٤) في «ب» «د»: وحِسّ.

(٥) في «ن»: أن.

(٦) في «ج»: الرطوبة. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

(٧) في «أ» «ب» «ن»: فيفسد.

(٨) في «ن»: بَذْلته.

ثمّ إنّ المعدة والكبد والفؤاد إنّما تفعل أفعالها بالحرارة الغريزيّة التي جعلها الله محتبسة في الجوف، فلو كان في البطن فرج ينفتح[١] حتّى يصل البصر إلى رؤيته، واليد إلى علاجه، لوصل برد الهواء إلى الجوف، فمازج الحرارة الغريزيّة، وبطل عمل[٢] الأحشاء، فكان في ذلك هلاك الإنسان، أفلا ترى أنّ كلّ ما تذهب إليه[٣] الأوهام ـ سوى ما جاءت[٤] به الخلقة ـ خطأ وخطل.

[أفعال الإنسان في الطعم والنوم والجماع وشرح ذلك]

فكّر يا مفضّل في الأفعال التي جعلت في الإنسان من الطعم والنوم والجماع وما دبّر فيها.. فإنّه جُعِلَ لكلّ واحد منها في الطباع نفسه مُحَرِّكٌ يقتضيه ويستحثّ به، فالجوع يقتضي الطُّعْم الذي به[٥] حياة[٦] البدن وقوامه، والكرى يقتضي النوم الذي فيه راحة البدن وإجمام قواه، والشبق يقتضي الجماع الذي فيه دوام النسل وبقاؤه.

ولو كان الإنسان إنّما يصير إلى أكل الطعام لمعرفته بحاجة بدنه إليه، ولم يجد من طباعه شيئاً يضطرّه إلى ذلك، كان خليقاً أن يتوانى عنه أحياناً بالتثقّل[٧] والكسل،

---

(١) في «أ» «ج» «د»: فُرَجٌ تنفتح.

(٢) في نسخة بدل من «ج»: حمل.

(٣) في نسخة بدل من «د»: عليه.

(٤) في نسخة بدل من «ج»: ما جرت.

(٥) في «ن»: فيه.

(٦) في «ن»: راحة.

(٧) في «ج» «ن»: بالثقل.

حتّى ينحلّ بدنه فيهلك، كما يحتاج الواحد إلى الدواء لشيء ممّا يصلح به بدنه فيدافع به حتّى يؤدّيه ذلك إلى المرض والموت، وكذلك لو كان إنّما يصير إلى النوم بالتفكّر[١] في حاجته إلى راحة البدن وإجمام قواه كان عسى أن يتثاقل عن ذلك فيدفعه حتّى ينهك بدنه، ولو كان إنّما يتحرّك للجماع بالرغبة في الولد كان غير بعيد أن يفتر عنه، حتّى يقلّ[٢] النسل أو[٣] ينقطع فإنّ من الناس من لا يرغب في الولد، ولا يحفل به[٤].

فانظر كيف جُعِلَ لكلّ واحد من هذه الأفعال ـ التي بها قوام الإنسان وصلاحه ـ محرِّكٌ من نفس الطبع يحرّكه لذلك، ويحدوه عليه.

واعلم أنّ في الإنسان قوى أربعاً:

قوّة جاذبة تقبل الغذاء وتورده على المعدة.

وقوّة ماسكة[٥] تحبس الطعام حتّى تفعل فيه الطبيعة فعلها.

وقوّة هاضمة وهي التي تطبخه[٦] وتستخرج صفوه وتبثّه[٧] في البدن.

وقوّة دافعة تدفعه وتحدر الثفل الفاضل بعد أخذ الهاضمة حاجتها.

ففكّر في تقدير هذه القوى الأربع التي في البدن وأفعالها وتقديرها للحاجة إليها

---

(١) في «ن»: بالفكر.

(٢) في نسخة بدل من «ج»: يفكّ.

(٣) في «أ»: وينقطع.

(٤) في «د»: فيه. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

(٥) في «أ» «ب» «ج» «د»: ممسكة.

(٦) في نسختي بدل من «ب» «ج»: تطحنه.

(٧) في «د»: وتثبته.

والأَرَب فيها، وما في ذلك من التدبير والحكمة، فلولا[١] الجاذبة كيف كان[٢] يتحرّك الإنسان لطلب الغذاء الذي به قوام البدن؟ ولولا الماسكة[٣] كيف كان يلبث الطعام في الجوف حتّى تهضمه المعدة؟ ولولا الهاضمة كيف كان ينطبخ حتّى يخلص منه الصفو الذي يغذو البدن ويسدّ خلله؟ ولولا الدافعة كيف[٤] كان الثفل الذي تُخلّفه الهاضمة يندفع ويخرج[٥] أوّلاً فأوّلاً؟

أفلا ترى كيف وكّل الله سبحانه ـ بلطف[٦] صنعه وحسن تقديره ـ هذه القوى بالبدن، والقيام بما فيه صلاحه.. وسأُمثّل لك[٧] في ذلك مثالاً: إنّ البدن بمنزلة دار المَلِك، و[٨]له فيها حشم وضِبْنَةٌ[٩] وقوّام موكّلون بالدار، فواحد لقضاء[١٠] حوائج الحشم وإيرادها عليهم، وآخر لقبض ما يرد وخزنه إلى أن يعالج ويهيّأ، وآخر لعلاج ذلك وتهيئته وتفرقته[١١]، وآخر لتنظيف ما في الدار من الأقذار وإخراجه منها؛ فالمَلِك في هذا هو الخلّاق[١٢] الحكيم ملك[١٣] العالمين، والدار هي البدن،

---

(١) في «ب»: ولو لا.
(٢) ليست في «أ» «ب» «ج».
(٣) في «ج»: الممسكة. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.
(٤) في «ج»: بِمَ. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.
(٥) في «أ»: فيخرج.
(٦) في «أ» «د»: بلطيف. وفي «ب»: سبحانه لك بلطيف منه صنعه.
(٧) ليست في «ب».
(٨) الواو ليست في «د» «ن».
(٩) في «ب» «ج» «د» «ن»: وصبية. والمثبت عن «أ» ونسخة بدل من «ج».
(١٠) في «أ» «د»: لإفضاء. وفي «ب» «ج»: لإقضاء.
(١١) في «ب» «ن»: وتفريقه.
(١٢) في نسختي بدل من «أ» «ج»: الخالق.
(١٣) في «أ» «د»: مالك.

والحشم هم[١] الأعضاء، والقوّام هم هذه القوى الأربع.

ولعلّك ترى ذكرنا هذه القوى الأربع وأفعالها ـ بعد الذي وصفت ـ فضلاً وتردادا[٢]. وليس[٣] ما ذكرته من هذه القوى على الجهة التي ذكرت في كتب الأطبّاء ولا قولنا فيه كقولهم، لأنّهم ذكروها على ما يُحتاج إليه في صناعة الطبّ وتصحيح الأبدان، وذكرناها على ما يحتاج إليه[٤] في صلاح الدين وشفاء النفوس من الغيّ[٥] كالذي أوضحتُهُ بالوصف الشافي والمثل المضروب من التدبير والحكمة فيها.

[قوى النفس وموقعها من الإنسان]

تأمّل يا مفضّل هذه القوى التي في النفس[٦]، وموقعها من الإنسان، أعني الفكر والوهم والعقل والحفظ وغير ذلك، أفرأيت لو نُقِصَ الإنسان من هذه الخلال الحفظَ وحده[٧]، كيف كانت تكون حاله، وكم من خلل كان يدخل عليه في أُموره ومعاشه وتجارته[٨]، إذا لم يحفظ ماله وما[٩] عليه، وما أخذه وما أعطى، وما رأى وما سمع،

---

(١) في «أ» «ب» «ج» «د»: هي. وكذا في المورد الآتي.

(٢) في «ب» «ج» «د» «ن»: وتزدادا. والمثبت عن «أ» ونسخة بدل من «ج».

(٣) في «أ» «د» ونسخة بدل من «ج»: «إذ ليس» بدل «وليس».

(٤) ليست في «ب» «د» «ن».

(٥) في «أ»: العيّ.

(٦) في «ج» «د»: النفوس. وفي نسخة بدل من «د» كالمثبت.

(٧) في نسخة من «ب»: والحفظ واحدة.

(٨) في «ب» «ن»: وتجاربه. والمثبت عن «أ» «ج» «د» ونسخة بدل من «ب».

(٩) «ما» ليست في «ب» «ج» «د».

وما قال وما قيل له، ولم يذكر من أحسن إليه ممّن أساء به، وما نفعه ممّا ضرّه، ثمّ كان لا يهتدي لطريق لو سلكه ما لا يحصى، ولا يحفظ علماً ولو درسه عمره، ولا يعتقد ديناً، ولا ينتفع بتجربة، ولا يستطيع أن يعتبر شيئاً على ما مضى، بل كان حقيقاً[١] أن ينسلخ من الإنسانيّة أصلاً[٢].

[النعمة على الإنسان في الحفظ والنسيان]

فانظر إلى النعمة على الإنسان في هذه الخلال، وكيف موقع الواحدة منها دون الجميع، وأعظم من النعمة على الإنسان في الحفظ النعمةُ في النسيان، فإنّه لولا النسيان لما سلا أحد عن مصيبة، ولا انقضت[٣] له حسرة، ولا مات له حقد، ولا استمتع بشيء من متاع الدنيا مع تذكّر الآفات، ولا رجا غفلة من سلطان، ولا فترة من حاسد.

أفلا ترى كيف جعل في الإنسان الحفظ والنسيان وهما مختلفان متضادّان، وجُعِل له في كلّ واحد[٤] منهما ضربٌ من المصلحة، وما عسى أن يقول الذين قسموا الأشياء بين خالقين متضادّين في هذه الأشياء المتضادّة المتباينة، وقد تراها تجتمع على ما فيه الصلاح والمنفعة.

[اختصاص الإنسان بالحياء دون بقيّة الحيوانات]

انظر يا مفضّل إلى ما خُصّ به الإنسان دون جميع الحيوان من هذا الخلق، الجليل

---

(١) في «أ»: حقيقاً خليقاً. وفي «ج»: خليقاً، وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

(٢) ليست في «ن».

(٣) في نسخة بدل من «ج»: ولا نقضت.

(٤) ليست في «ب» «ج» «ن».

قدره، العظيم غناؤه، أعني الحياء، فلولاه لم يُقْرَ ضيفٌ، ولم يُوفَ بالعِدات، ولم تُقْضَ الحوائج، ولم يُتَحَرَّ الجميل، ولم يُتَنَكَّب القبيح في شيء من الأشياء، حتّى أنّ كثيراً من الأُمور المفترضة أيضاً إنّما تُفعل للحياء؛ فإنّ من الناس مَن لولا الحياء لم يَرْعَ حقّ والديه، ولم يصل ذا رحم، ولم يؤدّ أمانة، ولم يعفّ عن فاحشة.. أفلا ترى كيف وُفِّيَ الإنسان جميع الخلال التي فيها صلاحه وتمام أمره.

[اختصاص الإنسان بالمنطق والكتابة]

تأمّل يا مفضّل ما أنعم الله ـ تقدّست أسماؤه ـ به على الإنسان من هذا النُّطق[١] الذي يعبّر به عمّا في ضميره، وما يخطر بقلبه، وينتجه فكره، وبه[٢] يفهم عن غيره ما في نفسه، ولولا ذلك كان بمنزلة البهائم المهملة، التي لا تخبر عن نفسها بشيء، ولا تفهم عن مخبر شيئاً.

وكذلك الكتابة التي بها تقيّد أخبار الماضين للباقين، وأخبار الباقين للآتين، وبها تخلد[٣] الكتب في العلوم والآداب وغيرها، وبها يحفظ الإنسان ذكر ما يجري بينه وبين غيره من المعاملات والحساب، ولولاها[٤] لانقطع أخبار بعض[٥] الأزمنة عن بعض، وأخبار الغائبين عن أوطانهم، ودرست العلوم، وضاعت[٦] الآداب،

(١) في «جـ» «ن»: المنطق. والمثبت عن «أ» «ب» «د» ونسخة بدل من «جـ».
(٢) «به» أُدخلت في متن «ب» عن نسخة.
(٣) في «أ» تُجَلّد. والظاهر أنّها مصحفة عن «تُخلَّد».
(٤) في «أ» «ب» «جـ» «ن»: ولولاه.
(٥) في «جـ»: لانقطع بعض أخبار.
(٦) في «جـ»: وصناعة. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

وعظم ما يدخل على الناس من الخلل[١] في أُمورهم ومعاملاتهم ،وما يحتاجون إلى النظر فيه من أمر دينهم، وما روي لهم ممّا لا يسعهم جهله.

ولعلّك تظنّ أنّها ممّا يخلص[٢] إليه بالحيلة والفطنة، وليست ممّا أُعطيه الإنسان من خلقه وطباعه.

وكذلك الكلام، إنّما هو شيء يصطلح عليه الناس فيجري بينهم، ولهذا صار يختلف في الأُمم المختلفة بأَلْسُنٍ مختلفة[٣]، وكذلك الكتابة[٤] ككتابة[٥] العربي والسرياني والعبراني والرومي، وغيرها من سائر الكتابة، التي هي متفرّقة في الأُمم إنّما اصطلحوا عليها، كما اصطلحوا على الكلام.

فيقال لمن ادّعى ذلك: إنّ الإنسان وإن كان له في الأمرين جميعاً فعل أو حيلة، فإنّ الشيء الذي يبلغ به ذلك الفعل والحيلة، عطيّة وهبة من الله عزّ وجلّ له في خلقه[٦]، فإنّه لو لم يكن له لسان مهيّأ للكلام، وذهن يهتدي به للأُمور، لم يكن ليتكلّم أبداً، ولو لم تكن له كفّ مُهَيَّأَة وأصابع للكتابة، لم يكن ليكتب أبداً.

واعتبر ذلك من البهائم التي لا كلام لها ولا كتابة، فأصل ذلك فطرة الباري جلّ وعزّ، وما تفضّل به على خلقه، فمن شكر أُثيب، ﴿ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعالَمِينَ ﴾[٧].

---

(١) في نسخة بدل من «ج»: خلل.

(٢) في «ج»: يتخلّص.

(٣) قوله «بألسن مختلفة» ليس في «ن».

(٤) ليست في «ن».

(٥) في «ن»: لكتابة.

(٦) في «ج» «د» ونسخة بدل من «ب»: خلقته. وفي نسخة بدل من «ج» كالمثبت.

(٧) آل عمران: ٩٧.

[إعطاء الإنسان ما يصلح دينه ودنياه ومنعه ممّا سوى ذلك]

فكّر يا مفضّل فيما أُعطي الإنسان علمه وما مُنِعَ، فإنّه أُعطي علم جميع[١] ما فيه صلاح دينه ودنياه؛ فممّا فيه صلاح دينه معرفة الخالق تبارك وتعالى بالدلائل والشواهد القائمة في الخلق، ومعرفة الواجب عليه من العدل على الناس كافّة، وبرّ الوالدين، وأداء الأمانة، ومواساة أهل الخلّة، وأشباه ذلك، ممّا قد توجد معرفته، والإقرار والاعتراف به في الطبع والفطرة، من كلّ أُمّة موافقة أو مخالفة.

وكذلك أُعطي علم ما فيه صلاح دنياه كالزراعة والغراس، واستخراج الأرضين، واقتناء الأغنام والأنعام، واستنباط المياه، ومعرفة العقاقير التي يُستَشفى بها من ضروب الأسقام، والمعادن التي تُستخرج منها أنواع الجواهر، وركوب السفن، والغوص في البحر، وضروب الحيل في صيد الوحش والطير والحيتان، والتصرّف في الصناعات ووجوه المتاجر والمكاسب، وغير ذلك ممّا يطول شرحه ويكثر تعداده، ممّا فيه صلاح أمره في هذه الدار.

فأُعطي علم ما يصلح به دينه ودنياه، ومُنِع ما سوى ذلك ممّا ليس في شأنه ولا طاقته أن يعلمه[٢]؛ كعلم الغيب وما هو كائن، وبعض ما قد كان أيضاً؛ كعلم[٣] ما فوق السماء وما تحت الأرض، وما في لجج البحار[٤] وأقطار العالم، وما في قلوب الناس وما في الأرحام، وأشباه هذا ممّا حجب عن[٥] الناس علمه.

---

(١) في «ن»: جميع علم.

(٢) في «أ» «ب» «د» «ن» ونسخة بدل من «ج»: يعلم. والمثبت عن «ج» ونسخة بدل من «ب».

(٣) في «ج» ونسخة بدل من «ب»: كعلمه. وفي نسخة بدل من «ج» كالمثبت.

(٤) في «د»: البحر. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

(٥) في «أ» «ب» «ج» «د»: على.

وقد ادّعت طائفة من الناس هذه الأمور، فأبطل دعواهم ما تَبَيَّنَ[١] من خطئهم فيما يقضون عليه ويحكمون به فيما ادّعوا علمه[٢].

فانظر كيف أُعطي الإنسان علم[٣] جميع ما يحتاج إليه لدينه ودنياه، وحُجِبَ عنه ما سوى ذلك، ليعرف قدره ونقصه، وكلا الأمرين فيهما صلاحه[٤].

[ما ستر عن الإنسان علمه من مدّة حياته]

تأمّل[٥] الآن يا مفضّل ما ستر عن[٦] الإنسان علمه من مدّة حياته، فإنّه لو عرف مقدار عمره ـ وكان قصير العمر ـ لم يتهنّأ بالعيش، مع ترقّب الموت وتوقّعه، لوقتٍ قد عرفه، بل كان يكون بمنزلة من قد فني ماله، أو قارب الفناء، فقد استشعر الفقر، والوجل من فناء ماله وخوف الفقر، على أنّ الذي يدخل على الإنسان من فناء العمر أعظم ممّا يدخل عليه[٧] من فناء المال؛ لأنّ من يقلّ ماله يأمل أن يستخلف منه، فيسكن إلى ذلك، ومن أيقن بفناء العمر استحكم عليه اليأس.

وإن كان طويل العمر، ثمّ عرف ذلك وثق بالبقاء، وانهمك في اللذّات والمعاصي، وعمل على أنّه يبلغ من ذلك شهوته، ثمّ يتوب في آخر عمره، وهذا مذهب لا

---

(١) في «أ» «ب» «ن»: يبين.

(٢) في «ن»: عليه.

(٣) في «ج»: «على» بدل «علم». وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

(٤) في «ج»: صلاح. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

(٥) في «ج»: وتأمّل. وأدخلت الواو في متنها عن نسخة.

(٦) في «د»: على. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

(٧) في نسخة بدل من «د»: «على الإنسان» بدل «عليه».

يرضاه الله من عباده ولا يقبله.

ألا ترى لو أنّ عبداً لك عمل على أَنْ[١] يسخطك سنةً ويرضيك يوماً أو شهراً، لم تقبل ذلك منه، ولم يحلّ عندك محلّ العبد الصالح دون أن يضمر طاعتك ونصحك في كلّ الأُمور و[٢]في كلّ الأوقات على تصرّف الحالات[٣]؟

فإن قلت: أوليس قد يقيم الإنسان على المعصية حيناً ثمّ يتوب فتقبل توبته؟

قلنا: إنّ ذلك شيء يكون من الإنسان ـ (من غير أن يقدّره له)[٤] ـ لغلبة الشهوات له وتركه مخالفتها، [و][٥] من غير أن يقدّره[٦] في نفسه، ويبني عليه أمره، فيصفح الله عنه، ويتفضّل عليه بالمغفرة. فأمّا من قدّر أمره على أن يعصي[٧] ما بدا له، ثمّ يتوب آخر ذلك، فإنّما يحاول خديعة من لا يُخادَعُ، بأن يتسلّف[٨] التلذّذ[٩] في العاجل، ويعد ويمنّي نفسه التوبة في الآجل، ولعلَّهُ[١٠] لا يفي بما يعد ويتمنّى[١١] من ذلك، فإنّ النزوع من الترفّه والتلذّذ ومعاناة التوبة ـ ولاسيّما عند الكبر وضعف البدن ـ أمرٌ صعب، ولا يُؤمَنُ على الإنسان مع مدافعته بالتوبة أن

---

(١) في جميع النسخ: أنّه. والمثبت عن نسخة بدل من «ج».

(٢) الواو ليست في «ب» «ج» «د».

(٣) في نسخة بدل من «ب»: الآلات.

(٤) ليست في «ب» «ج» «د» «ن». والضمير في «يقدّره» يعود للباري سبحانه.

(٥) من عندنا.

(٦) في «ب» «ن»: يقدّرها. والضمير في «يقدره» يعود للانسان.

(٧) في «ج»: يقضي.

(٨) في نسختي بدل من «ب» «ج»: يستسلف.

(٩) في «أ»: المتلذّذ.

(١٠) في جميع النسخ: «ولأنّه» بدل «ولعلّه». والمثبت عن نسخة بدل من «د».

(١١) قوله «ويتمنّى» ليس في «أ» «ب» «ج» «ن».

يرهقه الموت، فيخرج من الدنيا غير تائب، كما قد يكون على الواحد دين إلى أجل وهو[١] يقدر على قضائه، فلا يزال يدافع بذلك حتّى يحل الأجل، وقد نفد المال، فيبقى الدين قائماً عليه.

فكان خير الأشياء للإنسان أن يُستَرَ عنه مبلغُ عمره، فيكون طولَ عمره يترقّب الموت، فيترك المعاصي، ويؤثر العمل الصالح.

فإن قلت: وها هو الآن قد سُتِرَ عنه مقدار حياته، وصار يترقّب الموت في كلّ ساعة، [وهو][٢] يقارف الفواحش وينتهك المحارم.

قلنا: إنّ وجه التدبير في هذا الباب هو الذي جرى عليه الأمر فيه، فإن كان الإنسان مع ذلك لا يرعوي ولا ينصرف عن المساوي، فإنّما ذلك من مرحه ومن قساوة قلبه، لا من خطأ في التدبير، كما أنّ الطبيب قد يصف للمريض ما ينتفع به، فإن كان المريض مخالفاً لقول الطبيب ـ لا يعمل بما يأمره ولا ينتهي عمّا ينهاه عنه ـ لم ينتفع بصفته، ولم تكن الإساءة في ذلك للطبيب بل للمريض، حيث لم يقبل منه، ولئن كان الإنسان مع ترقّبه للموت كلّ ساعة لا[٣] يمتنع عن المعاصي، فإنّه لو وثق بطول البقاء كان أحرى بأن[٤] يخرج إلى الكبائر الفظيعة.

فترقُّبُ الموتِ على كلّ حال خيرٌ له من الثقة بالبقاء، ثمّ إنّ ترقّب الموت وإن كان صنفٌ من الناس يلهون عنه ولا يتّعظون به، فقد يتّعظ به صنف آخر منهم، وينزعون عن المعاصي، ويؤثرون العمل الصالح، ويجودون بالأموال والعقائل

(١) في جميع النسخ: «وقد» بدل «وهو». والمثبت عن نسخة بدل من «د».
(٢) من عندنا.
(٣) في نسخة بدل من «أ»: «لم» بدل «لا».
(٤) في «أ» «ج» «د»: أن.

النفيسة في الصدقة على الفقراء والمساكين، فلم يكن من العدل أن يُحرَمَ هؤلاء الانتفاعَ بهذه الخصلة لتضييع[١] أولئك حظّهم منها.

[الأحلام وامتزاج صادقها بكاذبها وسرّ ذلك]

فكّر يا مفضّل في الأحلام كيف دُبّر الأمر فيها فمزج صادقها بكاذبها، فإنّها لو كانت كلّها تصدق لكان الناس كلّهم أنبياء، ولو كانت كلّها تكذب، لم تكن فيها منفعة، بل كانت فضلاً لا معنى له، فصارت تصدق أحياناً فينتفع بها الناس في مصلحة يُهتَدى لها[٢]، أو مضرّة يُتَحَرَّزُ[٣] منها، وتكذب كثيراً لئلّا يُعتَمدُ عليها كُلَّ الاعتماد.

[الأشياء المخلوقة لمآرب الإنسان وإيضاح ذلك]

فكّر يا مفضّل[٤] في هذه الأشياء التي تراها موجودة مُعَدّة في العالم من مآربهم؛ فالتراب للبناء، والحديد للصناعات، والخشب للسفن وغيرها، والحجارة للأرحاء وغيرها، والنحاس للأواني، والذهب والفضّة للمعاملة، والجواهر[٥] للذخيرة، والحبوب للغذاء، والثمار للتفكّه، واللحم للمأكل، والطيب للتلذّذ، والأدوية

---

(١) في «ج»: ليضيّع. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

(٢) في «أ» «د» ونسخة بدل من «ج»: بها.

(٣) في «ب» «ن»: يُتَحذّر منها. وفي نسخة بدل من «ب» كالمثبت. وفي نسخة بدل من «ج»: يحذر عنها.

(٤) قوله «يا مفضل» ليس في «أ» «ب» «ج» «د».

(٥) في «ب»: والجوهر. وأدخلت كلمة «الجواهر» في «ج» عن نسخة. وفي «ن»: «والذخيرة» بدل «والجواهر للذخيرة».

للتصحيح[١]، والدوابّ للحمولة، والحطب للتوقّد، والرماد للكِلْس، والرمل[٢] للأرض، وكم عسى أن يحصي المحصي من هذا وشبهه.

أرأيت لو أنّ داخلاً دخل داراً فنظر إلى خزائن مملوءة من كلّ ما[٣] يحتاج إليه الناس، ورأى كلّ ما[٤] فيها مجموعاً مُعدّاً لأسباب معروفة أكان[٥] يتوهّم أنّ مثل هذا يكون بالإهمال، ومن غير عَمْد؟ فكيف يستجيز قائلٌ أن يقول هذا في[٦] العالَم، وما أُعدّ فيه من هذه الأشياء؟

اعتبر يا مفضّل بأشياء خلقت لمآرب الإنسان وما فيها من التدبير، فإنّه خلق له الحبّ لطعامه وكلّف طحنه وعجنه وخبزه، وخلق له الوبر لكسوته فكلّف ندفه وغزله ونسجه، وخلق له الشجر فكلّف غرسها وسقيها والقيام عليها، وخلقت له العقاقير لأدويته فكلّف لقطها وخلطها وصنعها[٧]، وكذلك تجد سائر الأشياء على هذا المثال.

فانظر كيف كُفِيَ الخلقةَ التي لم يكن عنده فيها حيلة، وتُرِكَ عليه في كلّ شيء من الأشياء موضع عمل وحركة، لما له في ذلك من الصلاح، لأنّه لو كُفِيَ هذا كلّه ـ حتّى لا يكون له في الأشياء موضع شغل وعمل ـ لما حملته الأرض أَشَراً وبطراً، ولبلغ به

---

(١) في «ن»: للتصحح.

(٢) في نسخة من «ج»: والزِّبل.

(٣) في نسخة بدل من «د»: «ممّا» بدل «من كلّ ما».

(٤) في «أ»: «كلّها» بدل «كل ما».

(٥) في «ب»: «لكان» بدل «أكان».

(٦) في «ن»: هذا من صنع الطبيعة في العالم.

(٧) في «أ» «د»: وصنعتها.

ذلك[١] إلى أن يتعاطى أُموراً فيها تلف نفسه، ولو كُفِيَ الناس كلّ ما يحتاجون إليه لما تهنّأوا بالعيش ولا وجدوا له لذّة.

ألا ترى لو أنّ امرءًا نزل بقوم، فأقام حيناً بلغ [فيه][٢] جميع ما يحتاج إليه من مطعم ومشرب وخدمة[٣]، لتبرّم بالفراغ ونازعته نفسه إلى التشاغل بشيء، فكيف لو كان طولَ عمره مَكْفِيّاً لا يحتاج إلى شيء؟ فكان من صواب التدبير في هذه الأشياء التي خلقت للإنسان أن جُعِلَ له فيها موضع شغل، لكيلا تُبْرِمه[٤] البطالة، وليكفّه الشغل[٥] عن تعاطي ما لا يناله، ولا خير فيه إن ناله.

[الخبز والماء رأس معاش الإنسان وحياته]

واعلم يا مفضّل أنّ رأسَ معاش الإنسان وحياته: الخبزُ والماءُ.. فانظر كيف دُبّر الأمر فيهما، فإنّ حاجة الإنسان إلى الماء أشدّ من حاجته إلى الخبز، وذلك أنّ صبره على الجوع أكثر من صبره على العطش، والذي يحتاج إليه من الماء أكثر ممّا يحتاج إليه من الخبز، لأنّه يحتاج[٦] إليه لشربه ووضوئه وغُسْله وغَسْل ثيابه وسقي أنعامه وزرعه، فجُعِل الماء مبذولاً لا يُشترى لتسقط عن الإنسان المؤنة في طلبه وتكلّفه، وجُعِل الخبز متعذّراً لا يُنال إلّا بالحيلة والحركة، ليكون للإنسان في ذلك شُغلٌ يكفّه

(١) في «ج» ونسخة بدل من «ب»: «بذلك» بدل «به ذلك».

(٢) من عندنا.

(٣) في نسخة بدل من «ج»: وخدم.

(٤) في «أ» «ج» «د»: تتبرّمه.

(٥) ليست في «ب» «ج» «ن». وفيها: ولتكفّه.

(٦) في «د»: محتاج.

عمّا يخرجه إليه الفراغ من الأشر والعبث.

ألا ترى أنّ الصبيّ يُدفع إلى المؤدّب، وهو طفل لم يكمل ذهنه[١] للتعليم، كلّ ذلك ليشتغل عن اللعب والعبث اللّذَين ربّما جنيا عليه وعلى أهله المكروهَ العظيمَ، وهكذا الإنسان لو خلا من الشغل، لخرج من الأشر والعبث والبطر، إلى ما يعظم ضرره عليه وعلى من قرب منه، واعتبر ذلك بمن نشأ في الجِدَةِ ورفاهيّة العيش والترفّه والكفاية، وما يخرجه ذلك إليه.

[اختلاف صور الناس وتشابه الوحوش والطير وغيرها والحكمة في ذلك]

اعتبر[٢] لم لا[٣] يتشابه الناس واحد بالآخر، كما تتشابه الوحوش والطير[٤] وغير ذلك، فإنّك ترى السرب من الظباء والقطا تتشابه حتّى لا يُفَرق[٥] بين واحد منها وبين الآخر[٦]، وترى الناس مختلفةً صورُهُم وخِلَقُهُم، حتّى لا يكاد اثنان منهم يجتمعان في صفة واحدة، والعلّة في ذلك أنّ الناس محتاجون[٧] إلى أن يتعارفوا بأعيانهم وحلاهم، لما يجري بينهم من المعاملات، وليس يجري بين البهائم مثل ذلك، فيحتاج إلى معرفة كلّ واحد منها بعينه وحليته.

ألا ترى أنّ التشابه في الطير والوحش لا يضرّها شيئاً، وليس كذلك الإنسان،

---

(١) في «ب» «ن» ونسخة بدل من «ج»: تكمل ذاته.
(٢) في «ج»: واعتبر.
(٣) في «ج»: لِمَ لَمْ. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.
(٤) في نسخة بدل من «ج»: والظبي.
(٥) في «أ» «ج»: تفرّق.
(٦) في «ب» «د» «ن»: الأخرى. وفي «ج»: بين واحدة منها وبين الأخرى.
(٧) في «أ»: يحتاجون.

فإنّه ربّما تشابه التوأم[١] تشابهاً شديداً فتعظم المؤنة على الناس في معاملتهما، حتّى يعطى[٢] أحدهما بالآخر، ويؤخذ أحدهما بذنب الآخر، وقد يحدث مثل هذا في تشابه الأسماء[٣]، فضلاً عن تشابه الصور[٤]، فَمَن لَطُفَ بعباده[٥] بهذه الدقـائق ـ التي لا تكاد تخطر بالبال ـ حتّى وقف بها على الصواب، إلّا من وسعت رحمته كلّ شيء.

لو رأيت تمثال الإنسان مصوّراً على[٦] حائط، فقال[٧] لك قائل: إنّ هذا ظهر هاهنا[٨] من تلقاء نفسه لم يصنعه صانع! أكنت تقبل ذلك؟ بل كنت تستهزئ[٩] به، فكيف تنكر[١٠] هذا في تمثال مصوّر جماد، ولا تنكر في الإنسان الحيّ الناطق؟!

[نموّ أبدان الحيوان وتوقّفها وسبب ذلك]

لم صارت أبدان الحيوان ـ وهي تغتذي أبداً ـ لا تَنمي، بل تنتهي إلى غاية من النموّ، ثمّ تقف ولا تتجاوزها، لولا التدبير في ذلك، فإنّ من[١١] تدبير الحكيم فيها أن

---

(١) في «أ» «ب» «ج»: التوأمان. وفي «د»: توأمان.

(٢) في نسخة بدل من «ج»: حتّى لا يعرف.

(٣) في جميع النسخ: الأشياء. والمثبت عن نسخة بدل من «ج».

(٤) في «ب»: الصورة.

(٥) في «أ» «ب»: لعباده.

(٦) في «أ» «ج»: في.

(٧) في «أ» «ن» ونسخة بدل من «ج»: وقال.

(٨) في «د» «ن»: «هنا» بدل «هاهنا».

(٩) في نسخة بدل من «ج»: ستهزأ.

(١٠) في «ب»: يُنكر. وكذا المورد الذي بعده.

(١١) ليست في «ن».

تكون أبدان كلّ صنف منها على مقدار معلوم غير متفاوت؛ في الكبير والصغير[١]، وصارت تَنمي حتّى تصل إلى غاياتها[٢]، ثمّ تقف ثمّ لا تزيد، والغذاء مع ذلك دائم لا ينقطع ولو كانت تَنْمي نُمُوّاً[٣] دائماً لعظمت أبدانها، واشتبهت مقاديرها حتّى لا يكون لشيء منها حدّ يعرف.

[ما يعتري أجسام الإنس من ثقل الحركة والمشي لو لم يصبها ألم]

لِمَ صارت أجسام الإنس خاصّة[٤] تثقل عن الحركة والمشي، وتجفو[٥] عن الصناعات اللطيفة، إلّا لتعظيم المؤنة فيما يحتاج إليه الناس للملبس والمضجع والتكفين وغير ذلك، و[٦]لو كان الإنسان لا يصيبه ألم ولا وجع، بِمَ كان يرتدع عن الفواحش، ويتواضع لله، ويتعطّف على الناس؟

أما ترى الإنسان إذا عرض له وجع خضع واستكان ورغب إلى ربّه في العافية، وبسط يديه[٧] بالصدقة، ولو كان لا يألم من الضرب بِمَ كان السلطان يعاقب الدُّعّار[٨] ويذلّ العصاة المردة؟ وبِمَ كان الصبيان يتعلّمون العلوم والصناعات؟ وبِمَ

---

(١) في «أ» ونسختي بدل من «ب» «ج»: في الكبر والصغر.

(٢) في «ب» «ن» ونسخة بدل من «ج»: غايتها.

(٣) كذا في النسخ، والمصدر من اليائي المفروض أن يكون «نَمْياً» أو «نَمِيّاً» أو «نَماءً».

(٤) في «د»: «خاصّة كبيرة». وفيها سقط إلى أوائل المجلس الثاني، إلى قوله تعالى ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ﴾.

(٥) في «ج»: وتحفو. وشرحها في الهامش.

(٦) الواو ليست في «ب» «ن».

(٧) في «أ» «ج» «د» «ن»: يده. والمثبت عن «ب» ونسخة بدل من «ج».

(٨) في «ب»: الدغّار. ووضعت دائرة فوق نقطة الغين. وفي «ج»: الذُّعّار، وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

كان العبيد يذلّون لأربابهم، ويذعنون لطاعتهم[١]؟ أفليس [في][٢] هذا توبيخ لابن[٣] أبي العوجاء وذويه الذين جحدوا التدبير؟ والمانويّة[٤] الذين أنكروا الوجع والألم[٥]؟

[انقراض الحيوان لو لم يلد ذكوراً وإناثاً]

لو[٦] لم يولد من الحيوان إلّا ذكور فقط أو إناث[٧] فقط، ألم يكن النسل منقطعاً، وباد مع ذلك[٨] أجناس الحيوان، فصار بعض الأولاد يأتي ذكوراً وبعضها يأتي إناثاً ليدوم التناسل ولا ينقطع.

[ظهور شعر العانة عند البلوغ ونبات اللحية للرجل دون المرأة وما في ذلك من التدبير]

لِمَ صار الرجل والمرأة إذا أدركا تنبت[٩] لهما العانة، ثمّ تنبت اللحية للرجل،

---

(١) في «أ»: بطاعتهم.
(٢) من عندنا.
(٣) في «د» «ن»: ابن.
(٤) في «أ» «ج»: والمنّانيّة. وفي نسخة بدل من «ب»: المانيّة.
(٥) في نسخة بدل من «أ»: والآلام.
(٦) في «د» «ن»: ولو.
(٧) في «ب»: ذكر فقط أو إناث، وفي نسخة بدل منها كالمثبت. وفي «ج»: ذكر فقط وإناث، وفي نسخة بدل منها «ذكور فقط وإناث». وفي «د» «ن»: ذكر فقط وأنثى.
(٨) ليست في «ن».
(٩) في «أ» «ب»: نبتت. وكذا في المورد اللاحق.

وتتخلّف[١] عن المرأة، لولا التدبير في ذلك؟! فإنّه لمّا جعل الله تبارك وتعالى الرجلَ قيّماً ورقيباً على المرأة، وجعل المرأة عِرْساً وخَوَلاً للرجل، أعطى الرجلَ اللحيةَ، لِما له من العزّ والجلالة والهيبة، ومنعها المرأة، لتبقى لها نضارة الوجه والبهجة التي تشاكل المفاكهة والمضاجعة، أفلا ترى الخلقة كيف تأتي بالصواب في الأشياء، وتتخلّل[٢] مواضع الخطأ، فتُعطي وتمنع[٣] على قدر الأرَب[٤] والمصلحة بتدبير الحكيم عزّ وجلّ.

قال المفضّل: ثمّ حان وقت الزوال، فقام مولاي إلى الصلاة وقال: بكّر إليّ غداً إن شاء الله تعالى.. فانصرفت من عنده مسروراً بما عرفته، مبتهجاً بما أُوتيته، حامداً لله تعالى عزّ وجلّ على ما أنعم به عليّ، شاكراً لأنعمه على ما منحني بما[٥] عرّفنيه مولاي، وتفضّل به عليّ، فبتُّ في[٦] ليلتي مسروراً بما منحنيه، محبوراً بما علّمنيه.

(تمّ المجلس الأوّل، ويتلوه المجلس الثاني من كتاب الأدلّة على الخلق والتدبير والردّ على القائلين بالإهمال ومنكري العَمْد، برواية المفضّل عن الصادق صلوات الله عليه وعلى آبائه وأبنائه عليهم السلام)[٧].

---

(١) في «أ» «ب» «ج»: وتخلفت.
(٢) في «أ» «ج»: ويتخلّل. والذي أُراه أن ما في النسخ في هذا الموضع محرّف عن «وتتجنّب».
(٣) في «أ» «ب» «ج»: فتُعطى وتُمنع.
(٤) في «ن» «ج»: الأدب. وفي نسخة بدل من «ج» كالمثبت.
(٥) في «أ» «ج»: مما. وفي نسخة بدل من «ج» كالمثبت.
(٦) ليست في «ج».
(٧) ليست في «ن».

المجلس الثاني

قال المفضّل: فلمّا كان اليوم الثاني بكّرت إلى مولاي فاستؤذن لي فدخلت، فأمرني بالجلوس فجلست، فقال: الحمد لله مدبّر[1] الأدوار، ومعيد الأكوار، طبقاً عن طبق، وعالماً بعد عالم ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَىٰ﴾[2] عدلاً منه تقدّست أسماؤه وجلّت آلاؤه، لا يظلم الناس شيئاً، ولكنّ الناس أنفسهم يظلمون، يشهد بذلك قوله جلّ قدسه: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ﴾[3] في نظائر لها في كتابه الذي فيه تبيان كلّ شيء، ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، ولذلك[4]

---

(١) في نسخة بدل من «ب»: مدير.

(٢) النجم: ٣١.

(٣) الزلزلة: ٧ ـ ٨.

(٤) في نسخة بدل من «ج»: وكذلك.

قال سيّدنا[١] محمّد صلوات الله عليه وآله[٢]: «إنّما هي أعمالكم تردّ إليكم».

ثمّ أطرق الإمام[٣] هنيئة، ثمّ قال[٤]: يا مفضّل، الخلق حيارى عمهون، سكارى في طغيانهم يتردّدون، وبشياطينهم وطواغيتهم يقتدون، بصراء عمي لا يبصرون، نُطَقاء بُكْمٌ لا يعقلون، سمعاء صُمّ لا يسمعون، رضوا بالدون، وحسبوا أنّهم مهتدون، حادوا عن مدرجة الأكياس، ورتعوا في مرعى الأرجاس الأنجاس، كأنّهم من مفاجأة[٥] الموت آمنون، وعن المجازاة مزحزحون، يا ويلهم ما أشقاهم، وأطول عناءهم، وأشدّ بلاءهم ﴿ يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلىً عَنْ مَوْلىً شَيْئاً وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ * إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللهُ ﴾[٦].

قال المفضّل: فبكيت لمّا سمعت منه، فقال: لا تبك، تخلّصت منه[٧] إذ قبلت، ونجوت إذ عرفت.

[أبنية أبدان الحيوان وتهيئتها وإيضاح ذلك]

ثمّ قال عليه السلام: أبتدئ لك بذكر الحيوان ليتّضح لك من أمره ما وضح لك من غيره.

فكّر يا مفضّل[٨] في أبنية أبدان الحيوان، وتهيئتها على ما هي عليه؛ فلا هي

---

(١) في «أ» «ب» «ج» «د»: السيّد.

(٢) في «ن»: عليه وعلى آله.

(٣) ليست في «أ» «ب» «ج» «د».

(٤) في «ن»: «وقال» بدل «ثمّ قال».

(٥) في «ن»: مفاجئات.

(٦) الدخان: ٤١ ـ ٤٢.

(٧) ليست في «أ» «ج» «د» «ن».

(٨) قوله «يا مفضل» ليس في «أ» «ب» «د» «ن».

صلاب كالحجارة؛ ولو كانت كذلك كانت[(١)] لا تنثني ولا تتصرّف في الأعمال، ولا هي على غاية اللين والرخاوة؛ فكانت لا تتحامل ولا تستقلّ بأنفسها، فجعلت من لحمٍ رخو ينثني، تتداخله[(٢)] عظام صلاب، يمسكه عصب وعروقٌ تشدّه وتضمّ بعضه إلى بعض، وعُلِيَت[(٣)] فوق ذلك بجلد يشتمل[(٤)] على البدن كلّه.

ومن[(٥)] أشباه ذلك هذه التماثيل التي تُعمل من العيدان، وتُلفّ بالخرق وتُشدّ بالخيوط، وتطلى فوق ذلك بالصمغ، فتكون العيدان بمنزلة العظام، والخرق بمنزلة اللحم، والخيوط بمنزلة العصب والعروق، والطلاء بمنزلة الجلد.

فإن جاز أن يكون الحيوان المتحرّك حَدَثَ بالإهمال من غير صانع، جاز أن يكون ذلك في هذه التماثيل الميتة، فإن كان هذا غير جائز في التماثيل فبالحريّ أن لا يجوز في الحيوان.

[أجساد الأنعام وما أُعطيت وما مُنِعت وسبب ذلك]

وفكّر يا مفضّل[(٦)] ـ بعد هذا[(٧)] ـ في أجساد الأنعام، فإنّها حين خلقت على

---

(١) ليست في «أ» «ب» «جـ» «ن».
(٢) في «د»: تداخله.
(٣) في «ن»: وغلفت.
(٤) في «أ»: ليشتمل.
(٥) «من» ليست في «ن».
(٦) قوله «يا مفضل» ليس في «أ» «ب» «جـ» «د».
(٧) في «د»: «بعدها» بدل «بعد هذا»، وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

أبدان الإنس من اللحم والعظم والعصب، أُعطيت أيضاً السمع والبصر ليبلغ الإنسان حاجته، فإنّها لو كانت عمياءَ صمّاءَ[١] لما انتفع بها الإنسان ولا تصرّفت في شيء من مآربه، ثمّ مُنِعت الذهن والعقل لتذلّ للإنسان، فلا تمتنع[٢] عليه إذا كدّها[٣] الكدَّ الشديد وحمّلها الحمل الثقيل.

فإن قال قائل: إنّه قد يكون للإنسان عبيد من الإنس يذلّون ويذعنون بالكدّ الشديد، وهم مع ذلك غير عديمي العقل والذهن.

فيقال في جواب ذلك: إنّ هذا الصنف من[٤] الناس قليل، فأمّا أكثر الناس فلا يذعنون بما تذعن به الدوابّ من الحمل والطحن وما أشبه ذلك، ولا[٥] يُغَرُّونَ[٦] بما يُحتاجُ إليه منه، ثمّ لو كان الناس يزاولون مثل هذه الأعمال بأبدانهم لشُغِلوا بذلك عن سائر الأعمال، لأنّه كان يُحتاج مكان الجمل الواحد والبغل الواحد إلى عدّة أَناسيّ، فكان هذا العمل يستفرغ الناس حتّى لا يكون فيهم عنه فضل لشيء من الصناعات، مع ما يلحقهم[٧] من التعب الفادح[٨] في أبدانهم، والضيق والكدّ في معاشهم.

---

(١) في «ب» «ن»: عمياً صمّاً. والمثبت عن «أ» «ج» «د» ونسخة بدل من «ب».
(٢) في «ب»: تمنّع.
(٣) في «أ» «د»: إذا أكدّها.
(٤) في «ج» «د» ونسخة بدل من «أ»: «في» بدل «من». وفي نسختي بدل من «ج» «د» كالمثبت.
(٥) في «د»: «وما»، وفي نسخة بدل منها كالمثبت.
(٦) في «ج» ونسخة بدل من «ب»: يقرّون، وفي نسخة بدل أخرى: يَغْزون.
(٧) في «ج»: مع ما كان يلحقهم. وأدخلت «كان» في متنها عن نسخة. وفي «ن»: يلحقه.
(٨) في «أ»: القادح.

[خلق الأصناف الثلاثة من الحيوان]

فكّر يا مفضّل في هذه الأصناف الثلاثة من الحيوان وفي خلقها، على ما هي عليه ممّا[١] فيه صلاح كلّ واحد منها. فالإنس لمّا قُدِّرَ[٢] أن يكونوا ذوي ذهن وفطنة وعلاج لمثل هذه الصناعات ـ من البناء والنجارة[٣] والصياغة والخياطة وغير ذلك ـ خُلِقت لهم أكفّ كبار ذوات أصابع غلاظ ليتمكّنوا من القبض على الأشياء، وأوكدها هذه الصناعات.

[آكلات اللحم من الحيوان والتدبير في خلقها]

وآكلات اللحم لمّا قُدّر أن تكون معائشها[٤] من الصيد، خلقت لهم أكفّ لطاف مدمجة[٥] ذوات براثن ومخالب[٦] تصلح لأخذ الصيد ولا تصلح للصناعات.

وآكلاتُ النبات لمّا قدّر أن يكونوا لا ذوات[٧] صنعة ولا ذوات[٨] صيد خُلقت لبعضها أظلاف تقيها خشونة الأرض إذا حاولت طلب[٩] الرّعي[١٠]، ولبعضها

---

(١) في «ب»: بما.

(٢) في «ب» «ن»: قُدّروا.

(٣) في «أ» «ج» «ن»: والتجارة.

(٤) في «ج»: يكون معاشها. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

(٥) في «أ» «د»: مِذْبَحَة.

(٦) في «أ» «ب» «ج» «د»: ومخاليب.

(٧) في «ب» «ج» «د»: ذات.

(٨) في «ب» «ج» «د» «ن»: ذات.

(٩) ليست في «أ».

(١٠) في «ن»: المرعى.

حوافر ململمة ذوات قعر كأخمص القدم تنطبق[١] على الأرض ليُتَهيّأَ[٢] للركوب والحمولة.

تأمّل التدبير في خلق آكلات اللحم من الحيوان، حين[٣] خُلقت[٤] ذوات أسنان حداد، وبراثن شداد، وأشداق وأفواه واسعة، فإنّه لمّا قُدِّر أن يكون طُعْمُها اللحمَ خُلِقَت خلقة تشاكل ذلك وأُعينت[٥] بسلاح، وأدوات تصلح للصيد، وكذلك تجد سباع الطير ذوات مناقير ومخالب[٦] مُهَيَّأَة[٧] لفعلها.

ولو كانت الوحوش ذوات مخالب[٨] كانت قد أُعطيت ما لا تحتاج إليه، لأنّها لا تصيد ولا تأكل اللحم، ولو كانت السباع ذوات أظلاف كانت قد مُنعت ما تحتاج إليه، أعني السلاح الذي به تصيد وتتعيّش، أفلا ترى كيف أُعطي كلّ واحد من الصنفين ما يشاكل صنفه وطبقته، بل ما فيه بقاؤه وصلاحه.

[ذوات الأربع واستقلال أولادها]

انظر[٩] الآن إلى ذوات الأربع كيف تراها تتبع أُماتها[١٠] مستقلّة بأنفسها، لا

---

(١) في «د»: تنطلق. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

(٢) في «ن»: «عند تهيّئها» بدل «ليتهيّأ». ولعلّ ما في المتن مصحف عن «لتُهيّأ».

(٣) في نسخة بدل من «ب»: حيث.

(٤) في «أ» «ج» «د» ونسخة بدل من «ب»: جُعلت. وفي نسخة بدل من «ج» كالمثبت.

(٥) في نسخة بدل من «د»: وأُعطيت.

(٦) في «أ» «ب» «ج»: مخاليب.

(٧) في «د»: كانت مهيّأة.

(٨) في «ج»: مخاليب.

(٩) في «ج»: وانظر.

(١٠) في «أ» «ج» «د»: أمّهاتها.

تحتاج إلى الحمل والتربية كما يحتاج أولاد الإنس، فمن أجل أنّه ليس عند أُمّاتها[(١)] ما عند أُمّهات البشر من الرفق والعلم بالتربية، والقوّة عليها بالأكفّ والأصابع المهيّأه، لذلك أُعطيت النهوض والاستقلال بأنفسها، وكذلك ترى كثيراً من الطير ـ كمثل الدجاج والدرّاج والقبج ـ تدرج وتلقط حين ينقاب عنها البيض[(٢)]. فأمّا ما كان منها ضعيفاً لا نهوض فيه، كمثل فراخ الحمام واليمام والحُمّر، فقد جعل في الأُمّهات فضل عطف عليها، فصارت تمجّ الطعام في أفواهها بعد ما توعيه حواصلها، فلا تزال تغذوها حتّى تستقلّ بأنفسها، ولذلك لم ترزق الحمام فراخاً كثيرة مثل ما تُرزق الدجاج، لتقوى الأُمّ على تربية فراخها فلا تفسد ولا تموت، فكُلٌّ أُعطي بقسط من تدبير الحكيم اللطيف الخبير.

[قوائم الحيوان وكيفيّة حركتها]

أُنظر إلى قوائم الحيوان[(٣)] كيف تأتي أزواجاً لتتهيّأ للمشي، ولو كانت أفراداً لم تصلح لذلك، لأنّ الماشي ينقل بعض[(٤)] قوائمه و[(٥)]يعتمد على بعض، فذو القائمتين ينقل واحدة ويعتمد على واحدة، وذو الأربع ينقل اثنتين[(٦)] ويعتمد على اثنتين وذلك من خلاف، لأنّ ذا الأربع لو كان ينقل قائمتين من أحد جانبيه، ويعتمد على

---

(١) في «أ» «ب» «ج» «د»: أمّهاتها. غير أنّ شرح المجلسي يقتضي أنّها أيضاً «أمّاتها»؛ حيث نقل أنّ هذا الجمع مخصوص بالبهائم.

(٢) في «أ» «ن»: تنقاب عنها البيضة.

(٣) في «ج»: الأنعام.

(٤) ليست في «أ» «ب» «ج» «ن».

(٥) الواو ليست في «ن».

(٦) في «ب» «د»: اثنين. وكذا المورد اللاحق.

قائمتين من الجانب الآخر، لم يثبت[١] على الأرض، كما لا[٢] يثبت السرير وما أشبهه، فصار ينقل اليمنى من مقاديمه مع اليسرى من مآخيره، وينقل الأُخريين أيضاً من خلاف، فيثبت على الأرض، ولا يسقط إذا مشى.

[انقياد الحيوانات المسخّرة للإنسان وسببه]

أما ترى الحمار كيف يذلّ للطحن والحمولة وهو يرى الفرس مودعاً منعّماً، والبعير لا يطيقه عدّة رجال لو استعصى كيف كان ينقاد للصبي؟ والثور الشديد كيف كان يذعن لصاحبه، حتّى يضع النير على عنقه ويحرث به؟ والفرس الكريم يركب السيوف والأسنّة بالمؤاتاة[٣] لفارسه، والقطيع من الغنم يرعاه رجلٌ[٤] واحد، ولو تفرّقت الغنم فأخذ كلّ واحد منها في ناحية لم يلحقها.

وكذلك جميع الأصناف المسخّرة للإنسان، فَبِم[٥] كانت كذلك، إلّا بأنّها عدمت العقل والرويّة، فإنّها لو كانت تعقل وتتروّى[٦] في الأمور كانت خليقة أن تلتوي على الإنسان في كثير من مآربه، حتّى يمتنع الجمل على قائده، والثور على صاحبه، وتتفرّق الغنم عن راعيها، وأشباه هذا من الأُمور.

---

(١) في «أ» «د»: لما ثبت. وفي «ب» «ج»: لما يثبت، وفي نسخة بدل من «ب»: لما ثبتت. وفي نسخة بدل من «ج» كالمثبت.

(٢) «لا» ليست في «د» «ن».

(٣) في «ج»: بالموافاة. وفي نسخة بدل منها ومتن «د»: بالمواساة. وفي نسخة بدل أخرى منها كالمثبت. وفي نسخة بدل أخرى بالمواماة.

(٤) ليست في «ن».

(٥) ليست في «ن».

(٦) في «أ» «ب» «ج» «د»: وتَرَوّى.

[افتقاد السباع للعقل والرويّة وفائدة ذلك]

وكذلك هذه السباع لو كانت ذوات[١] عقل ورويّة فتوازرت على الناس، كانت خليقة أن تجتاحهم[٢]، فمن كان يقوم للأسد والذئاب والنمورة[٣] والدببة لو تعاونت وتظاهرت على الناس؟ أفلا ترى كيف حجر ذلك عليها وصارت مكان ما كان يُخاف من إقدامها ونكايتها، تهاب مساكن الناس[٤] وتحجم عنها، ثمّ لا تظهر ولا تنتشر[٥] لطلب قوتها إلّا بالليل، فهي مع صولتها كالخائف للإنس[٦] بل[٧] مقموعة[٨] ممنوعة منهم، ولولا[٩] ذلك لساورتهم في مساكنهم، وضيّقت عليهم.

[عطف الكلب على الإنسان ومحاماته عنه]

ثمّ جُعِلَ في الكلب من بين هذه السباع عَطْفٌ على مالكه ومحاماةٌ عنه، وحفاظٌ[١٠] له، فهو[١١] ينتقل على الحيطان والسطوح في ظلمة الليل لحراسة منزل

---

(١) في «ب» «د» «ن»: ذات.

(٢) في «أ» «د»: تحاجّهم.

(٣) في «ج» «ن»: والنمور.

(٤) أدخلت في «ب» «ج» عن نسخة.

(٥) في «أ» «ب»: ولا تنتشر. وفي نسخة بدل من «ب» كالمثبت.

(٦) في «أ» ونسخة بدل من «د»: للإنسان. وفي «ن»: من الإنس. والمثبت عن «ب» «ج» «د» ونسخة بدل من «أ».

(٧) في «ب» «ج» «د»: بلا. وفي نسختي بدل من «ب» «ج» كالمثبت. وكتب فوق المتن في «ب»: غير، ظ.

(٨) في نسخة بدل من «ب»: مقمعة.

(٩) في «ن»: «ولو كان» بدل «ولو لا».

(١٠) في «ن»: وحافظ.

(١١) ليست في «ن».

صاحبه وذبّ الدُّعّار[١] عنه، ويبلغ من محبّته لصاحبه أن يبذل نفسه للموت دونه ودون ماشيته وماله، ويألفه غاية الألْف، حتّى يصبر معه على الجوع والجفوة، فلِمَ طُبع الكلب على هذا الألْفِ[٢] والمحبّة[٣]؟ إلّا ليكون حارساً للإنسان، (ولمّا جُعل حارساً للإنسان)[٤] أُعِينَ[٥] بأنياب ومخالب[٦]، ونباح هائل، ليذعر منه السارق، ويتجنّب المواضع التي يحميها ويخفرها[٧].

[وجه الدابّة وفمها وذنبها وشرح ذلك]

يا مفضّل، تأمّل وجه الدابّة كيف هو؟ فإنّك ترى العينين شاخصتين أمامها لتبصر ما بين يديها، لئلّا تصدم حائطاً أو تتردّى[٨] في حفرة، وترى الفم مشقوقاً شقّاً في أسفل الخطم، (لتتمكن من العضّ على العَلَف، ولو كان فُوها في مقدّم الخَطْم)[٩] كمكان الفم من الإنسان في مقدّم الذقن، لما استطاعت أن تتناول به شيئاً من الأرض.

ألا ترى أنّ الإنسان لايتناول الطعام بفيه ولكن بيده، تكرمةً له على سائر

---

(١) في «ب»: الدغّار. وفي «ج» «ن»: الذُّعّار. وفي نسخة بدل من «ج» كالمثبت.

(٢) في «ن»: «هذه الأُلفة» بدل «هذا الألف».

(٣) قوله «والمحبّة» ليس في «ب».

(٤) ليست في «ب» «د» «ن».

(٥) في «ب» «ج» «د» «ن»: «له عين» بدل «أُعين».

(٦) في «ج» «د»: ومخاليب. وفي نسخة بدل من «ج» كالمثبت.

(٧) في «ب»: ويحضُرها. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

(٨) في «ج»: تَردّى. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

(٩) بدلها في «ب» «ن»: ولو شقّ.

الآكلات، فلمّا لم يكن للدابّة يدٌ تتناول بها العلف جُعل خَطْمها[١] مشقوقاً من أسفله، لتقبض به[٢] على العلف ثمّ تقضمه، وأُعينت بالجحفلة لتتناول[٣] بها ما قرب وما بعد.

اعتبر بذنبها والمنفعة لها فيه، فإنّه بمنزلة الطبق على الدبر والحياء جميعاً، يواريهما ويسترهما، ومن منافعها فيه أنّ ما بين الدبر ومَرَاقِّ[٤] البطن منها وَضَرٌ يجتمع عليه[٥] الذباب والبعوض، فجعل لها[٦] الذنب كالمِذَبّة تذبّ بها عن ذلك الموضع[٧].

ومنها أنّ الدابّة تستريح إلى تحريكه وتصريفه يمنةً ويسرةً، فإنّه لمّا كان قيامها على الأربع بأسرها، وشُغلت المقدمتان بحمل البدن عن التصرّف والتقلّب، كان لها في تحريك الذنب راحة، وفيه منافع أُخرى يقصر عنها الوهم، يُعرفُ[٨] موقعها في وقت الحاجة إليها. فمن ذلك أنّ الدابّة ترتطم في الوحل، فلا يكون شيء أعون على نهوضها من الأخذ بذنبها، وفي شعر الذنب منافع للناس كثيرة يستعملونها في مآربهم.

ثمّ جُعِل ظهرُها مسطّحاً مبطوحاً على قوائم أربع ليُتَمَكَّن من ركوبها، وجُعل

---

(١) في «ن»: خرطومها.

(٢) ليست في «ن».

(٣) في «ب»: تتناول.

(٤) في جميع النسخ: ومراقي. والمثبت عن نسخة بدل من «ج».

(٥) في «ن»: عليها.

(٦) في «أ»: فيها. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

(٧) في «ن»: عن تلك المواضع.

(٨) في «ن»: فيعرف.

حياؤها بارزاً من ورائها ليتمكّن الفحل من ضربها، ولو كان أسفل البطن كمكان[١] الفرج من المراة لم يتمكّن الفحل منها.. ألا ترى يا مفضّل[٢] أنّه لا يستطيع أن يأتيها كفاحاً كما يأتي الرجل المرأة.

[الفيل ومشفره]

تأمّل مِشفرَ الفيل وما فيه من لُطف[٣] التدبير، فإنّه يقوم مقام اليد في[٤] تناول العلف والماء، وازدرادهما إلى[٥] جوفه، ولولا ذلك لما[٦] استطاع أن يتناول شيئاً من الأرض، لأنّه ليست له رقبة يمدّها كسائر الأنعام، فلمّا عَدِمَ العنقَ أُعين مكان ذلك بالخرطوم الطويل ليسدله، فيتناول به حاجته.. فمن ذا الذي عوّضه مكان العضوِ الذي عَدِمَهُ[٧] ما يقوم مقامه إلّا الرؤوف[٨] بخلقه؟ وكيف يكون هذا[٩] بالإهمال ـ كما قالت الظلمة ـ؟

فإن قال قائل: فما باله لم يُخلق ذا عنق كسائر الأنعام؟

---

(١) في «ن»: «كما كان» بدل «كمكان».

(٢) قوله «يا مفضل» ليس في «أ» «ب» «ن».

(٣) في جميع النسخ: لطيف. والمثبت عن نسخة بدل من «ج».

(٤) في «أ»: من.

(٥) في «أ»: في.

(٦) في «ب» «ج»: ما.

(٧) في «ن»: عدم.

(٨) في «أ»: الرؤوف الرحيم بخلقه. وأدخلت كلمة «الرحيم» في متنها عن نسخة بدل.

(٩) في «ج» «د»: هكذا. وفي نسختي بدل منهما كالمثبت.

قيل له[١]: إنّ رأس الفيل وأُذنيه أمر عظيم، وثقل ثقيل، فلو[٢] كان ذلك على عنق عظيم[٣]، لهدّها وأوهنها، فجُعِل رأسه ملصقاً بجسمه لكيلا يناله منه ما وصفناه، وخُلِق له مكان العنق هذا المشفر ليتناول به غذاءه، فصار مع عَدَمِهِ[٤] العنقَ ـ مستوفياً ما فيه بلوغ حاجته.

[حياء الأُنثى من الفيلة]

انظر الآن كيف جُعِل[٥] حياءُ الأُنثى من الفيلة في أسفل بطنها؟ فإذا هاجت للضراب ارتفع وبرز، حتّى يتمكّن الفحل من ضربها.. فاعتبر كيف جُعِل حياءُ الأُنثى من الفيلة على خلاف ما عليه في غيرها من الأنعام، ثمّ جُعِلت فيه هذه الخلّة ليتهيّأ للأمر الذي فيه قوام النسل ودوامه.

[الزرافة وخلقتها وكونها ليست من لقاح أصناف شتّى]

فكّر[٦] في خلق الزرّافة، واختلاف أعضائها، وشبهها بأعضاء أصناف من الحيوان، فرأسُها رأسُ فرسٍ، وعُنُقها عُنُقُ جَمَلٍ، وأظلافها أظلاف بقرة، وجلدها جلد نمر.

---

(١) ليست في «ن».
(٢) في «أ» «ب» «د»: ولو.
(٣) في «أ» «ب» «ج» «د»: عظيمة. والعنق مذكّر وقد يؤنّث.
(٤) في «ن»: عدم.
(٥) ليست في «ب». وأدخلت في متن «ج» عن نسخة.
(٦) في «ج»: وفكّر.

وزعم ناس من الجهّال بالله عزّ وجلّ أنّ نتاجها من فحول شتّى، قالوا: وسبب ذلك أنّ أصنافاً من حيوان البرّ إذا وردت الماء تنزو[١] على بعض السائمة، وينتج مثل هذا الشخص الذي هو كالمُلتَقَط من أصناف شتّى.

وهذا جهل من قائله، وقلّة معرفة[٢] بالباري جلّ قدسه ،وليس كلّ صنف من الحيوان يلقّح كلّ صنف، فلا الفرس يلقح الجمل[٣]، ولا الجملُ يلقح البقرة[٤]، وإنّما يكون التلقيحُ من بعض الحيوان فيما يشاكله ويقرب من خلقه، كما يلقّح الفرسُ الحمارة[٥] فيخرج من[٦] بينهما البَغْل، ويلقّح الذئبُ الضبعَ، فيخرج من[٧] بينهما السِّمْع.

على أنّه ليس يكون في الذي يخرج من بينهما عضو من[٨] كلّ واحد منهما ـ كما في الزرّافة؛ عضو من الفرس، وعضو من الجمل، وأظلاف من البقرة ـ بل يكون كالمتوسّط بينهما الممتزج منهما، كالذي تراه في البغل، فإنّك ترى رأسه وأُذنيه وكفله وذنبه وحوافره وسطاً بين هذه الأعضاء من الفرس والحمار، وشحيجه كالممتزج من صهيل الفرس ونهيق الحمار.

فهذا دليل على أنّه ليست الزرّافة من لقاح أصناف شتّى من الحيوان كما زعم

---

(١) في «أ»: ينزون.

(٢) في «أ» «ب» «ج» «د»: معرفته.

(٣) قد يطلق الجمل على الأنثى، فيقال: شربت لبن جملي.

(٤) في «أ» «ب» «د» «ن»: البقر.

(٥) في «ن»: الحمار.

(٦) «من» ليست في «أ» «ب» «د» «ن». وأُدخلت في متن «ج» عن نسخة.

(٧) «من» ليست في «ب».

(٨) «من» ليست في «ن».

الجاهلون، بل هي خلق عجيب من خلق الله للدلالة على قدرته التي لا يـعجزها شيء، وليُعْلَم أنّه خالق أصناف الحيوان كلّها، يجمع بين ما يشاء من أعضائها في أيّها شاء، ويفرّق ما شاء منها في أيّها شاء، ويزيد في الخلقة ما شاء[١]، وينقص منها ما شاء، دلالة على قدرته على الأشياء، وأنّه لا يعجزه شيء أراده جلّ وتعالى.

فأمّا[٢] طول عنقها والمنفعة لها في ذلك، فإنّ منشأها ومـرعاها في غـياطل[٣] ذوات أشجار شاهقة، ذاهبة طولاً في الهواء، فهي تحتاج إلى طول العنق لتتناول[٤] بفيها أطراف تلك الأشجار فتتقوّتَ[٥] من ثمارها.

[القرد وخلقته والفرق بينه وبين الإنسان]

تأمّل خِلقةِ[٦] القرد وشبهه بالإنسان في كثيرٍ من أعضائه؛ أعني الرأس والوجه والمنكبين والصدر، وكذلك أحشاؤه شبيهة أيضاً بأحشاء[٧] الإنسان، وخُصَّ مع ذلك بالذهن والفطنة التي بها يفهم عن سائسه ما يومئ إليه، ويحكي كثيراً ممّا يرى الإنسان يفعله، حتّى أنّه يقرب من خلق الإنسان وشمائله في التدبير في خـلقته[٨] على ما هي عليه، أن يكون عبرةً للإنسان في نفسه، فيعلم أنّه مـن طـينة البهـائم

(١) في «ج»: ما يشاء. وفي نسخة بدل منها كالمثبت. وكذا في المورد اللاحق.
(٢) في «د»: وأمّا.
(٣) في «ج»: عاطل. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.
(٤) في «ب»: لتَناوَل.
(٥) في «ب» «ن»: فتقوّت.
(٦) في «ب»: خلق. وفي «د»: تأمّل في خلق.
(٧) في «ج»: بأعضاء. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.
(٨) في «أ» «د» ونسخة بدل من «ج»: خلقه.

وسنخها إذ كان يقرب من خلقها هذا القرب، وأنّه لولا فضيلة فضّله الله[١] بها في الذهن والعقل والنطق كان كبعض البهائم.

على أنّ في جسم القرد فضولاً[٢] أُخرى تفرّق بينه وبين الإنسان، كالخَطْم والذَّنَب المسدل والشعر المجلِّل للجسم كلّه، وهذا لم يكن مانعاً للقرد أن يلحق بالإنسان لو أُعطي مثل ذهن الإنسان وعقله ونطقه، والفصلُ الفاصل بينه وبين الإنسان ـ بالصّحّة[٣] ـ هو[٤] النقص في العقل والذهن والنطق.

[إكساء أجسام الحيوانات وخلقة أقدامها بعكس الإنسان وأسباب ذلك]

انظر يا مفضّل إلى لطف الله جلّ اسمه بالبهائم، كيف كُسيت أجسامها[٥] هذه الكسوة من الشعر والوبر والصوف لتقيها[٦] من البرد وكثرة الآفات، و[٧]أُلبست قوائمها[٨] الأظلاف والحوافر[٩] والأخفاف لتقيها من الحفا[١٠]؛ إذ كانت لا أيدي

---

(١) لفظ الجلالة ليس في «ب» «ن»، وأُدخل في متن «ج» عن نسخة.

(٢) في «د»: فصولاً.

(٣) في «ن»: «في الحقيقة» بدل «بالصحّة».

(٤) في «أ» «ج» «د»: وهو.

(٥) في «أ» «ب» «ج» «د»: أجسامهم.

(٦) في «أ» «ب»: ليقيها.

(٧) الواو ليست في «ن».

(٨) ليست في «ب» «ن»، وأدخلت في متن «ج» عن نسخة.

(٩) في «ن»: والحافر.

(١٠) في نسخة بدل من «ج»: الجفا.

لها ولا أكفّ ولا أصابع مهيّأة للغزل والنسج، فكُفُوا بأن جَعَلَ كسوتهم في خلقتهم[١] باقية عليهم ما بقوا لا يحتاجون إلى تجديدها والاستبدال[٢] بها.

فأمّا الإنسان فإنّه ذو حيلة وكفّ مهيّأة للعمل، فهو ينسج ويغزل، ويتّخذ لنفسه الكسوة، ويستبدل بها حالاً بعد حال، وله في ذلك صلاح من جهات:

من ذلك أنّه يشتغل بصنعة اللباس عن العبث وما تخرجه إليه الكفاية.

ومنها أنّه يستريح إلى خلع كسوته إذا شاء[٣] ولبسها إذا شاء.

ومنها أن يتّخذ لنفسه من الكسوة ضروباً لها[٤] جمال وروعة فيتلذّذ[٥] بلبسها وتبديلها.

وكذلك يتّخذ بالرفق من الصنعة[٦] ضروباً من الخفاف والنعال يقي بها قدميه، وفي ذلك معائش لمن يعمله من الناس ومكاسب تكون فيها معائشهم[٧].

ومنها أقواتهم وأقوات عيالهم، فصار الشعر والوبر والصوف يقوم[٨] للبهائم مقام الكسوة، والأظلاف والحوافر والأخفاف مقام الحذاء.

---

(١) في «ن»: خلقهم.
(٢) في «أ» «ن»: واستبدالٍ.
(٣) «إذا شاء» ليست في «ب».
(٤) في «أ»: له.
(٥) في «د»: يتلذذ.
(٦) قوله «من الصنعة» ليس في «د».
(٧) في «ب» «ج»: معاشهم. وفي نسخة بدل من «ج» كالمثبت.
(٨) في «أ» «د»: تقوم.

[موارة البهائم عند إحساسها بالموت]

فكّر يا مفضّل في خلقةٍ عجيبةٍ جعلت في البهائم، فإنّهم يوارون أنفسهم إذا ماتوا، كما يواري الناس موتاهم، وإلّا فأين جيف هذه الوحوش والسباع وغيرها، لا يُرى منها شيء، وليست قليلة فتخفى لقلّتها؟ بل لو قال قائلٌ[١]: إنّها أكثر من الناس، لصدق.

فاعتبر ذلك تراه[٢] في الصحاري والجبال، من أسراب الظباء والمها والحمير[٣] والوعول[٤] والأيائل، وغير ذلك من الوحوش وأصناف السباع من الأسد والضباع والذئاب والنمور وغيرها، وضروب الهوام والحشرات ودوابّ الأرض، وكذلك أسراب الطير من الغربان والقطا والإوَزّ والكراكي والحمام وسباع الطير جميعاً، وكلّها لا يُرى منها شيءٌ[٥] إذا ماتت إلّا الواحد بعد الواحد يصيده قانص[٦] أو يفترسه سبع، فإذا أحسّوا بالموت كمنوا في مواضع خفيّة فيموتون فيها، ولولا ذلك لامتلأت الصحاري منها حتّى تفسد رائحة الهواء وتحدث الأمراض والوباء.

فانظر إلى هذا الذي يَخلُصُ إليه الناس، وعلموه[٧] بالتمثيل الأوّل الذي مُثّل لهم، كيف جُعِل طبعاً وإذكاراً[٨] في البهائم وغيرها، ليسلم الناس من معرّة ما يحدث

---

(١) في «أ» «ن»: القائل.

(٢) في «ن»: فاعتبر في ذلك بما تراه. وفي نسخة بدل من «د»: ترى.

(٣) في «ن»: والحمير الوحش والوعول.

(٤) في «ج»: والوعائل وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

(٥) ليست في «ج» «د» «ن».

(٦) في «ج» «د» ونسخة بدل من «ب»: قايس. وفي نسختي بدل من «ج» «د» كالمثبت.

(٧) في جميع النسخ: وعملوه. والمثبت عن نسخة بدل من «أ».

(٨) في «ب»: وادّكاراً.

عليهم من الأمراض والفساد.

[الفطن التي جعلت في البهائم: الأيل والثعلب والدلفين]

فكّر يا مفضّل في الفِطَن التي جُعلت في البهائم لمصلحتها، بالطبع والخِلْقة، لطفاً من الله عزّ وجلّ لهم[١]، لئلّا يخلو من نعمه[٢] جلّ وعزّ أحد من خلقه لا بعقل ورويّة، فإنّ الأيل يأكل الحيّات فيعطش عطشاً شديداً فيمتنع من شرب الماء، خوفاً من أن يدبّ السمّ في جسمه فيقتله، ويقف على[٣] الغدير وهو مجهودٌ عَطَشاً، فيعجّ عجيجاً عالياً ولا يشرب منه، ولو شرب لمات من ساعته.

فانظر إلى ما جُعل من طباع هذه البهيمة، من تحمّل[٤] الظمأ الغالب الشديد[٥]، خوفاً من المضرّة في الشرب، وذلك ممّا لا يكاد الإنسان العاقل المميّز يضبطه من نفسه.

والثعلب إذا أَعْوَزَهُ الطُّعْمُ، تماوت ونفخ بطنه، حتّى يحسبه الطير ميّتاً، فإذا وقعت[٦] عليه لتنهشه، وثب عليها فأخذها، فمن أعان الثعلب العديم النطق والرويّة بهذه الحيلة، إلّا من توكّل بتوجيه الرزق له من هذا وشبهه؟ فإنّه لمّا كان الثعلب يضعف عن كثير ممّا تقوى عليه السباع من مُساورةِ الصيد، أُعين بالدهاء والفطنة

---

(١) ليست في «ب».
(٢) في «ج»: نِعمته. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.
(٣) في نسخة بدل من «ج»: عن.
(٤) ليست في «ج». وفي «د»: من تحمّل الوعل الظّمأ.
(٥) ليست في «ب».
(٦) في نسخة بدل من «ج»: وقفت.

والاحتيال لمعاشه.

والدلفين يلتمس صيد الطير، فتكون حيلته في ذلك أن يأخذ السمك فيقتله ويسرحه[١] حتّى يطفو على الماء، ثمّ يكمن تحته ويثوّر الماء الذي عليه[٢] حتّى لا يتبيّن شخصه، فإذا وقع الطير على السمك الطافي وثب إليها فاصطادها. فانظر إلى هذه الحيلة كيف جُعلت طبعاً في هذه البهيمة لبعض المصلحة.

[التنّين والسحاب]

قال المفضّل: فقلت: خبِّرني[٣] يا مولاي عن التنّين والسحاب.

فقال عليه السلام: إنّ السحاب كالموكّل به، يختطفه حيثما ثقفه كما يختطف حجرُ المغناطيسِ الحديدَ، فهو لا يُطلِعُ رأسَهُ من[٤] الأرض خوفاً من السحاب، ولا يخرج إلّا في القيظ مرّة إذا[٥] صحّت[٦] السماء، فلم تكن فيها نكتة من غيمة.

قلت: فَلِمَ وكّل السحاب بالتنّين يرصده ويختطفه إذا وجده؟

قال: ليدفع عن الناس مضرّته.

---

(١) في «ب» «د» ونسخة بدل من «ج»: ويشرّحه.

(٢) في نسخة بدل من «أ»: الذي تحته حوله حتى. وفي «ج»: الذي حوله حتّى، وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

(٣) في «ن»: أخبرني.

(٤) في «ب» «ج» «د» «ن»: في. والمثبت عن «أ» ونسخة بدل من «د».

(٥) في «ج»: وإذا.

(٦) في «أ» «ج»: أصحت. وهما لغتان.

[في الذرّة والنمل وأسد الذباب والعنكبوت وطبائع كلّ منها]

قال المفضّل: فقلت: قد وصفتَ لي يا مولاي من أمر البهائم ما فيه مُعتَبر لمن اعتبر، فصف لي الذرّة والنملة[١] والطير.

فقال عليه السلام: يا مفضّل، تأمّل وجه الذرّة الحقيرة الصغيرة هل تجد فيها نقصاً عمّا فيه[٢] صلاحها، فمن أين هذا التقدير والصواب في خلق الذرّة؟ إلّا من التدبير القائم في صغير الخلق وكبيره.

انظر إلى النمل واحتشاده[٣] في جمع القوت وإعداده، فإنّك ترى الجماعة منها إذا نقلتِ الحَبَّ إلى زُبْيَتِها بمنزلة جماعة من الناس ينقلون الطعام أو غيره، بل للنمل في ذلك من الجدّ والتشمير ما ليس للناس مثله. أما تراهم يتعاونون على النقل[٤] كما يتعاون الناس على العمل، ثمّ يعمدون إلى الحبّ فيقطعونه[٥] قطعاً لكيلا ينبت فيفسد عليهم، فإن أصابه ندى أخرجوه فنشروه حتّى يجفّ، ثمّ لا يتّخذ النمل الزبية إلّا في نشز[٦] من الأرض كيلا يفيض السيل فيغرقها، وكلّ[٧] هذا منه بلا عقل ولا رويّة، بل خلقة خُلِق عليها لمصلحةٍ[٨]؛ لُطفاً[٩] من الله جلّ وعزّ.

---

(١) في «ب» «ج»: والنمل.

(٢) في نسخة بدل من «ج»: في.

(٣) في «ب»: واحتشادها. وفي «ج»: وأحشاده، وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

(٤) في نسخة بدل من «ب»: نقله.

(٥) في «ج»: فيقطعون. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

(٦) في «ب» «د»: نشر.

(٧) في «أ» «ب» «ج» «د»: فكلّ.

(٨) في «ج»: لمصلحته.

(٩) ليست في «ن».

انظر إلى هذا الذي يقال له الليث وتسمّيه العامّة «أسد الذباب» وما أُعطي من الحيلة والرفق في طلب[١] معاشه، فإنّك تراه حين يحسّ بالذباب قد وقع قريباً منه تركه مليّاً حتّى كأنّه موات لا حراك به، فإذا رأى الذباب قد اطمأنّ وغفل عنه، دبّ دبيباً رفيقاً[٢] حتّى يكون منه بحيث تناله وَثْبَتُهُ[٣]، ثمّ يثب عليه فيأخذه، فإذا أخذه اشتمل عليه بجسمه كلّه، مخافة أن ينجو منه، فلا يزال قابضاً عليه حتّى يحسّ بأنّه قد ضعف واسترخى ثمّ يقبل[٤] عليه فيفترسه، ويحيى بذلك[٥] منه.

فأمّا العنكبوت فإنّه ينسج ذلك النسج، فيتّخذه شركاً ومصيدة للذباب، ثمّ يكمن في جوفه، فإذا نشب فيه الذباب أحال عليه يلدغه ساعة بعد ساعة، فيعيش بذلك منه. فذلك يحكي[٦] صيد الكلاب والفهود، وهذا[٧] يحكي[٨] صيد الأشراك والحبائل.

فانظر إلى هذه الدويبة الضعيفة كيف جعل في طبعها ما لا يبلغه الإنسان إلّا بالحيلة واستعمال الآلات[٩] فيها؟ فلا تزدرِ بالشيء إذا كانت العبرة فيه واضحة كالذرّة والنملة وما أشبه ذلك، فإنّ المعنى النفيس قد يمثّل بالشيء الحقير، فلا يَضَعُ[١٠]

---

(١) ليست في «ب» «ن»: وأدخلت في متن «ج» عن نسخة.

(٢) في «أ»: رقيقاً. وفي «ب» «ج» «ن»: دقيقاً. والمثبت عن «د» ونسخة بدل من «ب».

(٣) في «ب»: يناله وَثْبُهُ. وفي «ج»: ينالُهُ وثبةً.

(٤) في نسخة بدل من «ج»: يصول.

(٥) ليست في «أ» «ج»، وأدخلت في متن «ب» عن نسخة.

(٦) في «أ» «ب» «د»: فكذلك يُحكى.

(٧) في «ب» «د»: وهكذا.

(٨) في «أ» «ب» «ج»: يُحكى.

(٩) في «ب» «د»: آلات.

(١٠) في «د»: يضيع. وكذلك في المورد اللاحق.

منه ذلك كما لا يَضَعُ من الدينار وهو من ذهب أن يوزن بمثقال من حديد.

[جسم الطائر وخلقته]

تأمّل يا مفضّل جسم الطائر وخلقته، فإنّه حين قُدِّرَ أن يكون طائراً في الجوّ، خُفِّفَ جسمه وأُدمج خلقه، فاقتُصِرَ[١] به[٢] من القوائم الأربع على اثنتين، ومن الأصابع الخمس على أربع، ومن منفذين للزِّبل والبول على واحد يجمعهما، ثمّ خُلِق ذا جؤجؤ محدَّد، ليسهل عليه أن يخرق الهواء كيف ما أخذ فيه ـ كما جعلت السفينة بهذه الهيئة، لتشقّ الماء وتنفذ[٣] فيه ـ وجُعل في جناحيه وذنبه ريشات طوال متان، لينهض بها للطيران، وكُسِيَ كلّه الريش، ليُداخِله[٤] الهواء فيقله.

ولمّا قدّر أن يكون طُعْمُه الحبَّ واللحم يبلعه بلعاً بلا مضغ، نُقِصَ من خَلْقِهِ[٥] الأسنانَ[٦] وخُلِقَ له منقارٌ صُلْبٌ جاسٍ[٧] يتناول به طعمه، فلا ينسحج من لقط الحبّ، ولا يتقصّف[٨] من نهش اللحم، ولمّا عَدِمَ الأسنانَ، وصار يزدرد الحبَّ صحيحاً واللحمَ غريضاً، أُعين بفضل حرارة في الجوف تطحن له الطُّعْم طحناً يستغني به عن المضغ، واعتبر ذلك بأن عَجَمَ العنب وغيره، يخرج من أجواف

---

(١) في «ن»: واقتصر.

(٢) ليست في «أ».

(٣) في «أ» «ج»: كما جُعل صدر السفينة بهذه الهيئة ليشق الماء وينفذ فيه.

(٤) في «ج» «د» «ن»: ليتداخله.

(٥) في «أ» «ج» «د» «ن»: خِلْقَة.

(٦) في «د» «ن»: الإنسان.

(٧) في «أ» «ن»: جاسئٌ. وهما لغتان.

(٨) في «ج»: ولا ينقصف.

الإنس صحيحاً، ويُطحن[١] في أجواف الطير لا يُرى له أثر.

ثمّ جعل ممّا يبيض بيضاً، ولا يلد ولادة، لكيلا يثقل عن الطيران، فإنّه لو كانت الفراخ في جوفه تمكث حتّى تستحكم، لأثقلته وعاقته عن النهوض والطيران، فجُعِل كلّ شيء من خلقه مُشاكِلاً للأمر الذي قُدّر أن يكون عليه.

ثمّ صار[٢] الطائر السابح[٣] في هذا الجوّ يقعد على بيضه فيحضنه أُسبوعاً وبعضها أُسبوعين وبعضها ثلاثة أسابيع، حتّى يخرج الفرخ من البيضة، ثمّ يقبل عليه فيزقه الريح لتتّسع حوصلته للغذاء، ثمّ يربّيه ويغذيه بما يعيش به، فمن كلّفه أن يلقط الطُّعْم ويستخرجه[٤]، بعد أن يستقرّ في حوصلته، ويغذو به فراخه؟ ولأيّ معنى يحتمل هذه المشقّة وليس بذي رويّة ولا تفكّر[٥]؟ ولا يؤمِّلُ[٦] في فراخه ما يؤمّل[٧] الإنسان في ولده من العزّ والرِّفد وبقاء الذكر؟ فهذا هو فِعلٌ[٨] يشهد بأنّه[٩] معطوف على فراخه لعلّة لا يعرفها ولا يفكّر فيها، وهي دوام النسل وبقاؤه؛ لطفاً من الله تعالى ذكره.

---

(١) في «ج»: ويتطحن. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

(٢) في «ج»: طار. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

(٣) في «ب» «د» «ن»: السائح.

(٤) في «ن»: الطعم والحب يستخرجه.

(٥) في «ج»: ولا تفكير. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

(٦) في «ب» «ج» «ن»: يأمل.

(٧) في «أ» «ب»: يأمل.

(٨) في «أ» «ب» «ج»: فهذا من فعلٍ. وفي «ن»: فهذا من فعله. والمثبت عن «د» ونسختي بدل من «ب» «ج».

(٩) في «ن»: أنّه.

[الدجاجة وتهيّجها لحضن البيض والتفريخ]

انظر إلى الدجاجة كيف تهيج لحضن البيض والتفريخ، وليس لها بيض مجتمع ولا وكر مُوطَّأٌ[(١)]، بل تنبعث وتنتفخ[(٢)] وتُقَوْقي[(٣)] وتمتنع من الطعم، حتّى يجمع لها البيض، فتحضنه وتفرّخ.. فلم كان ذلك منها إلّا لإقامة النسل؟ ومن أخذها بإقامة النسل ولا رويّة لها[(٤)] ولا تَفَكُّر[(٥)]، لولا أنّها مجبولة على ذلك؟

[خلق البيضة والتدبير في ذلك]

اعتبر بخلق البيضة وما فيها[(٦)] من المح[(٧)] الأصفر الخاثر والماء الأبيض الرقيق، فبعضه لينشأ[(٨)] منه الفرخ، وبعضه ليغتذي[(٩)] به، إلى أن تنقاب عنه البيضة، وما في ذلك من التدبير، فإنّه لمّا[(١٠)] كان نشوء الفرخ في تلك القشرة المستحصفة[(١١)] التي لا

---

(١) في «ج»: موطّن. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

(٢) في نسخة بدل من «ج»: وتنتفج.

(٣) في «ن»: وتقوى.

(٤) ليست في «ب».

(٥) في «ج» «ن»: ولا تفكير. والمثبت عن «أ» «ب» «د» ونسخة بدل من «ج».

(٦) في «ج» «د»: فيما فيها. وفي نسخة بدل من «ج» كالمثبت. وفي نسخة بدل من «د»: وما فيه.

(٧) في «أ» «ج» «ن»: المخّ.

(٨) في «ب» «ج» «د»: لينتشر. وفي «ن»: ينشأ. وفي نسختي بدل من «ج» «د» كالمثبت.

(٩) في «ب»: ليغذى. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

(١٠) في جميع النسخ: «لو» بدل «لما». والمثبت عن نسخة بدل مصحّحة من «د».

(١١) في «أ» «د» ونسخة بدل من «ج»: المستحضنة. وفي «ب» المستحصنة. وفي «ج» «ن»: المستحفظة. والمثبت عن نسختي بدل من «ب» «ج».

مساغ لشيء إليها[١]، جعل[٢] معه في جوفها من الغذاء ما يكتفي[٣] بـه إلى وقت خروجه منها، كمن يُحبس في حبس حصين لا يوصل إلى مَن فيه، فيُجعَلُ معه من القوت ما يكتفي به إلى وقت خروجه منه.

[حوصلة الطائر]

فكّر يا مفضّل[٤] في حوصلة الطائر، وما قُدّر له، فـإنّ مسـلك الطُّـعْم[٥] إلى القانصة ضيّق، لا ينفذ فيه الطعام[٦] إلّا قليلاً قليلاً، فلو كان الطائر لا يلقط حـبّةً ثانيةً حتّى تصل الأُولى إلى القانصة لطال عليه، ومتى كان يستوفي طـعمه؟ فـإنّما يختلسه اختلاساً لشدّة الحذر، فجعلت له[٧] الحوصلة كـالمخلاة المـعلّقة[٨] أمـامه، ليوعي فيها ما أَدركَ من الطُّعْم بسرعة، ثمّ ينفذه[٩] إلى القانصة عـلى مـهل، وفي الحوصلة أيضاً خلّة[١٠] أُخرى، فإنّ من الطائر ما يحتاج إلى أن يزقّ فراخه فيكون ردُّه للطُّعم من قرب أسهلَ عليه.

---

(١) في «د»: إليه.
(٢) في «أ» «ب» «ج» «د»: لجعل.
(٣) في نسخة بدل من «ج»: ما يُكفى.
(٤) قوله «يا مفضل» ليس في «ب». وأدخل في متن «ج» عن نسخة.
(٥) في «ج»: الطعام.
(٦) في نسخة بدل من «ج»: الطُّعم.
(٧) ليست في «ب» «ج» «د».
(٨) في نسخة بدل من «ج»: المعقّلة.
(٩) في «ب» «ن»: تنفذه.
(١٠) في «ج»: حيلة. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

[اختلاف ألوان الطير وعلّة ذلك]

قال المفضّل: فقلت: إنّ قوماً من المعطّلة يزعمون أنّ اختلاف الألوان والأشكال في الطير إنّما يكون من قبل امتزاج الأخلاط، واختلاف مقاديرها بالمرج[١] والإهمال.

فقال[٢]: يا مفضّل، هذا الوشي ـ الذي تراه في الطواويس والدرّاج والتدارج[٣] على استواء ومقابلة، كنحو ما يُخطّ بالأقلام ـ كيف يأتي به الامتزاج المهمَل على شكلٍ واحدٍ لا يختلف؟ لو[٤] كان بالإهمال لَعُدِمَ الاستواء ولكان مختلفاً.

[ريش الطائر ووصفه]

تأمّل ريش الطير كيف هو؟ فإنّك تراه منسوجاً كنسج الثوب من سلوك دِقاق، قد أُلّف بعضه إلى[٥] بعض، كتأليف الخيط إلى الخيط، والشعرة إلى الشعرة، ثمّ ترى ذلك النسج إذا مددته ينفتحُ قليلاً ولا ينشقّ لتُداخِله الريح، فيُقِلُّ الطائرَ[٦] إذا طار، وترى في وسط الريشة عموداً غليظاً متيناً قد نُسِجَ عليه الذي هو مثل الشعر ليمسكه بصلابته، وهو القصبة التي في وسط الريشة، وهو مع ذلك أجوف، ليخفّ على الطائر

---

(١) في «أ» «د»: بالمزج. وفي «ج» ونسخة بدل من «ب»: بالهرج. لكن المجلسي في بيانه قال أنّها في بعض النسخ بالزاي المعجمة، أي بالمزج.

(٢) في «ن»: قال.

(٣) قوله «والتدارج» ليس في «ج».

(٤) في «أ» «ج» «ن»: ولو.

(٥) في «ج»: على. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

(٦) في نسخة بدل من «ج»: الطيران.

ولا يعوقه عن الطيران.

[الطائر الطويل الساقين والتدبير في ذلك]

هل رأيت يا مفضّل هذا الطائر الطويل الساقين، وعرفت ماله من المنفعة في طول ساقيه، فإنّه أكثرَ ذلك في ضحضاح من الماء، فتراه بساقين طويلين كأنّه ربيئة فوق مَرْقَب، وهو يتأمّل ما يدبّ في الماء، فإذا رأى شيئاً ممّا يتقوّت به، خطا خطوات رفيقاً[١] حتّى يتناوله، ولو كان قصير الساقين كان[٢] حين[٣] يخطو نحو الصيد ليأخذه، يصيب[٤] بطنه الماء فيثور ويذعر منه، فيتفرّق[٥] عنه، فخُلِقَ له ذانكَ[٦] العمودان ليدرك بهما حاجته ولا يفسد عليه مطلبه.

تأمّل ضروب التدبير[٧] في خلق الطائر، فإنّك تجد كلَّ طائرٍ طويلَ الساقين طويلَ العنق، وذلك ليتمكّن من تناول طُعْمه من الأرض، فلو[٨] كان طويل الساقين قصير العنق لما استطاع أن يتناول شيئاً من الأرض، وربّما أُعين مع[٩] العنق بطول المناقير، ليزداد الأمر عليه سهولة وله[١٠] إمكاناً، أفلا ترى أنّك لا تفتّش شيئاً

---

(١) في «جـ» «ن»: رقيقاً.

(٢) في «ب» «ن»: وكان.

(٣) ليست في «أ» «ب» «جـ» «ن».

(٤) في نسخة بدل من «جـ»: يضبّ. وفي نسخة بدل أخرى: يصبّ.

(٥) في «ن»: فيفرّق.

(٦) في «جـ» «د» «ن»: ذلك.

(٧) في «جـ»: ضروباً من التدبير. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

(٨) في «ب» «جـ» «د» «ن»: ولو.

(٩) في «د» ونسخة بدل من «ب»: على. وفي نسخة بدل من «د» كالمثبت.

(١٠) «له» ليست في «ن». وفي «ب»: سهولة له وإمكانا.

من الخلقة[١] إلّا وجدته على غاية[٢] الصواب والحكمة.

[العصافير وطلبها للأكل]

انظر إلى العصافير كيف تطلب أُكُلَها بالنهار، فلا هي تفقده[٣]، ولا هي[٤] تجده مجموعاً معدّاً، بل تناله بالحركة والطلب، وكذلك الخلق كلّه، فسبحان من قدّر الرزق كيف قَوَّتَهُ[٥]، فلم يَجعله[٦] ممّا لا يُقدر عليه إذ جعل بالخلق[٧] حاجة[٨] إليه، ولم يجعله[٩] مبذولاً ينال بالهوينا[١٠] إذ كان لا صلاح في ذلك؛ فإنّه لو كان يوجد مجموعاً معدّاً كانت البهائم تنقلب[١١] عليه، ولا تنقلع[١٢] عنه حتّى تَبْشَمَ فتهلك. وكان الناس أيضاً يصيرون بالفراغ إلى غاية الأشر والبطر، حتّى يكثر الفساد وتظهر الفواحش.

---

(١) في نسخة بدل من «ج»: خلقةٍ.

(٢) في «أ» «د»: غاية من الصواب.

(٣) في «ب» «د» «ن»: فهي لا تفقده. وفي «ج»: فهي لا تفتقده. والمثبت عن «أ» ونسخة بدل من «ج».

(٤) ليست في «ن».

(٥) في نسخة بدل من «ب»: قدّر. وكتب بعدها: خ ل ظ.

(٦) في «ب» «د» «ن»: يجعل.

(٧) في «ب»: للخلق.

(٨) في «ج»: محتاجاً.

(٩) في «ن»: يجعل.

(١٠) في «ج»: بالهون.

(١١) في «أ» «ب» «ج» «د»: تتقلب.

(١٢) في نسخة بدل من «ج»: ولا تنقطع.

[معاش البوم والهام والخفّاش]

أعلمت ما طُعْم هذه الأصناف من الطير التي لا تخرج إلّا بالليل كمثل البوم والهام والخفّاش؟

قلت: لا يا مولاي.

قال ﷺ: إنّ معاشها من ضروب تنتشر[١] في هذا[٢] الجوّ من البعوض والفراش وأشباه الجراد واليعاسيب، وذلك أنّ هذه الضروب مبثوثة في الجوّ لا يخلو منها موضع..

واعتبر ذلك بأنّك[٣] إذا وضعت سراجاً بالليل في سطح أو عرصة دار، اجتمع عليه من هذا الضرب[٤] شيء كثير.. فمن أين يأتي ذلك كلّه إلّا من القرب؟

فإن قال قائل: إنّه يأتي من الصحاري والبراري.

قيل له: كيف يوافي تلك الساعة من موضع بعيد؟ وكيف يبصر من ذلك البعد سراجاً في دار محفوفة بالدور فيقصد إليه؟ مع أنّ هذه عياناً تتهافت على السراج من قرب، فيدلّ ذلك على أنّها منتشرة في كلّ موضع من الجوّ، فهذه الأصناف من الطير تلتمسها إذا خرجت فتتقوّت بها.

فانظر كيف وُجّه الرزق لهذه الطيور التي لا تخرج إلّا بالليل من هذه الضروب المنتشرة في الجوّ، واعرف ـ مع[٥] ذلك ـ المعنى في خلق هذه الضروب المنتشرة التي

---

(١) في «د»: تُنشر.

(٢) ليست في «ن».

(٣) في «د»: بأنّك ترى إذا.

(٤) ليست في «ب» «ج». وفي «ن»: من هذه الضروب.

(٥) ليست في «ن».

عسى أن يظنّ ظانّ أنّها[١] فضل لا معنى له[٢].

[خلقة الخفّاش]

خُلِقَ الخفّاش خلقة عجيبة بين خلقة[٣] الطير وذوات الأربع، بل[٤] هو إلى ذوات الأربع أقرب، وذلك أنّه ذو أُذنين ناشزتين[٥] وأسنان ووبر، وهو يلد ولاداً ويرضع ويبول، ويمشي إذا مشى على أربع، وكلّ هذا خلاف صفة[٦] الطير، ثمّ هو أيضاً ممّا يخرج بالليل، ويتقوّت بما[٧] يسري[٨] في الجوّ من الفراش وما أشبهه.

وقد قال قائلون أنّه لا طُعْم للخفّاش، وأنّ غذاءه من النسيم وحده.

وذلك يفسد ويبطل من جهتين:

إحداهما[٩]: (خروج ما يخرج منه من الثفل والبول)[١٠]، فإنّ هذا لا يكون من غير طعم.

والأُخرى[١١]: إنّه ذو أسنان، ولو كان لا يطعم شيئاً لم يكن للأسنان فيه معنى،

---

(١) في «ج»: أنّه. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.
(٢) في نسخة بدل من «ج»: لها.
(٣) في «ج»: خلق. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.
(٤) ليست في «ن».
(٥) وضعت في «ب» دائرة حول نقطة الزاي. وفي «د»: ناشرتين.
(٦) في «د»: صنعة.
(٧) في «أ» «ب» «د»: ممّا.
(٨) في «ج»: يُرى.
(٩) في «د»: «وجهين أحدهما» بدل «جهتين إحداهما».
(١٠) في «ن»: خروج الثفل والبول منه.
(١١) في «د»: والآخر.

وليس في الخلقة شيء لا معنى له.

وأمّا المآرب[١] فيه فمعروفة، حتّى أنّ زِبله يدخل في بعض الأعمال، ومن أعظم الأَرَبِ[٢] فيه خلقته العجيبة الدالّة على قدرة الخالق جلّ ثناؤه، وتصرّفه[٣] فيما شاء كيف شاء لضرب من المصلحة.

[حيلة الطائر ابن تمرة بالحسكة ومنفعتها]

فأمّا[٤] الطائر[٥] الصغير الذي يقال له «ابن تَمْرَة»[٦] فقد عشش في بعض الأوقات في بعض الشجر، فنظر إلى حيّة عظيمة قد أقبلت نحو عشّه فاغرة فاها، تبغيه[٧] لتبلعه[٨]، فبينما[٩] هو يتقلّب ويضطرب في طلب حيلةٍ منها إذ[١٠] وجد حَسَكَة، فحملها فألقاها في فم الحيّة، فلم تزل الحيّة تلتوي وتتقلّب حتّى ماتت،

---

(١) في «أ»: المأرب. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

(٢) في نسختي بدل من «ج» «د»: المآرب.

(٣) في «ب» «ج» «د» «ن»: وتصرّفها. والمثبت عن «أ» ونسخه بدل مصححة من «ب» ونسختي بدل من «ج» «د».

(٤) في «ج»: وأمّا.

(٥) في نسخة بدل من «ج»: الطير.

(٦) في «أ» أبو نمرة. وفي «ج»: أبو تُمَّرَة. وفي «د»: أبو تمرة. وما في «ج» «د» أيضا صحيح، انظر المرصّع: ١٠٩.

(٧) ليست في «أ» «ب» «ج».

(٨) في «ن» ونسخة بدل من «ب»: لتبتلعه.

(٩) في «ج»: فبينا. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

(١٠) في «ب» «د» «ج»: إذا. والمثبت عن «أ» «ن» ونسخة بدل من «ج».

أفرأيت لو لم أُخبرك بذلك، أكان[1] يخطر ببالك أو ببال غيرك أنّه يكون من حسكة مثل هذه المنفعة العظيمة[2]، أو يكون من طائر صغير[3] أو كبير مثل هذه الحيلة؟ اعتبر بهذا، وكثيرٌ من الأشياء تكون[4] فيها منافع لا تُعرَفُ إلّا بحادثٍ[5] يحدث[6] أو خبر[7] يُسمع به.

[النحل: عسله وبيوته]

انظر إلى النحل واحتشاده في صنعة العسل، وتهيئته[8] البيوت المسدّسة وما ترى في ذلك من دقائق الفطنة، فإنّك إذا تأمّلت العمل رأيته عجيباً لطيفاً، وإذا رأيت المعمول وجدته عظيماً شريفاً موقعه من الناس، وإذا رجعت إلى الفاعل ألفيته غبيّاً جاهلاً بنفسه فضلاً عمّا سوى ذلك، ففي هذا أوضح الدلالة على أنّ الصواب والحكمة في هذه الصنعة ليس للنحل، بل هي للذي طبعه عليها وسخّره فيها لمصلحة الناس.

---

(١) في «أ»: كان. بلا همزة الاستفهام.
(٢) ليست في «ن».
(٣) في «ج»: حقير.
(٤) في «د» «ن»: ويكون.
(٥) في «أ» «د» ونسخة بدل من «ج»: إلّا عند حادث. وفي متن «ج»: إلّا عند الحادث.
(٦) في «أ» «ب» «ج» «د»: يحدث به. وأدخلت «به» في متن «ب» عن نسخة.
(٧) في «أ»: «والخبير» بدل «أو خبر». وفي «ب» «ج» ونسخة بدل من «أ»: والخبر.
(٨) في «ب» «ج» «ن»: وتهيئة.

[الجراد وبلاؤه]

انظر إلى هذا الجراد ما أضعفه وأقواه[١]! فإنّك إذا تأمّلت خلقه رأيته كأضعف الأشياء، وإن دلفت عساكره نحو بلد من البلدان لم يستطع أحد أن يحميه منه.. ألا ترى أنّ ملكاً من ملوك الأرض لو جمع خيله ورجله ليحمي بلاده من الجراد لم يقدر على ذلك، أفليس من الدلائل على قدرة الخالق أن يبعث أضعف خلقه إلى أقوى خلقه، فلا يستطيع دفعه؟!

[كثرة الجراد]

انظر إليه كيف ينساب على وجه الأرض مثل السيل، فيغشى السهل والجبل والبدو والحضر، حتّى يستر نور الشمس بكثرته، فلو كان هذا ممّا يصنع بالأيدي متى كان تجتمع منه هذه الكثرة؟ وفي كم من[٢] سنةٍ كان يرتفع؟ فاستَدِلَّ بذلك على القدرة التي لا يَؤُودُها شيء، ولا يكثر عليها.

[وصف السمك]

تأمّل خلق السمك ومشاكلته للأمر الذي قُدِّرَ أن يكون عليه، فإنّه خُلِقَ غيرَ ذي[٣] قوائم، لأنّه لا يحتاج إلى المشي، إذ[٤] كان مسكنه الماء، وخُلِق غير ذي رئةٍ،

---

(١) في «أ» «د»: وما أقواه.

(٢) «من» ليست في «ن».

(٣) في نسخة بدل من «ج»: ذوي.

(٤) في نسخة بدل من «ج»: إذا. وأدخلت الألف في «ب» عن نسخة.

لأنّه لا يستطيع أن يتنفّس وهو منغمس في اللجّة، وجعلت له مكان القوائم أجنحة شداد يضرب بها في جانبيه، كما يضرب الملّاح بالجاذيف[(١)] من جانبي السفينة، وكُسِيَ جسمُهُ قشوراً متاناً متداخلة كتداخل الدروع والجواشن لتقيه من الآفات، فأُعين بفضل حسّ[(٢)] في الشمّ، لأنّ بصره ضعيف، والماء يحجبه، فصار يشمّ الطُّعْم من البُعْدِ البَعيدِ، فينتجعه[(٣)]، وإلّا فكيف يعلم به وبموضعه؟

واعلم أنّ مِن فيه إلى صماخَيه[(٤)] منافذ، فهو يَعُبُّ الماء بفيه ويرسله من صماخَيه فيتروّح إلى ذلك، كما يتروّح غيره من الحيوان إلى تنسّم هذا النسيم.

[كثرة نسل السمك وعلّة ذلك]

فكّر الآن في كثرة نسله وما خُصّ به من ذلك، فإنّك ترى في جوف السمكة الواحدة من البيض ما لا يحصى كثرة[(٥)]، والعلّة في ذلك أن يتّسع لما يغتذي به من أصناف الحيوان، فإنّ أكثرها يأكل السمك، حتّى أنّ السباع أيضاً في حافات الآجام عاكفة على الماء أيضاً كي ترصد السمك، فإذا مرّ بها خطفته، فلمّا كانت السباع تأكل السمك، والطير يأكل السمك، والناس يأكلون السمك، والسمك يأكل السمك، كان من التدبير فيه أن يكون على ما هو عليه من الكثرة.

---

(١) في «د»: بالمجاديف. وهما لغتان.

(٢) في «ب»: حُسْن.

(٣) في «ن»: فينتجعه فيتبعه.

(٤) في «ن»: صماخه.

(٥) في نسخة بدل من «ج»: كثيرة. ولعلّها «كَثِيرَةُ».

[سعة حكمة الخالق وقصر علم المخلوقين]

فإذا أردت أن تعرف سعة حكمة الخالق، وقصر علم المخلوقين، فانظر إلى ما في البحار من ضروب السمك ودوابّ الماء والأصداف والأصناف التي لا تحصى، ولا تعرف منافعها إلّا الشيء بعد الشيء يدركه الناس بأسباب تحدث[١]، مثل القرمز؛ فإنّه إنّما[٢] عرف الناس صبغه بأنّ كلبة كانت[٣] تجول على شاطئ البحر، فوجدت شيئاً من الصنف الذي يسمّى الحلزون[٤]، فأكلته فاختضب خَطْمُها بدمه، فنظر الناس إلى حسنه فاتخذوه صبغاً، وأشباه هذا ممّا يقف الناس عليه حالاً بعد حال وزماناً بعد زمان.

قال المفضّل: وحان وقت الزوال، فقام مولاي عليه السلام إلى الصلاة وقال: بكّر إليّ غداً إن شاء الله تعالى.. فانصرفت وقد تضاعف سروري بما عرّفنيه، مبتهجاً بما منحنيه، حامداً لله على ما آتانيه، فبتُّ ليلتي مسروراً مبتهجاً.

---

(١) في «ج»: تحدث منه مثل.

(٢) في «ن»: لما.

(٣) ليست في «ب» «ج» «ن».

(٤) في «ج»: الصنف المسمّى بالحلزون. وفي نسخة بدل منها: الذي يسمّى بالحلزون. وفي «د»: المسمّى الحلزون.

المجلس الثالث

قال المفضّل[١]: فلمّا كان اليوم الثالث بكّرت إلى مولاي فاستؤذن لي بالدخول[٢] فدخلت فأذن لي بالجلوس فجلست، فقال عليه السلام: الحمد لله الذي اصطفانا ولم يصطف علينا، اصطفانا بعلمه، وأيّدنا بحلمه[٣]، من شذّ عنّا فالنار مأواه، ومن تفيّأ بظلّ دوحتنا فالجنّة مثواه.. قد شرحت لك يا مفضّل خلق الإنسان، وما دبّر به، وتنقّله في أحواله، وما فيه من الاعتبار، وشرحت لك أمر الحيوان.. وأنا أبتدئ الآن بذكر السماء والشمس والقمر والنجوم والفلك، والليل والنهار، والحرّ والبرد والرياح، والجواهر الأربعة ـ الأرض والماء والهواء والنار ـ والمطر والصحو[٤]، والجبال والطين والحجارة، والمعادن والنبات[٥]، والنخل

---

(١) قوله «قال المفضّل» ليس في «ن».

(٢) ليست في «أ» «ب» «د» «ن».

(٣) في «د»: بحكمه.

(٤) في جميع النسخ: والصخر. والمثبت عن نسخة بدل من «ج».

(٥) قوله «والمعادن والنبات» ليس في «ن».

والشجر وما في ذلك من الأدلّة والعبر.

[لون السماء وما فيه من صواب التدبير]

فكّر في لون السماء وما فيه من صواب التدبير، فإنّ هـذا اللـون أشـدّ الألوان موافقة وتقوية للبصر[١]، حتّى أنّ من صفات الأطبّاء لمن أصابه شيء أضرّ ببصره إدمان النظر إلى الخضرة وما قرب منها إلى السواد، وقد وصف الحذّاق منهم لمن كَلَّ بصره الاطّلاع في إجّانة خضراء مملوءة ماءاً، فانظر كيف جعل الله جلّ وتعالى أديم السماء بهذا اللون الأخضر إلى السواد ليمسك الأبصار المتقلّبة[٢] عليه، فلا ينكأ فيها بطول مباشرتها له، فصار هذا الذي أدركه الناس بالفكر والرويّة والتجارب، يوجد مفروغاً منه في الخلقة؛ حكمة بالغة ليعتبر[٣] بها المعتبرون، ويفكّر فيها الملحدون، ﴿قَاتَلَهُمُ اللهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾[٤].

[طلوع الشمس وغروبها والمنافع في ذلك]

فكّر يا مفضّل في طلوع الشمس وغروبها، لإقامة دولتي النهار والليل، فلولا طلوعها لبطل أمر العالم كلّه، فلم يكن الناس يسعون في معائشهم، ويتصرّفون في أُمورهم، والدنيا مظلمة عليهم، ولم يكونوا يتهنّؤون بالعيش مع فقدهم لذّة النـور

---

(١) في «ب» «د»: موافقةً للبصر وتقويةً.

(٢) في «ب» ونسخة بدل من «ج»: المنقلبة. ومن هنا إلى قوله «به المعتبرون فكّر يا مفضّل في النجوم» ساقط من «د».

(٣) في «أ»: يعتبر.

(٤) التوبة: ٣٠، المنافقون: ٤.

ورَوْحه.. فالأَرَب[١] في طلوعها ظاهر مستغنًى[٢] بظهوره عن الإطناب في ذكره، والزيادة في شرحه..

بل تأمّل المنفعة في غروبها، فلولا غروبها لم يكن للناس هدوء[٣] ولا قرار مع عظم حاجتهم إلى الهدوء[٤] والراحة لسكون أبدانهم، وجموم حواسهم، وانبعاث القوّة الهاضمة لهضم[٥] الطعام، وتنفيذ الغذاء إلى الأعضاء، ثمّ كان الحرص يستحملهم من مداومة العمل، ومطاولته على ما تعظم نكايته[٦] في أبدانهم، فإنّ كثيراً من الناس لولا جثوم هذا الليل بظلمته[٧] عليهم، لم يكن لهم هدوء[٨] ولا قرار، حرصاً على الكسب والجمع والادّخار. ثمّ كانت الأرض تستحمي بدوام الشمس بضيائها[٩]، ويَحْمَى[١٠] كلّ ما عليها من حيوان ونبات، فقدّرها الله بحكمته وتدبيره، تطلع وقتاً وتغرب وقتاً، بمنزلة سراج يُرفَعُ لأهل البيت تارة ليقضوا حوائجهم، ثمّ يغيب عنهم مثل ذلك ليهدؤوا ويقرّوا، فصار النور والظلمة مع تضادّهما منقادَين متظاهرَين على ما فيه صلاح العالم وقوامه.

---

(١) في «أ» «ب» «ن»: والأرب.

(٢) في «ب»: مستغنٍ.

(٣) في «أ» «ب»: هَدْءٌ. وكلاهما مصدرٌ لـ«هَدَأَ».

(٤) في «أ» «ب»: الهَدْء.

(٥) في «ج»: لتهضيم، وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

(٦) في نسخة بدل من «ج»: نكابته.

(٧) في «ب»: لظلمته.

(٨) في «أ» «ب»: هَدْء.

(٩) في «ج»: لضيائها، وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

(١٠) في «ب»: وتحمي.

[التدبير والمصلحة في الفصول الأربعة من السنة]

ثمّ فكّر بعد هذا في ارتفاع الشمس وانحطاطها لإقامة هذه الأزمنة الأربعة من السنة وما في ذلك من التدبير والمصلحة.

ففي الشتاء تعود الحرارة في الشجر والنبات، فتتولّد فيهما[١] موادّ الثمار، ويتكثّف[٢] الهواء فينشأ منه السحاب والمطر، وتشتدّ أبدان الحيوان وتقوى.

وفي الربيع تتحرّك وتظهر المواد المتولّدة في الشتاء، فيطلع النبات، وتُنَوِّرُ[٣] الأشجار، ويَهيجُ الحيوان للسفاد.

وفي الصيف يحتدم الهواء فتنضج الثمار، وتتحلّل فضول الأبدان، ويجفّ وجه الأرض، فتتهيّأ[٤] للبناء والأعمال.

وفي الخريف يصفو الهواء، وترتفع الأمراض، وتصحّ الأبدان، ويمتدّ الليل فتمكن فيه بعض الأعمال لطوله، ويطيب الهواء فيه، إلى[٥] مصالح أُخرى لو تَقَصَّيْتُ لِذِكْرِها لطال فيها[٦] الكلام.

[معرفة الأزمنة والفصول الأربعة عن طريق حركة الشمس]

فكّر الآن في تنقّل الشمس في البروج الاثني عشر لإقامة دور السنة وما في ذلك

---

(١) في «ج»: فيها، وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

(٢) في «أ» «ب» «ج»: ويستكثف.

(٣) في «ج»: وتثور، وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

(٤) في «ب» «ن»: فتهيّأ.

(٥) في «أ»: «وفيه» بدل «فيه إلى».

(٦) في «ج»: «فيه»، وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

من التدبير، فهو الدور الذي تصحّ به الأزمنة الأربعة من السنة ـ الشتاء والربيع والصيف والخريف ـ و[١] يستوفيها[٢] على التمام، وفي هذا المقدار من دوران الشمس تدرك الغلّات والثمار، وتنتهي إلى غاياتها[٣] ثمّ تعود[٤] فتستأنف[٥] النشوء والنموّ.

ألا ترى أنّ السنة مقدار مسير الشمس من الحمل إلى الحمل، فبالسنة وأخواتها يكال الزمان من لدن خلق الله تعالى العالم إلى كلّ وقت وعصر من غابر الأيّام، وبها يحسب الناس الأعمار والأوقات الموقتة للديون والإجارات والمعاملات، وغير ذلك من أُمورهم، وبمسير الشمس تكمل السنة، ويقوم حساب الزمان على الصحّة.

انظر إلى شروقها[٦] على العالم كيف دبّر أن يكون؟ فإنّها لو كانت تبزغ في موضع من السماء فتقف لا تعدوه لما وصل شعاعها ومنفعتها إلى كثير من الجهات، لأنّ الجبال والجدران كانت تحجبها عنها، فجعلت تطلع في[٧] أوّل النهار من المشرق فتشرق على ما قابلها من وجه المغرب، ثمّ لا تزال تدور وتغشى جهة بعد جهة، حتّى تنتهي إلى المغرب، فتشرق على ما استتر عنها في أوّل النهار، فلا يبقى موضع

---

(١) الواو ليست في «أ» «ن».
(٢) في «ن»: تستوفيها.
(٣) في جميع النسخ: غاياتهم. والمثبت من عندنا.
(٤) في «ج»: يعود.
(٥) في «ب» «ج» «ن»: فيستأنف.
(٦) في «ب» «ج»: بزوغها.
(٧) ليست في «ن».

من المواضع إلّا أخذ بقسطه من المنفعة منها[١]، والأَرَب التي قدّرت له، ولو تخلّفت مقدار عام أو بعض عام كيف كان يكون حالهم؟ بل كيف كان يكون لهم مع ذلك بقاء؟ أفلا ترى كيف كُفِيَ الناس[٢] هذه الأُمور الجليلة التي لم تكن عندهم فيها حيلة، فصارت تجري على مجاريها لا تَعْتَلُّ[٣] ولا تتخلّف عن مواقيتها لصلاح العالم وما فيه بقاؤه.

[الاستدلال بالقمر في معرفة الشهور]

استدِلَّ بالقمر ففيه دلالة جليلة تستعملها العامّة في معرفة الشهور، ولا يقوم عليه حساب السنة؛ لأنّ دوره لا يستوفي الأزمنة الأربعة ونشوء الثمار وتصرّمها، ولذلك صارت شهور القمر وسنوّه تتخلف عن شهور الشمس وسنيّها[٤]، وصار الشهر من شهور القمر ينتقل، فيكون مرّة بالشتاء ومرّة بالصيف.

[ضوء القمر وما فيه من المنافع]

فكّر في إنارته في ظلمة الليل والأَرب في ذلك، فإنّه مع الحاجة إلى الظلمة لهدوء[٥] الحيوان، وبرد الهواء على النبات، لم يكن صلاح في أن يكون الليل ظلمة

---

(١) في «ج»: فيها. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

(٢) في «ب»: أفلا يرى الناس كيف هذه. وفي «ج»: كيف كُفي الناس من هذه. وفي «ن»: كيف كان يكون للناس هذه.

(٣) في «ن»: لا تفتل.

(٤) في «ج»: وسنينها. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

(٥) في «أ» «ب»: لهَدْء.

داجية لا ضياء فيها، فلا يمكن فيه شيء من العمل، لأنّه ربّما احتاج الناس إلى العمل بالليل، لضيق الوقت عليهم في بعض[(١)] الأعمال في النهار، أو[(٢)] لشدّة الحرّ وإفراطه، فيعمل في ضوء القمر أعمالاً شتّى كحرث الأرض، وضرب اللِّبْن، وقطع الخشب، وما أشبه ذلك، فجُعِل ضوء القمر معونة للناس على معائشهم إذا احتاجوا إلى ذلك، وأُنساً للسائرين بالليل[(٣)]. وجعل طلوعه في بعض الليل دون بعض، ونقص مع ذلك عن نور الشمس وضيائها لكيلا ينبسط الناس في العمل انبساطهم بالنهار، ويمتنعوا من الهدوء[(٤)] والقرار، فيهلكهم ذلك.

وفي تصرّف القمر خاصّة في تَهَلُّلِهِ[(٥)] ومحاقه وزيادته ونقصانه وخُسُوفه[(٦)]، من التنبيه على قدرة الله[(٧)] خالقه المصرّف له هذا التصريف[(٨)] لصلاح العالم ما يعتبر[(٩)] به المعتبرون.

[النجوم واختلاف مسيرها والسبب في أنّ بعضها راتبة والأُخرى متنقّلة]

فكّر يا مفضّل في النجوم واختلاف مسيرها[(١٠)]، فبعضها لا تفارق مراكزها من

---

(١) في «ب»: في تقضّي. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

(٢) في «ن»: ولشدّة.

(٣) ليست في «أ» «ب» «ن». وأُدخلت في متن «ج» عن نسخة.

(٤) في «أ» «ب»: الهَدْء.

(٥) في «ب» «ج» «ن»: مهله. والمثبت عن «أ» ونسختي بدل من «ب» «ج».

(٦) في «ب» «ن»: وكسوفه.

(٧) أدخل لفظ الجلالة في متن «ج» عن نسخة.

(٨) في «ج»: المتصرّف له هذا التصرّف. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

(٩) بعد قوله فيما سبق «بهذا اللون الأخضر إلى السواد وليمسك الأبصار المتقلبة» إلى هنا ساقط من «د».

(١٠) في «ج»: سيرها. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

الفلك، ولا تسير إلّا مجتمعة، وبعضها مطلقة تنتقل في البروج وتفترق في مسيرها، فكلّ واحد منها[١] يسير سيرين مختلفين: أحدهما عام مع الفلك نحو المغرب، والآخر خاصّ لنفسه نحو المشرق؛ كالنملة التي تدور على الرحى، فالرحى تدور ذات اليمين، والنملة تدور ذات الشمال[٢]، والنملة في تلك[٣] الحال[٤] تتحرّك حركتين مختلفتين: إحداهما بنفسها فتتوجّه أمامها، والأُخرى مستكرهة مع الرحى تجذبها إلى خلفها.

فاسأل الزاعمين أنّ النجوم صارت على ما هي عليه بالإهمال، من غير عمد ولا صانع لها، ما منعها أن تكون كلّها راتبة أو تكون كلّها منتقلة؟[٥] فإنّ الإهمال معنى واحد، فكيف صار يأتي بحركتين مختلفتين على وزن وتقدير؟ ففي هذا بيان أنّ مسير الفريقين على ما يسيران عليه بعمد وتدبير وحكمة وتقدير، وليس بإهمال كما تزعم المعطّلة.

فإن قال قائل: ولِمَ صار بعض النجوم راتباً وبعضها منتقلاً؟

قلنا: إنّها لو كانت كلّها راتبة لبطلت الدلالات[٦] التي يستدلّ بها من تنقّل المنتقلة، ومسيرها في كلّ برج من البروج، كما قد[٧] يستدلّ بها[٨] على أشياء ممّا

---

(١) في «د»: منهما. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

(٢) في نسخة بدل من «ج»: اليسار.

(٣) في «ن»: ذلك.

(٤) ليست في «أ» «ب» «ج» «ن».

(٥) في «أ» «ب»: متنقّلة، وفي نسخة بدل من «ب» كالمثبت. وكذا في سائر الموارد الآتية.

(٦) في «د»: الآلات.

(٧) ليست في «ن».

(٨) ليست في «ب» «ج».

يحدث في العالم، بتنقّل الشمس والنجوم في منازلها، ولو كانت كلّها منتقلة لم يكن لمسيرها منازل تعرف، ولا رسم يوقف عليه، لأنّه إنّما يوقف عليه[١] بمسير المنتقلة[٢] منها بتنقّلها في البروج الراتبة كما يستدلّ على سير السائر على الأرض بالمنازل التي يجتاز عليها، أو لو[٣] كان تنقّلها بحال واحدة[٤] لاختلّ[٥] نظامها، وبطلت المآرب فيها، ولساغ[٦] لقائلٍ أن يقول أنّ كينونتها[٧] على حال واحدة توجب عليها الإهمال من الجهة التي وصفنا، ففي اختلاف سيرها وتصرّفها وما في ذلك من المآرب والمصلحة، أبينُ دليل على العمد والتدبير فيها.

[فوائد بعض النجوم]

فكّر في هذه النجوم التي تظهر في بعض السنة وتحتجب في بعضها ـ كمثل الثريّا والجوزاء والشعريين وسهيل ـ فإنّها لو كانت بأسرها تظهر في وقت واحد لم يكن لواحد منها[٨] على حياله دلالات يعرفها الناس، ويهتدون بها لبعض أُمورهم، كمعرفتهم[٩] الآن بما يكون من طلوع الثور والجوزاء إذا طلعت، واحتجابها إذا

---

(١) ليست في «ب» «د». وأدخلت في متن «ج» عن نسخة.

(٢) في «أ» «ب»: المتنقّلة. وفي نسخة بدل من «ب» كالمثبت. وفي «ج»: المنقّلة.

(٣) في «أ» «ج» «د»: «ولو» بدل «أو لو».

(٤) في «ن»: واحد.

(٥) في «أ» «ب» «ج» «ن»: لاختلط.

(٦) في «أ» ونسخة بدل من «ج»: ويساغ.

(٧) في «ب» «د»: كينونيّتها، وفي نسخة بدل من «ب» كالمثبت.

(٨) في جمع النسخ: فيها. والمثبت عن نسخة بدل من «د».

(٩) في نسخة بدل من «ج»: كمعرفةِ.

احتجبت، فصار ظهور كلّ واحد واحتجابه في وقتٍ غير وَقْتِ[١] الآخر، لينتفع الناس بما يدلّ عليه كلّ واحد منها على حدته.

وكما[٢] جعلت الثريّا وأشباهها تظهر حيناً وتحتجب[٣] حيناً[٤] لضرب من المصلحة، كذلك[٥] جعلت بنات نعش ظاهرة لا تغيب لضرب آخر من المصلحة؛ فإنّها بمنزلة الأعلام التي يهتدي بها الناس في البرّ والبحر للطرق المجهولة؛ وذلك[٦] أنّها لا تغيب ولا تتوارى فهم ينظرون إليها متى أرادوا أن يهتدوا بها إلى حيث شاؤوا ـ وصار الأمران جميعاً على اختلافهما موجّهين نحو الأَرَب والمصلحة ـ وفيها[٧] مآرب أُخرى علامات ودلالات على أوقات كثيرة من الأعمال كالزراعة والغراس والسفر في البرّ والبحر، وأشياء ممّا يحدث في الأزمنة من الأمطار والرياح والحرّ والبرد، وبها يهتدي السائرون في[٨] ظلمة الليل، لقطع القفار الموحشة واللجج الهائلة، مع ما في تردّدها في كبد السماء مقبلةً ومدبرةً ومشرِّقةً ومغرِّبةً من العبر، فإنّها تسير أسرع السير وأحثّه.

أرأيت لو كانت الشمس والقمر والنجوم بالقرب منّا، حتّى تتبيّن لنا سرعة سيرها بكنه ما هي عليه، ألم تكن ستخطف[٩] الأبصار بوهجها وشعاعها، كالذي

---

(١) في «ب» «جـ» «ن»: الوقت. والمثبت عن «أ» «د» ونسخة بدل من «جـ».

(٢) في «ن»: وما.

(٣) في «أ» «ب» «جـ» «د»: وتحجب. والمثبت عن «ن» ونسخة بدل من «د».

(٤) في «ن»: حيناً إلّا لضرب.

(٥) في «أ» «ن»: وكذلك.

(٦) في «ن»: وكذلك.

(٧) في «أ» «ن»: وفيهما.

(٨) في «د»: على. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

(٩) في «ن»: تستخطف.

يحدث أحياناً من البروق إذا توالت واضطرمت في الجوّ؟ وكذلك أيضاً لو أنّ أُناساً كانوا في قبّة مكلّلة بمصابيح تدور حولهم دوراناً حثيثاً لحارت[١] أبصارهم حتّى يخرّوا لوجوههم.

فانظر كيف قُدِّر أن يكون مسيرها في[٢] البعد البعيد لكيلا تضرّ في الأبصار وتنكأ فيها، وبأسرع السرعة لكيلا تتخلّف عن مقدار الحاجة في مسيرها، وجُعِلَ فيها جزءٌ يسيرٌ من الضوء، ليسدّ[٣] مسدّ الأضواء إذا لم يكن قمر، وتمكن فيه الحركة إذا حدثت ضرورة، كما قد يحدث الحادث على المرء فيحتاج إلى النَّجاء في[٤] جوف الليل، فإن[٥] لم يكن شيء من الضوء يهتدي به لم يستطع أن يبرح مكانه.

فتأمّل اللطف والحكمة في هذا التقدير، حين جُعِلَت للظلمة[٦] دولةٌ ومدّةٌ لحاجةٍ[٧] إليها، وجُعِلَ خلالها شيءٌ من الضوء للمآرب التي وصفنا.

[الشمس والقمر والنجوم والبروج تدلّ على الخالق]

فكّر في هذا الفلك بشمسه وقمره ونجومه وبروجه؛ تدور على العالم هذا الدورانَ الدائم بهذا التقدير والوزن، لما[٨] في اختلاف الليل والنهار ـ وهذهِ الأزمانِ الأربعة

---

(١) في «ج»: طارت. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.
(٢) في «د»: من. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.
(٣) في «ج» «د»: يسدّ.
(٤) في «أ»: إلى التجافي جوف. وفي «ب» «ن»: إلى التجافي في جوف. وفي «ج»: إلى التجاءٍ في جوف.
(٥) في «ب»: وإن.
(٦) في نسختي بدل من «أ» «ج»: الظلمة.
(٧) في «د»: الحاجة. وأُدخلت الألف فيها عن نسخة.
(٨) في «ج»: والوزن إلّا لما.

المتوالية[١] ـ من التنبيه على الأرض وما عليها من أصناف الحيوان والنبات من ضروب المصلحة، كالذي بيّنت وشخّصت[٢] لك آنفاً. وهل يخفى على ذي لبّ أنّ هذا تقدير مقدّر وصواب وحكمة من مقدّر حكيم؟

فإن قال قائل: إنّ هذا شيء اتفق أن يكون هكذا؟ فما منعه أن يقول[٣] مثل هذا في دولاب يراه يدور ويسقي حديقة فيها شجر ونبات، فيرى كلّ شيء من آلاته[٤] مقدّراً بعضه يلقى بعضاً على ما فيه صلاح تلك الحديقة وما فيها؟ وبم كان يثبت هذا القول لو قاله؟ وما ترى الناس كانوا قائلين له لو سمعوه منه؟ أفينكر أن يقول في دولاب خشب[٥] مصنوع بحيلة قصيرة لمصلحةِ قطعةٍ من الأرض أنّه كان بلا صانع ومقدِّر، ويقدر أن يقول في[٦] هذا الدولاب الأعظم، المخلوق بحكمة تقصر عنها أذهان البشر، لصلاح جميع الأرض وما عليها أنّه شيءٌ اتفق أن يكون بلا صنعة ولا تقدير؟ لو اعتلّ هذا الفلك ـ كما تعتلّ الآلات التي تتخذ للصناعات وغيرها ـ أيّ شيء كان عند الناس من الحيلة في إصلاحه؟

[مقادير الليل والنهار]

فكّر يا مفضّل في مقادير النهار والليل، كيف وقعت[٧] على ما فيه صلاح هذا

---

(١) ليست في «أ» «ج» «د»، وأدخلت في متن «ب» وكتب فوقها: ظ ل.
(٢) في نسخة بدل من «ب»: ولخّصت.
(٣) في «د»: يكون. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.
(٤) في «ب» «د»: آلته.
(٥) في «ج» ونسخة بدل من «ب»: خسيس. وفي نسخة بدل من «ج» كالمثبت.
(٦) ليست في «ج».
(٧) في «ج»: وقفت. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

الخلق فصار منتهى كلّ واحد منهما ـ إذا امتدّ ـ إلى خمس عشرة ساعة لا يجاوز ذلك؟

أفرأيت لو كان النهار يكون مقداره مائة ساعة أو مائتي ساعة؟ ألم يكن في ذلك بوار كلّ ما في الأرض من حيوان ونبات؟ أمّا الحيوان فكان لا يهدأ ولا يقرّ طول هذه المدّة، ولا البهائم كانت تمسك عن الرعي لو دام لها ضوء النهار، ولا الإنسان كان يفتر عن العمل والحركة، وكان ذلك سيهلكها[1] أجمع، ويؤدّيها إلى التلف، وأمّا النبات فكان يطول عليه حرّ النهار ووهج الشمس حتّى يجفّ ويحترق.

وكذلك الليل لو امتدّ مقدار هذه المدّة كان يعوق أصناف الحيوان عن الحركة والتصرّف في طلب المعاش، حتّى تموت جوعاً، وتخمد[2] الحرارة الطبيعيّة في[3] النبات، حتّى يعفن ويفسد، كالذي تراه يحدث على النبات إذا كان في موضع لا تطلع عليه الشمس.

[الحرّ والبرد وفوائدهما]

اعتبر بهذا الحرّ والبرد كيف يتعاوران[4] العالم، ويتصرّفان هذا التصرّف ـ في[5] الزيادة والنقصان والاعتدال لإقامة هذه الأزمنة الأربعة من السنة ـ وما فيهما من

---

(١) في «جـ» ونسخة بدل من «ب»: سينهكها. وفي «ن»: ينهكها.

(٢) في «جـ»: وتجمد. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

(٣) في «ن»: عن.

(٤) في «جـ»: يتعاودان. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

(٥) في «ب»: من.

المصالح، ثمّ هما بعدُ دباغ الأبدان التي عليهما[١] بقاؤها وفيهما[٢] صلاحها، فإنّه لولا الحرّ والبرد وتداولهما الأبدان لفسدت وأخوت[٣] وانتكثت.

فكّر في دخول أحدهما على الآخر بهذا التدريج[٤] والترسّل، فإنّك ترى أحدهما ينقص شيئاً بعد شيء، والآخر يزيد مثل ذلك، حتّى ينتهي كلّ واحد منهما منتهاه في الزيادة والنقصان، ولو كان دخول أحدهما على الآخر[٥] مفاجأة، لأضرّ ذلك بالأبدان وأسقمها، كما أنّ أحدكم لو خرج من حمّام حار إلى موضع مفرط[٦] البرودة، لضرّه ذلك وأسقم بدنه، فلِمَ جعل[٧] الله عزّوجلّ هذا الترسّل في الحرّ والبرد إلّا للسلامة من ضرر المفاجأة، ولِمَ جرى الأمر على ما فيه السلامة من ضرر[٨] المفاجأة لولا التدبير في ذلك؟

فإن زعم زاعم[٩] أنّ هذا الترسّل في دخول الحرّ والبرد إنّما يكون لإبطاء مسير الشمس في الارتفاع والانحطاط[١٠]، سُئل عن العلّة في إبطاء مسير الشمس في ارتفاعها وانحطاطها، فإن اعتلّ في الإبطاء ببعد ما بين المشرقين، سُئل عن العلّة في

---

(١) في «ب» «د» «ن»: عليها.

(٢) في «ب»: وفيها.

(٣) في «ج» ونسخة بدل من «ب»: وخمدت. وفي نسخة بدل من «ج» كالمثبت.

(٤) في «ج»: الترويح. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

(٥) في «أ» «ب» «د» ونسخة بدل من «ج»: إحداهما على الأخرى.

(٦) ليست في «أ» «ب» «ج» «ن».

(٧) في «ن»: يجعل.

(٨) في «ب»: ضرّ. وفي «د»: ضرورة.

(٩) في «ب»: فإن زعم زاعم في ذلك أنّ هذا.

(١٠) في «ن»: في ارتفاعها وانحطاطها.

ذلك، فلا تزال هذه المسألة ترقى معه إلى حيث رقى من هذا القول، حتّى استقرّ على العمد والتدبير.

لولا الحرّ لما كانت الثمار الجاسية[1] المرّة تنضج فتَلِين وتَعْذُب، حتّى يتفكّه بها رطبةً ويابسةً.

ولولا البرد[2] لما كان الزرع يفرخ هكذا[3]، ويريع الريع الكثير الذي يتّسع للقوت، وما يردّ في الأرض للبذر.

أفلا ترى ما في الحرّ والبرد من عظيم الغناء[4] والمنفعة، وكلاهما مع غنائه[5] والمنفعة فيه يؤلم الأبدان ويمضّها، وفي ذلك عبرة لمن فكّر، ودلالة على أنّه من تدبير الحكيم في مصلحة العالم وما فيه.

[الريح وما فيها]

وأُنبّهك يا مفضّل على الريح وما فيها، ألست ترى ركودها إذا ركدت كيف يُحدِثُ الكرب، الذي يكاد أن يأتي على النفوس، ويمرض[6] الأصحّاء، وينهك المرضى، ويفسد الثمار، ويعفّن البقول، ويعقب الوباء في الأبدان، والآفة في الغلّات، ففي هذا بيان أنّ هبوب الريح من تدبير الحكيم في صلاح الخلق.

---

(١) في «ج»: الجاسئة. وكلّ صحيح، فإنّه مهموز مقصور.

(٢) في «أ»: ولو لا كان البرد.

(٣) ليست في «أ» «ج»، وأدخلت في متن «ب» عن نسخة.

(٤) في «أ» «ج» «د»: العناء. و في نسخة بدل من «ج» كالمثبت.

(٥) في «د»: عنائه.

(٦) في «أ» «ج»: ويُخْرِض. وفي «ب» «د»: ويُحرّض. والمثبت عن «ن» ونسخة بدل من «د».

[الهواء والأصوات]

وأُنبئك عن الهواء بخلّة أُخرى، فإنّ الصوت أثر يؤثّره اصطكاك الأجسام في الهواء، والهواءُ يؤدّيه إلى المسامع، والناس يتكلّمون في حوائجهم ومعاملاتهم طول نهارهم وبعض ليلهم، فلو كان أثر هذا الكلام يبقى في الهواء، كما يبقى الكتاب[١] في القرطاس، لامتلأ العالم منه، فكان[٢] يكربهم ويفدحهم[٣]، وكانوا[٤] يحتاجون في تجديده والاستبدال به إلى أكثر ممّا يُحتاج إليه في تجديد القراطيس، لأنّ ما يُلقى[٥] من الكلام أكثر ممّا يكتب، فجعل الخلّاقُ الحكيم جلّ قدسه هذا الهواء قرطاساً خفيّاً يحمل الكلام ريثما يبلغ العالم حاجتهم، ثمّ يمحى فيعود جديداً نقيّاً، ويحمل ما حمل أبداً بلا انقطاع[٦].

وحسبك بهذا[٧] النسيم المسمّى هواء عبرة، وما فيه من المصالح، فإنّه حياة هذه الأبدان والممسك لها؛ من داخلٍ بما يستنشق[٨] منه، و[٩]من خارج بما يُباشَر[١٠] من

---

(١) في «أ» ونسخة بدل من «ج»: تبقى الكتابة.

(٢) في «د»: وكان.

(٣) في «د»: ويقدحهم.

(٤) في «د»: فكانوا.

(٥) في «ن»: ما يلفظ.

(٦) في نسخة بدل من «ج»: «بالانقطاع» بدل «بلا انقطاع».

(٧) في «ج»: هذا.

(٨) في «ب» «ج»: تستنشق.

(٩) الواو ليست في «ن».

(١٠) في «أ» «ب» «ج» «د»: تباشر.

رَوْحه. وفيه تطّرد هذه الأصوات فيؤدّي بها من[١] البُعدِ البعيدُ. وهو الحامل لهذه الأرابيح[٢] ينقلها من موضع إلى موضع، ألا ترى كيف تأتيك الرائحة من حيث تهب الريح، فكذلك الصوت. وهو القابل لهذا الحرّ والبرد، اللذين يعتقبان[٣] على العالم لصلاحه. ومنه هذه الريح الهابة.

فالريح تروّح عن[٤] الأجسام، وتزجي السحاب من موضع إلى موضع ـ ليعمّ نفعه، حتّى يستكثف فيمطر، وتفضه[٥] حتّى يستخفّ فيتفشّى ـ وتُلَقِّح الشجر[٦]، وتُسيِّر السفن، وتُرخِي[٧] الأطعمة، وتبرِّد الماءَ، وتُشِبُّ النارَ، وتجفّف الأشياء النديّة، وبالجملة إنّها تحيي كلّ ما في الأرض.. فلولا[٨] الريح لذوى النبات، ومات[٩] الحيوان، وحُمَّتِ الأشياءُ وفسدت.

[هيئة الأرض]

فكّر يا مفضّل فيما خلق الله عزّ وجلّ عليه هذه الجواهر الأربعة ليتّسع ما يُحتاجُ

---

(١) قوله «بها من» ليس في «ن». وفي «ب»: فيؤدّى بها من البُعدِ البعيدِ.

(٢) في «ن»: الارواح.

(٣) في «ن»: يتعاقبان.

(٤) في «د»: على. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

(٥) في «ج»: وبعضه. وفي نسخة بدل منها: ويغضه. وفي نسخة بدل أخرى منها: ونغضه. وفي «د»: وبَغَضَهُ. ووضع الناسخ فوقها ثلاث نقط ∴ علامة على أنّه لم يفهمها.

(٦) في «ج»: الشجرة.

(٧) في «ج»: وتُربّي.

(٨) في «ج»: ولولا.

(٩) في «د»: فمات. وفي «ن»: ولَمات.

إليه منها[١].. فمن ذلك سعة هذه الأرض وامتدادها، فلولا ذلك كيف كانت تتّسع لمساكن الناس ومزارعهم ومراعيهم ومنابت أخشابهم[٢] وأحطابهم، والعقاقير العظيمة، والمعادن الجسيم[٣] غناؤها.

ولعلّ من ينكر هذه الفلوات الخاوية[٤] والقفار الموحشة، فيقول: ما المنفعة فيها؟ فهي مأوى هذه الوحوش ومحالّها ومراعيها[٥]، ثمّ فيها بعد مُتَنَفَّسٌ[٦] ومضطربٌ للناس إذا احتاجوا إلى الاستبدال بأوطانهم، فكم بيداء وكم فدفد حالت قصوراً وجناناً[٧]، بانتقال الناس إليها وحلولهم فيها، ولولا سعة الأرض وفسحتها لكان الناس كمن هو في حصار ضيّق لا يجد مندوحة عن[٨] وطنه إذا حَزَبَهُ[٩] أمر يضطرّه إلى الانتقال عنه.

ثمّ فكّر في خلق هذه الأرض على ما هي عليه حين خلقت راتبة راكنة، فتكون موطناً[١٠] مستقرّاً للأشياء، فيتمكّن الناس من السعي عليها في[١١] مآربهم،

---

(١) في نسخة بدل من «ج»: ليتّسع إليه ما يحتاج منها.

(٢) في «ج» ونسخة بدل من «ب»: أعشابهم. وفي نسخة بدل من «ج» كالمثبت.

(٣) في «ب» «ج» «د»: الجسيمة.

(٤) في نسخة بدل من «ج»: الخالية.

(٥) في «ب» «ج» «د»: ومرعاها.

(٦) في «ن»: تَنَفُّس. وفي نسخة بدل من «ج»: مُنْتَشَرٌ.

(٧) في «ج»: وخبايا. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

(٨) في نسخة بدل من «ج»: في.

(٩) في «ب» «ن» ونسخة بدل من «ج»: أحزنه. وفي «ج» ونسخة بدل من «ب»: حزنه. وفي «د»: أحزبه. وفي نسخة بدل أخرى من «ج» كالمثبت.

(١٠) في «ج»: موطئاً. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

(١١) في نسخة بدل من «ج»: من.

والجلوس عليها لراحتهم، والنوم لهدوئهم[١]، والاتقان لأعمالهم، فإنّها لو كانت رجراجة منكفئة[٢]، لم يكونوا يستطيعون أن يتقنوا البناء والنجارة والصناعة[٣] وما أشبه ذلك، بل كانوا لا يتهنّؤون بالعيش والأرض ترتجّ من تحتهم، واعتبر ذلك بما يصيب الناس حين[٤] الزلازل ـ على قلّة مكثها ـ حتّى يصيروا إلى ترك منازلهم، والهرب[٥] عنها.

فإن قال قائل: فلم صارت هذه الأرض تزلزل؟

قيل له: إنّ الزلزلة وما أشبهها موعظة وترهيب يُرَهَّب بها الناس ليرعووا، وينزعوا عن المعاصي، وكذلك ما ينزل بهم من البلاء في أبدانهم وأموالهم، يجري في التدبير على ما فيه صلاحهم واستقامتهم، ويدّخر[٦] لهم إن صلحوا من (الثواب و)[٧] العوض في الآخرة ما لا يعدله شيء من أُمور الدنيا، وربّما عجّل ذلك في الدنيا إذا كان ذلك في الدنيا[٨] صلاحاً للعامّة والخاصّة.

ثمّ إنّ الأرض ـ في طباعها الذي طبعها الله عليه[٩] ـ باردة يابسة، وكذلك الحجارة، وإنّما الفرق بينها وبين الحجارة فضل يبس في الحجارة، أفرأيت لو أنّ

---

(١) في «أ»: لهدئهم.
(٢) في «أ»: متكفّئة.
(٣) في «ب» «ج»: والصياغة.
(٤) في «ج» «د»: في. وفي نسختي بدل منهما كالمثبت.
(٥) في «أ» «د»: والمهرب.
(٦) في «د»: ويذخر.
(٧) ليست في «أ».
(٨) قوله «في الدنيا» ليس في «أ» «ج» «د».
(٩) أدخلت في متن «د» عن نسخة بدلٍ.

اليبس أفرط على الأرض قليلاً، حتّى تكون حجراً صلداً، أكانت تُنْبِتُ هذا النبات الذي به حياة الحيوان؟ وكان يمكن بها حرث أو بناء؟ أفلا ترى كيف نقصت[١] من يبس الحجارة وجعلت على ما هي عليه من اللين والرخاوة لتتهيّأ[٢] للاعتماد؟

[فوائد الماء والسبب في كثرته]

ومن تدبير الحكيم جلّ وعلا في خلقة الأرض أنّ مهبّ الشمال أرفع من مهبّ الجنوب، فلِمَ جَعَلَـ[ـها][٣] الله عزّ وجلّ كذلك إلّا لتنحدر المياه[٤] على وجه الأرض فتسقيها وترويها، ثمّ تفيض[٥] آخر ذلك إلى البحر[٦]، فكما[٧] يُرفَع أحد جانبي السطح، ويُخفَضُ الآخر لينحدر الماء عنه ولا يقوم عليه، كذلك جُعِلَ مهبّ الشمال أرفع من مهب الجنوب لهذه العلّة بعينها، ولولا ذلك لبقي الماء متحيّراً على وجه الأرض، فكان[٨] يمنع الناس من اعتمالها[٩]، ويقطع الطرق والمسالك.

ثمّ الماء لولا كثرته وتدفّقه في العيون والأودية والأنهار، لضاق عمّا يحتاج إليه الناس، لشربهم وشرب أنعامهم ومواشيهم، وسقي زروعهم وأشجارهم وأصناف

---

(١) في «أ» «ب» «د» ونسخة بدل من «ج»: تُنْصَب.

(٢) في «أ» «ب» «ج» «د»: وليتهيّأ.

(٣) من عندنا.

(٤) في «د»: إلّا ليُحدر الماء على وجه الأرض ويسقيها ويرويها.

(٥) في «ب» «د» ونسخة بدل من «ج»: يفيض. وفي متن «ج»: يغيض.

(٦) في «ن»: البحار.

(٧) في «ب» «د»: فكأنّما. وفي نسخة بدل مصحّحة من «ب»: فكلّما. وفي «ج»: وكما.

(٨) في «أ» «ج»: وكان.

(٩) في «ب» «ن»: أعمالها. والمثبت عن «أ» «ج» «د» ونسخة بدل من «ب».

غلّاتهم، وشرب ما يرده من الوحوش[١] والطير والسباع، وتتقلّب فيه الحيتان ودوابّ الماء.

وفيه منافع أُخر أنت بها غير[٢] عارف، وعن عظيم[٣] موقعها غافل، فإنّه ـ سوى[٤] الأمر الجليل المعروف من عظيم[٥] غنائه في إحياء جميع ما على الأرض من الحيوان والنبات ـ يُمزجُ بالأشربة[٦] فتلين[٧] وتطيب لشاربها، وبه تُنَظَّفُ الأبدان والأمتعة من الدرن الذي يغشاها، وبه يُبَلُّ التراب فيصلح للاعتمال[٨]، وبه تُكفُّ عادية النار إذا اضطرمت، وأشرف الناس على المكروه، (وبه يسيغ الغَصّانُ ما غَصّ به، فينجو به[٩] من الموت[١٠])[١١]، وبه يستحمّ المتعب الكالّ فيجد الراحة من أوصابه، إلى أشباه هذا من المآرب التي تَعرِفُ عظم موقعها في وقت الحاجة إليها.

فإن شككت في منفعة هذا الماء الكثير المتراكم في البحار، وقلت: ما الأرَبَ[١٢] فيه؟

---

(١) في «أ» «ج» «د»: الوحش.
(٢) ليست في «أ» «ب» «ن».
(٣) في «أ» «ب» «د» ونسخة بدل من «ج»: عِظَم.
(٤) في «أ» «ج» «د»: فإنّه ما سوى.
(٥) ليست في «ب» «ج» «د».
(٦) في جميع النسخ: الأشربة. والمثبت عن استظهارٍ في هامش «ب».
(٧) في «ن»: فتلذّ.
(٨) في «ن»: للأعمال.
(٩) عن «د» فقط.
(١٠) في «أ» «ج»: الغُصّات.
(١١) ليست في «ب» «ن».
(١٢) في «أ»: المآرب.

فاعلم أنّه مُكْتَنَفُ[١] ومُضْطَرَبُ ما لا يُحصى من أصناف السمك ودوابّ البحر ومعدن اللؤلؤ والياقوت والعنبر، وأصناف شتّى تُستخرج من البحر، وفي سواحله منابت العود اليلنجوج، وضروب من الطيب والعقاقير، ثمّ هو بعدُ مَركَبُ للناس[٢]، ومحمل لهذه التجارات التي تُجْلَب من البلدان البعيدة، كمثل ما يجلب من الصين إلى العراق، ومن العراق إلى الصين[٣]، فإنّ هذه التجارات لو لم يكن لها محمل إلّا الظهر[٤] لبارت وبقيت في بلدانها وأيدي أهلها، لأنّ أجر حملها[٥] كان[٦] يجاوز أثمانها، فلا يتعرّض أحد لحملها، وكان يجتمع في ذلك أمران: أحدهما فَقْدُ أشياء كثيرة تعظم الحاجة إليها، والآخر انقطاع معايش[٧] من يحملها ويتعيّش بفضلها.

[فوائد الهواء والسبب في كثرته]

وهكذا الهواء لولا كثرته وسعته لاختنق هذا الأنام من الدخان والبخار الذي يتحيّر[٨] فيه، ولَعَجَزَ[٩] عمّا يحول إلى السحاب والضباب أولاً أولاً، وقد تقدّم من صفته ما فيه كفاية.

---

(١) في «ج»: مكشوف مضطرب. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

(٢) في «ج» «د»: مركبُ الناس.

(٣) في «أ» «ب» «ج»: ومن العراق إلى العراق. وشرحها في «أ»: أي من البصرة إلى الكوفة.

(٤) في «أ» «ب» «د» «ن»: إلّا على الظهر.

(٥) في «ج»: محملها. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

(٦) ليست في «ن».

(٧) في «ب» «ن»: معاش.

(٨) في «ج»: يتحيّز.

(٩) في جميع النسخ: ويعجز. والمثبت عن نسخة بدل من «ب».

[منافع النار وجعلها كالمخزونة في الأجسام]

والنار أيضاً كذلك، فإنّها لو كانت[١] مبثوثة كالنسيم والماء كانت تحرق العالم وما فيه، ولمّا[٢] لم يكن بدّ من ظهورها في الأحايين، لغنائها في كثير من المصالح، جعلت[٣] كالمخزونة في الأجسام[٤]، تُلتَمس[٥] عند الحاجة إليها، وتُمسَك بالمادة والحطب ما احتيج إلى بقائها لئلّا تخبو، فلا هي تُمسَكُ بالمادة والحطب فتعظم المؤونة في ذلك، ولا هي تظهر مبثوثة فتحرق كلّ ما هي فيه، بل هي على تهيئة وتقدير، اجتمع فيها الاستمتاع بمنافعها والسلامة من ضررها.

ثمّ فيها خَلَّةٌ أُخرى، وهي أنّها ممّا خُصّ به[٦] الإنسان دون جميع الحيوان لما له فيها[٧] من المصلحة، فإنّه[٨] لو فَقَدَ النارَ لعَظُمَ ما يدخل عليه من الضرر في معاشه؛ فأمّا البهائم فلا تستعمل النار، ولا تستمتع بها، ولمّا قدّر الله عزّ وجلّ أن يكون هذا هكذا، خلق للإنسان كفّاً وأصابع مُهيّأة لقدح النار واستعمالها، ولم يُعطِ البهائم مثل ذلك، لكنّها أُعينت بالصبر على الجفاء والخلل في المعاش لكيلا ينالها في فقد النار ما ينال الإنسان عند فقدها[٩].

---

(١) في «أ» «ج»: «لو لم تكن» بدل «لو كانت».

(٢) «لمّا» ليست في «أ» «ب» «ج» «د».

(٣) في «أ» «ب» «ج» «د»: فجعلت.

(٤) في «ب» «د»: الأخشاب. وفي نسختي بدل منهما كالمثبت.

(٥) في «أ» «ن»: فتلتمس.

(٦) في «ن»: بها.

(٧) في «ج»: فيه. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

(٨) في نسخة بدل من «ج»: لأنّه.

(٩) قوله «عند فقدها» ليس في «أ» «ب» «ج» «د».

وأُنبّهك[١] من منافع النار على خلّة[٢] صغيرة عظيم موقعها، وهي هذا المصباح الذي يتّخذه الناس، فيقضون به حوائجهم ما شاؤوا مِن[٣] ليلهم، ولولا هذه الخلّة[٤] لكان الناس تُصرفُ أعمارُهم[٥] بمنزلة مَن في القبور، فمن كان يستطيع أن يكتب[٦] أو يحفظ[٧]، أو ينسج في ظلمة الليل؟ وكيف كانت[٨] حال من عرض له وجع في وقت من أوقات الليل فاحتاج[٩] أن يعالج ضماداً أو سفوفاً أو شيئاً يستشفي به؟

فأمّا منافعها ـ في نضج الأطعمة، ودفاء الأبدان، وتجفيف[١٠] أشياء، وتحليل أشياء، وأشباه ذلك ـ فأكثر من أن تحصى وأظهر من أن تخفى.

[الصحو والمطر وتعاقبهما على العالم وفوائد ذلك]

فكّر يا مفضّل في الصحو والمطر[١١] كيف يعتقبان[١٢] على هذا العالم لما فيه

---

(١) في «ب»: وأنبّهك وأنبئك. وفي باقي النسخ: وأُنبّئك.
(٢) في جميع النسخ: خلقة. والمثبت عن نسخة بدل من «ج».
(٣) في «ن»: في.
(٤) في «د»: الحيلة.
(٥) في «أ»: أعمارها.
(٦) في نسخة بدل من «ج»: يكسب.
(٧) في «ج»: أو يخيط. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.
(٨) في «ن»: كان.
(٩) في «ن»: فاحتاج إلى أن يعالج.
(١٠) في «ج»: وتخفيف.
(١١) في «أ»: والغيم. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.
(١٢) في «ن»: يتعاقبان.

صلاحه، ولو دام واحد منهما عليه كان في ذلك فساده.. ألا ترى أنّ الأمطار إذا توالت عفنت البقول والخُضَر، واسترخت أبدان الحيوان وخَصِرَ[١] الهواء فأحدث ضروباً من الأمراض، وفسدت الطرق والمسالك.

وإنّ الصحو إذا دام جفّت الأرض، واحترق النبات، وغيض ماء العيون والأودية، فأضرّ ذلك بالناس، وغلب اليبس على الهواء فأحدث ضروباً أُخرى من الأمراض.

فإذا تعاقبا على العالم هذا التعاقب اعتدل الهواء ودفع كلّ واحد منهما عادية الآخر، فصلحت الأشياء واستقامت.

فإن قال قائل: و[٢]لم لا يكون في شيء من ذلك[٣] مضرّة البتّة؟

قيل له: لِيُمِضَّ[٤] ذلك الإنسان ويؤلمه بعض الألم، فيرعوي عن المعاصي، فكما أنّ الإنسان إذا سقم بدنه احتاج إلى الأدوية المُرَّة البشعة ليقوّم طباعه، ويصلح ما فسد منه، فكذلك[٥] إذا طغى وأَشِرَ[٦]، احتاج إلى ما يمضّه[٧] ويؤلمه، ليرعوي ويقصر عن مساويه، ويثبّته[٨] على ما فيه حظّه ورشده.

---

(١) في «أ» «ج»: وحسر. وفي «د» «ن»: وحصر. والمثبت عن «ب» ونسخة بدل من «ج». وفي نسختي بدل أُخريين من «ب» «ج»: وختر. وفي نسخة بدل أخرى من «ج»: وخسر.

(٢) أدخلت الواو في متن «ج» عن نسخة.

(٣) قوله «من ذلك» ليس في «ج».

(٤) في نسخة بدل من «ب»: يُمِضُّ.

(٥) في «ب» «ج» «ن»: كذلك. والمثبت عن «أ» «د» ونسخة بدل من «ج».

(٦) في «ن»: واشتدّ.

(٧) في جميع النسخ: ما يعضّه. والمثبت عن نسخة بدل من «أ».

(٨) في نسخة بدل من «ج»: وينبّه. وفي نسخة بدل أخرى منها: ويثيبه.

ولو أنّ مَلِكاً من الملوك قسّم في أهل مملكته قناطير من ذهب وفضّة، ألم يكن سيعظم عندهم ويذهب له به الصوت، فأين هذا من مطرة رواء[١] تُعمُّ بها[٢] البلاد، وتزيد في الغلات أكثر من قناطير الذهب والفضّة[٣] في أقاليم الأرض كلّها؟ أفلا ترى المطرة الواحدة ما أكبر[٤] قدرها، وأعظم النعمة على الناس فيها وهم عنها ساهون، وربّما عاقت عن[٥] أحدهم حاجة لا قدر لها، فيتذمّر ويسخط إيثاراً للخسيس قدره على العظيم نفعه، جهلاً بمحمود[٦] العاقبة، وقلّةَ معرفةٍ بعظيم[٧] الغناء والمنفعة فيها.

[مصالح نزول المطر على الأرض وأثر التدبير فيه]

تأمّل نزوله على الأرض والتدبير في ذلك، فإنّه جُعِل ينحدر عليها من علوّ[٨] ليغشى[٩] ما غلظ وارتفع منها فيرويه، ولو كان إنّما يأتيها من بعض نواحيها لما علا على[١٠] المواضع المشرفة منها، ولَقَلَّ[١١] ما يزرع في الأرض. ألا ترى أنّ الذي

---

(١) في «أ»: «مطره إذ» بدل «مطرة رواء».

(٢) في «أ» «ب» «ج» «ن»: يعمّ به.

(٣) في «ج»: «والذهب» بدل «والفضّة».

(٤) في «ج»: ما أكثر. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

(٥) أدخلت في متن «ج» عن نسخة.

(٦) في جميع النسخ: «جميلاً محموداً». والمثبت عن نسخة استظهرها الناسخ في هامش «ب».

(٧) في «أ» ونسخة من «ج»: العظيم الغناءِ. وفي «د»: لعظيم. وفي «ن»: معرفته لعظيم.

(٨) في «أ» «د»: من محلّ علوّ. وفي «ج»: من عَلٍ.

(٩) في «أ» «د» ونسخة بدل من «ج»: ليتغشى. وفي نسخة بدل من «ب»: ليتفشّى.

(١٠) ليست في «أ» «ن».

(١١) في «أ» «ب» «د» «ن» ونسخة بدل من «ج»: ويقل. والمثبت عن متن «ج».

يزرع سيحاً أقلّ من ذلك، فالأمطار هي التي تُطَبِّق الأرض، وربّما تزرع هذه البراري الواسعة وسفوح الجبال وذراها فتغلّ الغلّة الكثيرة، وبها تسقط عن الناس في كثير من البلدان مؤونة سياق[١] الماء من موضع إلى موضع، وما يجري في ذلك بينهم من التشاجر والتظالم حتّى يستأثر بالماء ذوو[٢] العزّة[٣] والقوّة، ويُحرَمُهُ الضعفاء.

ثمّ إنّه حين قُدِّرَ أن ينحدر على الأرض انحداراً جعل ذلك قَطْراً شبيهاً بالرشّ، ليغور في قعر الأرض فيرويها، ولو كان يسكبه[٤] انسكاباً كان ينزل على وجه الأرض ولا[٥] يغور فيها، ثمّ كان يحطم الزروع[٦] القائمة إذا اندفق عليها، فصار ينزل نزولاً رفيقاً[٧]، فيُنبِتُ الحبَّ المزروع، ويُحيي الأرض والزرعَ القائم.

وفي نزوله أيضاً مصالح أُخرى، فإنّه يليّن الأبدان، ويجلو كدر الهواء، فيرتفع الوباء الحادث من ذلك، ويغسل ما يسقط على الشجر والزرع من الداء المسمّى باليرقان[٨]، إلى أشباه هذا من المنافع.

فإن قال قائل: أوليس قد يكون منه في بعض السنين الضررُ العظيم الكثير لشدّةِ

---

(١) في «ج»: بسياق. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

(٢) في «أ» «ن»: ذو.

(٣) في «ج» «د» «ن»: العزّ. والمثبت عن «أ» «ب» ونسخة بدل من «ج».

(٤) في «ج» «د»: ليسكبه.

(٥) في «أ» «ب» «ج» «ن»: فلا.

(٦) في «أ» «ب» «د» ونسخة بدل من «ج»: الزرع.

(٧) في «ج» «ن»: رقيقاً.

(٨) في «أ» «ب» «د»: المسمّى اليرقان.

ما يقع منه، أو بَرَدٍ يكون فيه تحطّم[١] الغلّات، أو بخورةٍ[٢] يحدثها في الهواء فتولّد[٣] كثيراً من الأمراض في الأبدان[٤] والآفات في الغلّات؟

قيل: بلى قد يكون ذلك الفرط، لما فيه من صلاح الإنسان، وكفّه عن ركوب المعاصي والتمادي فيها، فتكون المنفعة فيما يصلح[٥] له من دينه أرجح ممّا عسى أن يرزأ في ماله.

[منافع الجبال]

أُنظر يا مفضّل إلى هذه الجبال المركومة من الطين والحجارة، التي قد[٦] يحسبها الغافلون فضلاً لا حاجة إليها، والمنافعُ فيها كثيرة، فمن ذلك أن تسقط عليها الثلوج، فتبقى في قُلالها لمن يحتاج إليها[٧]، ويذوب ما ذاب منها[٨]، فتجري منه العيون الغزيرة التي تجتمع منها الأنهار العظام، وتنبت فيها ضروب من النبات والعقاقير التي لا ينبت مثلها في السهل، وتكون فيها كهوف ومعاقل[٩] للوحوش

---

(١) في «ج»: يُحَطِّم. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

(٢) في «ب» «د» «ن»: وبخورة. وفي «ج»: وبخثورة، وفي نسخة بدل منها: أو خثورة.

(٣) في «أ» «ب» «ن»: فيولّد.

(٤) قوله «في الأبدان» ليس في «أ».

(٥) في «أ»: صلح.

(٦) ليست في «ب» «ن».

(٧) في جميع النسخ: إليه. والمثبت من عندنا.

(٨) في جميع النسخ: منه. والمثبت من عندنا.

(٩) في «أ» ونسخة بدل من «ب»: ومقايل. وفي «ب» «د»: ومغايل. وذكر المجلسي في الشرح أنّها في بعض النسخ: ومعاقل، كالمثبت.

من السباع العادية[١]، وتُتَّخذُ منها[٢] الحصون والقلاع المنيعة للتحرّز من الأعداء، وتُنْحَتُ منها الحجارة للبناء والأرحاء، وتُوجد فيها معادن لضروب[٣] من الجواهر، وفيها خلال أُخرى[٤] لا يعرفها إلّا المقدِّر لها في سابق علمه.

[أنواع المعادن واستفادة الإنسان منها]

فكّر يا مفضّل في هذه المعادن وما يخرج منها من الجواهر المختلفة مثل الجصّ والكلس والجِبس[٥] والزرنيخ[٦] والمرتك والتوتيا[٧] والزئبق والنحاس والرصاص والفضّة والذهب والزبرجد والياقوت والزمرّد وضروب الحجارة، وكذلك ما يخرج منها من القار والموميا والكبريت والنفط، وغير ذلك ممّا يستعمله الناس في مآربهم، فهل يخفى على ذي عقل أنّ هذه كلّها ذخائر ذُخرت للإنسان في هذه الأرض، ليستخرجها فيستعملها عند الحاجة إليها، ثمّ قَصُرَت حيلة الناس عمّا حاولوا من صنعتها على حرصهم واجتهادهم في ذلك؛ فإنّهم لو ظفروا بما حاولوا من هذا العلم كان لا محالة سيظهر، ويستفيض في العالم حتّى تكثر الفضّة والذهب، ويسقطا عند الناس، فلا تكون لهما قيمة، ويبطل الانتفاع بهما في الشراء والبيع

---

(١) في «د»: العاوية. وفي نسخة بدل من «ب»: الغاوية.

(٢) في «ج»: فيها. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

(٣) في «ن»: لضرب.

(٤) في «أ» «ن»: أُخَر.

(٥) في جميع النسخ: والجبسين. والمثبت عن نسخة بدل من «ج».

(٦) في «أ» «ب» «ج» «د»: والزرانيخ.

(٧) في «أ» «ب» «ج» «د»: والقونيا. وفي نسخة بدل من «ب»: والقونبا. والمثبت عن نسخة بدل من «ج».

والمعاملات، ولا كان يجبي السلطانُ الأموال، ولا يدّخرها[١] أحد للأعقاب، وقد أُعطي الناس ـ مع هذا ـ صنعة الشَّبَه من النحاس، والزجاج من الرمل، والفضّة من الرصاص، والذهب من الفضّة، وأشباه ذلك ممّا لا مضرّة فيه.

فانظر كيف أُعطوا إرادتهم في ما لا ضرر[٢] فيه، ومُنِعوا ذلك فيما كان ضارّاً لهم لو نالوه، ومن أوغل في المعادن انتهى إلى واد عظيم يجري منصلتاً بماء غزير[٣]، لا يدرك غوره، ولا حيلة في عبوره، ومن ورائه أمثال الجبال من الفضّة.

تفكّر الآن في هذا من تدبير الخالق الحكيم، فإنّه أراد جلّ ثناؤه أن يرى[٤] العباد قدرته[٥]، وسعة[٦] خزائنه، ليعلموا أنّه لو شاء أن يمنحهم كالجبال من الفضّة لفعل، لكن لا صلاح لهم في ذلك، لأنّه لو كان فيكون[٧] فيها ـ كما ذكرنا ـ سقوط هذا الجوهر عند الناس، وقلّة انتفاعهم به.

واعتبر ذلك بأنّه قد يظهر الشيء الطريف[٨] ممّا يحدثه الناس من الأواني والأمتعة، فما دام عزيزاً قليلاً فهو نفيسٌ جليل آخِذُ الثمن، فإذا فشا وكثر في أيدي الناس سقط عندهم وخسّت قيمته، ونفاسةُ الأشياء من عزّتها.

---

(١) في «أ»: يدّخرها. وفي «د»: يذخرهما.

(٢) في نسخة بدل من «ج»: لا مضرّة.

(٣) في «ن»: غريز.

(٤) في «ج»: يُرِيَ.

(٥) في «أ» «ب» «ج» «د»: بِقُدرته. واستظهر في هامش «ب» ما أثبتناه.

(٦) في نسخة بدل من «ج»: وسعته.

(٧) في «ج»: لأنّه كان يكون فيها.

(٨) في «ج» «ن»: الظريف. والمثبت عن «أ» «ب» «د» ونسخة بدل من «ج».

[النبات وما فيه من ضروب المآرب]

فكّر يا مفضّل في هذا النبات وما فيه من ضروب المآرب، فالثمارُ للغذاء، والأتبان للعلف، والحطب للوقود، والخشب لكلّ شيء من أنواع النجارة وغيرها، واللحاءُ والورقُ والأُصول والعروق والصموغ لضروب من المنافع.

أرأيت لو كنّا نجد الثمار التي نغتذي[١] بها مجموعةً على وجه الأرض، ولم تكن تنبت على هذه الأغصان الحاملة لها، كم كان يدخل علينا من الخلل في معاشنا، وإن كان الغذاءُ موجوداً فإنّ المنافع بالخشب والحطب والأتبان وسائر ما عددناه كثيرة عظيم[٢] قدرها، جليل موقعها، هذا مع ما في النبات من التلذّذ بحسن منظره ونضارته التي لا يعدلها شيء من مناظر العالم وملاهيه.

[الريع في النبات وسببه]

فكّر يا مفضّل في هذا الريع الذي جُعل في الزرع، فصارت الحبّة الواحدة تخلف[٣] مائة حبّة وأكثر وأقلّ، وكان يجوز (أن تكون الحبّة)[٤] تأتي بمثلها، فلِمَ صارت تريع هذا الريع إلّا ليكون في الغلّة متّسع، لما يُرَدُّ في الأرض من البذر، وما يتقوّت الزرّاع إلى إدراك زرعها المستقبل.

ألا ترى أنّ الملك لو أراد عمارة بلد من البلدان كان السبيل في ذلك أن يعطي أهله ما يبذرونه في أرضهم وما يقوتهم إلى إدراك زرعهم.

---

(١) في «ج»: يُغتذى.

(٢) في «أ» «ب» «ج» «د»: عظيمة. وفي نسخة بدل استُظهرت في «ب» كالمثبت.

(٣) في «ب»: تخلق.

(٤) في «ن»: للحبّة أن.

فانظر كيف تجد هذا المثال قد تقدّم في تدبير الحكيم، فصار الزرع يريع هذا الريع ليفي بما يحتاج إليه للقوت والزراعة، وكذلك الشجر والنبت والنخل يريع الريع الكثير، فإنّك ترى الأصل الواحد حوله من فراخه أمراً عظيماً[1]، فلِمَ كان كذلك إلّا ليكون فيه ما يقطعه الناس، ويستعملونه[2] في مآربهم، وما يردّ فيغرس في الأرض، ولو كان الأصل منه يبقى منفرداً لا يفرّخ ولا يَرِيع لما أمكن أن يقطع منه شيء لعمل ولا لغرس، ثمّ كان إن أصابته آفة انقطع أصله، فلم يكن منه خلف.

[بعض النباتات وكيف تصان]

تأمّل نبات هذه الحبوب من العدس والماش والباقلاء[3] وما أشبه ذلك، فإنّها تخرج في[4] أوعية مثل الخرائط لتصونها وتحجبها من الآفات إلى أن تشتدّ وتستحكم، كما قد تكون المشيمة على الجنين لهذا المعنى بعينه.

وأمّا[5] البُرّ وما أشبهه فإنّه يخرج مُدْرَجاً في قشور صلاب على رؤوسها أمثال[6] الأسنّة من السنبل[7] ليمنع[8] الطير منه ليتوفّر على الزُرّاع.

فإن قال قائل: أوليس قد ينال الطير من البُرّ والحبوب؟

---

(١) في «ب» «ج» «د»: أمرٌ عظيم. وفي نسختي بدل من «ب» «ج» كالمثبت.

(٢) في «أ»: فيستعملونه.

(٣) في «أ» «ج» «د»: الباقِلّى. وهما لغتان.

(٤) في «ج»: من. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

(٥) في «أ» «ب» «ج» «د»: فأمّا.

(٦) في «ب»: مثال.

(٧) في نسخة بدل من «ج»: النبل.

(٨) في «ج»: لتمنع.

قيل له: بلى على هذا قُدِّرَ الأمر فيها، لأنّ الطير خَلْقٌ من خلق الله تعالى، وقد جعل الله تبارك وتعالى له في ما تخرج الأرض حظّاً، ولكن حُصِّنَتِ[١] الحبوب بهذه الحُجُب لئلّا[٢] يتمكّن الطير منها كلّ التمكّن فيعبث[٣] فيها[٤] ويفسد الفساد الفاحش، فإنّ الطير لو صادف الحبّ بارزاً ليس عليه شيء يحول دونه لأَكَبَّ عليه حتّى ينسفه أصلاً، فكان يعرض من ذلك أن يبشم الطير فيموت، ويخرج الزَرَّاع[٥] من زرعه صفراً، فجعلت عليه هذه الوقايات لتصونه، فينال[٦] الطائر[٧] منه شيئاً يسيراً يتقوّت به، ويبقى أكثره للإنسان، فإنّه أولى به، إذ كان هو الذي كدح فيه وشقي به، وكان الذي يحتاج إليه أكثر ممّا يحتاج إليه الطير.

[الحكمة في خلق الشجر وأصناف النبات]

تأمّل الحكمة في خلق الشجر وأصناف النبات، فإنّها لمّا كانت تحتاج إلى الغذاء الدائم كحاجة الحيوان، ولم تكن لها أفواه كأفواه الحيوان ولا حركة تنبعث بها لتناول الغذاء، جُعلت أُصولها مركوزة في الأرض لتنزع منها الغذاء[٨] فتؤدّيه إلى الأغصان وما عليها من الورق والثمر، فصارت الأرض كالأُمّ المربّية لها، وصارت

---

(١) في «ج»: خُصّت.

(٢) في «ج»: لكيلا.

(٣) في نسخة بدل من «ج»: فيعنت.

(٤) في «ن»: بها.

(٥) في «ن»: الزارع. وفي «ج»: وتخرج الزُرّاع.

(٦) في «أ» وينال. وفي «ج»: فتناول، وفي نسخة بدل منها: وتنال.

(٧) في «د»: الطير.

(٨) في «ج»: غذاءً.

أُصولها ـ التي هي كالأفواه ـ ملتقمة[١] للأرض لتنزع منها الغذاء، كما ترضع أصنافَ الحيوان أُمّهاتُها.

ألا ترى[٢] إلى عُمُد[٣] الفساطيط والخيم كيف تمدّ بالأطناب من كلّ جانب لتثبت منتصبةً فلا تسقط ولا تميل، فهكذا تجد النبات كلّه له عروق منتشرة في الأرض ممتدّة[٤] إلى كلّ جانب لتمسكه وتقيمه، ولولا ذلك كيف كان تثبت[٥] هذه[٦] النخل الطوال والدوح العظام في الريح العاصف؟

فانظر إلى حكمة الخلقة[٧] كيف سبقت حكمة الصناعة[٨]، فصارت الحيلة التي يستعملها الصنّاع في ثبات الفساطيط والخيم، متقدّمة في خلق الشجر، لأنّ خلق[٩] الشجر قبل صنعة الفساطيط والخيم.. ألا ترى إلى[١٠] عُمُدها وعيدانها من الشجر، فالصناعة مأخوذة من الخلقة.

[خلق الورق ووصفه]

تأمّل يا مفضّل خلق الورق، فإنّك ترى في الورقة شبه العروق مبثوثة فيها أجمع؛

---

(١) في «ج»: تلقمه. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.
(٢) في «ج» «د» «ن»: ألم تر. والمثبت عن «أ» «ب» ونسخة بدل من «د».
(٣) في «أ»: عمل.
(٤) في «ج»: تمتد. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.
(٥) في «أ» «ب» «د» «ن»: يثبت. وفي «ج»: تنبت.
(٦) في «أ» «ب» «د» «ن»: هذا.
(٧) في «ن»: الخالق.
(٨) في «ج»: الصانع.
(٩) في «ج»: خلقة.
(١٠) ليست في «ن».

فمنها غلاظ ممتدّه في طولها وعرضها، ومنها دقاق تتخلّل تلك الغلاظ منسوجة نسجاً دقيقاً معجماً، لو كان ممّا يصنع بالأيدي كصنعة البشر لَمَا فُرِغ من ورق شجرة واحدة في عام كامل، ولاحتيج إلى آلاتٍ[١] وحركة وعلاج وكلام، فصار يأتي منه في أيّام قلائل من الربيع ما يملأ الجبال والسهل وبقاع الأرض كلّها بلا حركة ولا كلام، إلّا[٢] بالإرادة النافذة في كلّ شيء والأمر[٣] المطاع.

واعرف مع ذلك العلّة في تلك العروق الدقاق، فإنّها جعلت تتخلّل الورقة بأسرها، لتسقيها وتوصل الماء[٤] إليها، بمنزلة العروق المبثوثة في البدن لتوصل الغذاء إلى كلّ جزء منه.

وفي الغلاظ منها معنى آخر، فإنّها تمسك الورقة بصلابتها ومتانتها، لئلّا تنتهك[٥] وتتمزّق، فترى الورقة شبيهة بورقة معمولة بالصنعة من خرق قد جعلت فيها عيدان ممدودة في طولها وعرضها لتتماسك فلا تضطرب، فالصناعة تحكي الخلقة وإن كانت لا تدركها على الحقيقة.

[العَجَمُ والنَّوى والعلّة في خلقه]

فكّر في هذا العَجَمِ والنَّوى والعلّة فيه، فإنّه جُعِلَ في جوف الثمرة[٦] ليقوم مقام

---

(١) في «أ» «ج» «د»: الآلات.

(٢) «إلّا» ليست في «أ».

(٣) في نسخة بدل من «ج»: ومن الأمر.

(٤) في «ج» «د»: المادّة. وفي نسختي بدل منهما كالمثبت.

(٥) في «ب» «د»: تنهتك.

(٦) في «أ» «ب» «ج»: التمرة. وفي نسخة بدل من «ب» كالمثبت.

الغرس إن عاق دون الغرس عائق، كما يحرز الشيء النفيس الذي تعظم الحاجة إليه في مواضع أُخَر، فإن حدث على الذي في بعض المواضع منه حادث وجد في موضع آخر، ثمّ هو بعد يمسك بصلابته رخاوة الثمار ورقّتها، ولولا ذلك لتشدّخت وتفسّخت، وأسرع إليها[١] الفساد، وبعضُهُ يؤكل وبعضُهُ[٢] يستخرج دهنه، فيستعمل منه ضروب من المصالح، وقد[٣] تبيّن لك موضع الأَرَب في العجم والنوى.

فكّر الآن في هذا الذي تجده فوق النواة من الرطبة، وفوق العجم من العنبة، فما العلّة فيه؟ ولماذا يخرج في هذه الهيئة؟ وقد كان يمكن أن يكون مكان ذلك ما ليس فيه مأكل كمثل ما يكون في[٤] السّرو[٥] والدُلب وما أشبه ذلك، فلم صار تخرج فوقه هذه المطاعم اللذيذة إلّا ليستمتع بها الإنسان؟

[موت الشجر وتجدّد حياته وما في ذلك من ضروب التدبير]

فكّر في ضروب من التدبير في الشجر، فإنّك تراه يموت في كلّ سنة موتةً ـ فتحتبس الحرارة الغريزيّة في عُوده، وتتولّد فيه موادّ الثمار ـ ثمّ يحيى فيُنْشر[٦]،

---

(١) في «أ» «ب» «ج» «د»: إليه.

(٢) كلمة «بعضه» ليست في «أ» «ب» «ج» «ن».

(٣) كذا في جميع النسخ، والأفضل «فقد».

(٤) في «د» ونسخة بدل من «ج»: من. وفي نسخة بدل من «د» كالمثبت.

(٥) في «ن»: السدر.

(٦) في «أ»: وتنشر. وفي «ب» «ج»: تحيا وتنشر. وفي «ن»: وينتشر.

فيأتيك[١] بهذه الفواكه نوعاً بعد نوع، كما تُقدّم إليك أنواع الأخبصة[٢] التي تُعالَج بالأيدي واحداً بعد واحد، فترى الأغصان في الشجر تتلقّاك[٣] بثمارها حتّى كأنّها تناولكها عن يد، وترى الرياحين تتلقّاك[٤] في أفنانها كأنّها تجيئك[٥] بأنفسها، فلمن هذا التقدير إلّا لمقدّر حكيم؟ وما العلّة فيه إلّا تفكيه[٦] الإنسان بهذه الثمار والأنوار؟ والعجب من أُناس جعلوا مكان الشكر على النعمة جحود المُنعِم بها.

[خلق الرمّانة وأثر العمد فيه]

اعتبر[٧] بخلق الرمّانة وما ترى فيها من أثر العمد والتدبير، فإنّك ترى فيها كأمثال التلال ـ من شحم مركوم في نواحيها ـ وحبّاً مرصوفاً رصفاً[٨] كنحو ما يُنْضَدُ بالأيدي، وترى الحبّ مقسوماً أقساماً، وكلّ قسم منها ملفوفاً[٩] بلفائف من حُجُب منسوجة أعجب النسج وأَلْطَفَه، وقشره يضمّ ذلك كلّه.

فمن التدبير في هذه الصنعة أنّه لم[١٠] يكن يجوز أن يكون حشو الرمّانة من الحبّ

(١) في «أ» «ب» «ج»: فتأتيك.

(٢) في «ب» «ن»: الأطبخة. والمثبت عن «أ» «ج» «د» ونسخة بدل من «ب».

(٣) في «ج»: تلقّاك. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

(٤) في «أ» «ب» «ج» «د»: تلقّاك.

(٥) في «د»: تحيّيك.

(٦) في نسخة بدل من «ب»: تفكّه.

(٧) في «ن»: واعتبر.

(٨) في «ن»: وحبّ مرصوف صفّاً.

(٩) في «أ» «ج» «د»: ملفوف.

(١٠) في «أ» «د»: أنّه لو لم يكن.

وحده، وذلك أنّ الحبّ لا يُمِدُّ بعضه بعضاً، فجُعل ذلك الشحم خلال الحبّ ليمدّه بالغذاء. ألا ترى أنّ أُصول الحبّ مركوزة في ذلك الشحم، ثمّ لُفَّ بتلك اللفائف لتضمّه وتمسكه فلا يضطرب، وغشي فوق ذلك بالقشرة المستحصفة[١] لتصونه وتحصنه من الآفات، فهذا قليل من كثير من وصف الرمّانة، وفيه أكثر من هذا لمن أراد الإطناب والتذرّع في الكلام، ولكن فيما ذكرت لك كفاية في الدلالة والاعتبار.

[حمل اليقطين وما فيه من التدبير والحكمة]

فكّر يا مفضّل في حمل اليقطين الضعيف مثل هذه الثمار الثقيلة من الدباء والقثّاء والبطّيخ وما في ذلك من التدبير والحكمة، فإنّه حين قدّر أن يحمل مثل هذه الثمار جُعِل نباته منبسطاً على الأرض، ولو كان ينتصب قائماً كما ينتصب[٢] الزرع والشجر لما استطاع أن يحمل مثل هذه الثمار الثقيلة، ولَتَقَصَّفَ[٣] قبل إدراكها وانتهائها إلى غاياتها[٤]. فانظر كيف صار يمتدّ على وجه الأرض ليلقي عليها ثماره[٥] فتحملها عنه، فترى الأصل من القرع والبطّيخ مفترشاً للأرض[٦]، وثماره مبثوثة عليها وحواليه كأنّه هرّة ممتدّة[٧]، وقد اكتنفتها جراؤها[٨] لترضع منها.

---

(١) في «د»: المستحفضة. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

(٢) في «أ» ونسختي بدل من «ج» «د»: «كانتصاب» بدل «كما ينتصب».

(٣) في «أ» «ب»: ولينقصف.

(٤) في «أ» «ب» «ن» ونسخة بدل من «د»: غايتها.

(٥) في «أ» «ب» «ج» «د»: ثمارها. وفي نسخة بدل من «ب» استُظهرت في الهامش كالمثبت.

(٦) في «ج»: الأرض. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

(٧) ليست في «ج».

(٨) في «أ» «ب» «ج»: أجراؤها. وقد أُدخلت الألف في «ب» عن نسخة. وفي «د»: أجرادها.

[موافاة أصناف النبات في الوقت المشاكل لها]

وانظر كيف صارت الأصناف توافي في الوقت المشاكل لها من حمارّة الصيف ووقدة الحرّ، فتلقاها[١] النفوس بانشراح وتشوّق إليها، ولو كانت توافي في[٢] الشتاء لوافقت من الناس كراهة لها واقشعراراً منها[٣]، مع ما يكون فيها من المضرّة للأبدان. ألا ترى أنّه ربّما أدرك شيء من الخيار في الشتاء، فيمتنع الناس من أكله إلّا الشَّرِه الذي لا يمتنع من أكل ما يضرّه وتُستوخَم مغبّته[٤].

[في النخل وخلقة الجذع والخشب وفوائد ذلك]

فكّر يا مفضّل في النخل، فإنّه لمّا صار فيه إناث تحتاج إلى التلقيح جُعلت فيه ذكورة للّقاح من غير غراس، فصار الذكر من النخل بمنزلة الذَكَر من الحيوان الذي يلقّح الإناث لتحمل وهو لا يحمل.

تأمّل خلقة الجذع كيف هو؟ فإنّك تراه كالمنسوج نسجاً من[٥] خيوط ممدودة كالسدى وأُخرى معه[٦] معترضة كاللحمة ـ كنحو ما ينسج بالأيدي ـ وذلك ليشتدّ

---

(١) في «أ»: فتلقّيها. والظاهر أنّها فتلقّاها.

(٢) ليست في «ن».

(٣) ليست في «د».

(٤) في «ج»: ويستوخم مغيبه. وفي نسخة بدل منها: ويستوخم معدته. وفي «ن»: ويسقم معدته.

(٥) في «أ» «ب» «ج» «د»: من غير خيوط. وفي نسخة بدل من «ب» استُظهرت في الهامش كالمثبت.

(٦) ليست في «أ».

ويصلب ولا يتقصّف[١] من حمل القنوان الثقيلة وهزّ الرياح العواصف إذا صار نخلة، وليتهيّأ للسقوف والجسور وغير ذلك ممّا يتّخذ منه إذا صار جذعاً.

وكذلك ترى الخشب مثل النسيج[٢]؛ فإنّك ترى بعضه مداخلاً بعضاً طولاً وعرضاً كتداخل أجزاء اللحم، وفيه مع ذلك متانةٌ ليصلح لما يتّخذ منه من الآلات؛ فإنّه لو كان مستحصِفاً كالحجارة لم يمكن[٣] أن يستعمل في السقوف وغير ذلك ممّا يستعمل فيه الخشبة كالأبواب والأسرّة والتوابيت وما أشبه ذلك.

ومن جسيم المصالح في الخشب أنّه يطفو على الماء، فكلّ[٤] الناس يعرف هذا منه، وليس كلّهم يعرف جلالة الأمر فيه، فلولا هذه الخلّة كيف كانت هذه السفن والأطواف[٥] تحمل أمثال الجبال من الحمولة، وأنّى كان ينال الناس هذا الرفق[٦] وخفّة المؤونة في حمل التجارات من بلد إلى بلد، و[٧]كانت تعظم المؤنة عليهم في حملها حتّى يُلقَى كثير ممّا يحتاج إليه في بعض البلدان مفقوداً أصلاً أو عَسِراً وجوده.

[العقاقير واختصاص كلّ منها]

فكّر[٨] في هذه العقاقير وما خُصّ بها كلّ واحد منها من العمل في بعض الأدواء،

---

(١) في «أ» «ب»: ينقصف.

(٢) في «أ» «ب» «د» «ن»: النسج.

(٣) في «ج»: يكن. وفي نسخة بدل منها كالمثبت. وفي نسخة بدل من «ب»: لم يكن ليستعمل.

(٤) في «د»: وكلّ.

(٥) في «أ» «ب» «ج» «ن»: والأظراف. وفي «د»: والأطراف. والمثبت عن نسخة بدل من «ج».

(٦) في نسخة بدل من «ب»: الوفق.

(٧) الواو ليست في «أ» «د». واستُظهِر دخولها في «ب».

(٨) في «أ»: وفكّر.

فهذا يغور في المفاصل فيستخرج الفضول الغليظة مثل الشيطرج، وهذا ينزف المرّة السوداء مثل الافتيمون، وهذا ينفي الرياح مثل السكبينج، وهـذا يحـلّل الأورام، وأشباه هذا من أفعالها، فمن جعل هذه القوى فيها إلّا من خلقها للمنفعة؟ ومن فَطَّنَ الناس لها[1] إلّا من جعل هذا فيها؟ ومتى كان يوقف عـلى هـذا مـنها بـالعرض والاتفاق كما قال قائلون[2]؟

وهب الإنسان فطن لهذه الأشياء بذهنه ولطيف رويّته[3] وتجاربه، فالبهائم كيف فطنت لها حتّى صار بعض السباع يتداوى من جراحةٍ[4] إن أصابته ببعض العقاقير فيبرأ، وبعض الطير يحتقن من الحصر يصيبه بماء البحر فيسلم، وأشباه هذا كثير.

ولعلّك تشكّك[5] في هذا النبات النابت في الصحاري والبراري حيث لا إنس ولا أنيس، فتظنّ أنّه فضل لا حاجة إليه، وليس كذلك، بل هو طُعْم لهذه الوحوش، وحبُّهُ علف للطير، وعوده وأفنانه حطب، فيستعمله الناس، وفيه بَعْدُ أشياء تعالج بها[6] الأبدان، وأُخرى تدبغ بها الجلود، وأُخرى تصبغ بها[7] الأمتعة، وأشباه هذا من المصالح.

---

(١) في «أ» «ب» ونسخة بدل من «ج»: بها. وفي نسخة بدل من «ب» كالمثبت، وفي نسخة بدل أخرى منها: بهما.

(٢) في «ن»: القائلون.

(٣) في «ب»: رؤيته.

(٤) في «ب» «د» «ن»: جراحِهِ.

(٥) في نسخة بدل من «ج»: تشكل.

(٦) في «أ» «ب» «ج» «د»: به. وكذلك المورد الذي بعده.

(٧) في «أ» «ب» «ج» «د»: به. وهي ليست في «ن». والمثبت من عندنا أخذاً من النسخ الأربع المذكورة.

ألست تعلم أنّ من أخسّ النبات وأحقره هذا البردي وما أشبهه[١]، ففيه[٢] مع هذا من ضروب المنافع، فقد تُتَّخذُ من البردي القراطيس التي يحتاج إليها[٣] الملوك والسوقة، والحُصُر التي يستعملها كلّ صنف من الناس، وتُعمل[٤] منه الغلف التي تُوقى بها الأواني، ويجعل حشواً بين الظروف في الأسفاط[٥]، لكيلا تعيب وتنكسر، وأشباه هذا من المنافع. فاعتبر بما ترى من ضروب المآرب في صغير الخلق وكبيره، وبما له قيمة وما لا قيمة له.

وأخسّ من هذا وأحقره الزبل والعذرة التي اجتمعت فيها الخساسة والنجاسة معاً، وموقعها من الزروع والبقول والخضر أجمع الموقع الذي لا يعدله شيء، حتّى أنّ كلّ شيء من الخضر لا يصلح ولا يزكو إلّا بالزبل والسماد الذي يستقذره الناس، ويكرهون الدنوّ منه.

واعلم أنّه ليس منزلة الشيء على حسب قيمته، بل هما قيمتان مختلفتان بسوقين، وربّما كان الخسيس في سوق المكتسِب نفيساً في سوق العلم، فلا تستصغر العبرة في الشيء لصغر[٦] قيمته، فلو فطن[٧] طالِبُوا الكيمياء لما في العذرة لاشتروها بأنفس الأثمان وغالوا بها.

---

(١) في جميع النسخ: وما أشبهها. والمثبت عن نسختي بدل من «ب» «ج».

(٢) في جميع النسخ: ففيها. والمثبت من عندنا.

(٣) في نسخة بدل من «ج»: إليه.

(٤) في «أ» «ب» «ج» «د»: وليعمل.

(٥) في «ب» «ج»: الأسباط. وفي نسختي بدل منهما كالمثبت.

(٦) في «ج»: بصغر.

(٧) في «ب» «ج» «د»: فطنوا. وهي لغة «أكلوني البراغيث».

قال المفضّل: وحان وقت الزوال، فقام مولاي إلى الصلاة وقال[١]: بكِّر إليّ غداً إن شاء الله تعالى، فانصرفتُ وقد تضاعف سروري بما عرّفنيه، مبتهجاً بما آتانيه، حامداً لله على ما منحنيه، فبتُّ ليلتي مسروراً.

(١) في «جـ»: فقال.

المجلس الرابع

قال المفضّل: فلمّا كان اليوم الرابع بكّرت إلى مولاي فاستؤذن لي، فأمرني بالجلوس فجلست، فقال عليه السلام: منّا التحميد والتسبيح والتعظيم والتقديس، للاسم الأقدم[1]، والنور الأعظم، العليّ العلّام، ذي الجلال والإكرام، ومنشئ الأنام، ومفني[2] العوالم والدهور، وصاحب السرّ المستور، والغيب المحظور، والاسم المخزون، والعلم المكنون، وصلواته وبركاته على مبلّغ وحيه، ومؤدّي رسالته، الذي ابتعثه[3] بشيراً ونذيراً ﴿ وَدَاعِياً إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُنِيراً ﴾[4]، ﴿ لِيُهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ ﴾[5] فعليه وعلى آله من بارئه الصلوات الطيّبات،

---

(١) في «د» ونسخة بدل من «ب»: الأقدس.

(٢) في «ج» ونسخة بدل من «ب»: ومغني. وفي نسختي بدل من «ب» «ج»: ومضيء. وفي نسخة بدل أخرى من «ج» كالمثبت.

(٣) في «ن»: بعثه.

(٤) الأحزاب: ٤٦.

(٥) الأنفال: ٤٢.

والتحيّات الزاكيات الناميات، وعليه وعليهم السلام والرحمة والبركات في الماضين والغابرين، أبد الآبدين، ودهر الداهرين، وهم أهله ومستحقّوه(١).

[الموت والفناء وانتقاد الجهال وجواب ذلك]

قد شرحت لك يا مفضّل من الأدلّة على الخلق، والشواهد على صواب التدبير والعمد في الإنسان والحيوان والنبات والشجر وغير ذلك ما فيه عبرة لمن اعتبر، وأنا أشرح لك الآن الآفات الحادثة في بعض الأزمان التي اتخذها أُناس من الجهّال ذريعةً إلى جحود الخلق والخالق والعمد(٢) والتدبير، وما أنكرت المعطّلة والمنانية(٣) من المكاره والمصائب، وما أنكروه من الموت والفناء، وما قاله أصحاب الطبائع، ومن زعم أنّ كون الأشياء بالعرض والاتفاق، ليتّسع(٤) ذلك(٥) القول في الردّ(٦) عليهم ﴿ قَاتَلَهُمُ اللهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾(٧).

[الآفات ونظر الجهّال إليها والجواب على ذلك]

اتخذ أُناس من الجهّال هذه الآفات الحادثة في بعض الأزمان ـ كمثل الوباء(٨)

---

(١) في «أ» «ب» «د»: ونسخة بدل من «ج»: ومستحقه.

(٢) في نسخة بدل من «ب»: والعمل.

(٣) استظهر في هامش «ب» أنّها: والمانوية.

(٤) في «ج»: ليسع. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

(٥) استظهر في «ب» أنّها: لك.

(٦) في «د»: بالردّ.

(٧) التوبة: ٣٠، المنافقون: ٤.

(٨) في «د»: «كالوباء» بدل «كمثل الوباء»، وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

واليرقان والبرد والجراد ـ ذريعة إلى جحود الخلق[١] والتدبير والخالق[٢].

فيُقال في جواب ذلك: إنّه إن لم يكن خالق ومدبّر فلم لا يكون ما هو أكثر من هذا وأفظع؟ فمن ذلك أن تسقط السماء على الأرض، و[٣]تهوي الأرض فتذهب سفلاً، وتتخلّف الشمس عن الطلوع أصلاً، وتجفّ الأنهار والعيون حتّى لا يوجد ماء للشفة، وتركد الريح، حتّى تخم[٤] الأشياء وتفسد، ويفيض ماء البحر على الأرض فيغرقها.

ثمّ هذه الآفات ـ التي ذكرناها[٥] من الوباء والجراد وما أشبه ذلك ـ ما بالها لا تدوم وتمتدّ، حتّى تجتاح[٦] كلّ ما في العالم، بل تحدث في الأحايين، ثمّ لا تلبث أن ترفع، أفلا ترى أنّ العالم يصان ويحفظ من تلك الأحداث الجليلة التي لو حدث عليه شيء منها كان فيه بواره، ويُلذَع[٧] أحياناً بهذه الآفات اليسيرة لتأديب الناس وتقويمهم، ثمّ لا تدوم هذه الآفات بل تكشف[٨] عنهم عند القنوط منهم، فيكون وقوعها بهم موعظة وكشفها عنهم رحمة.

وقد أنكرت (المعطّلة ما أنكرت)[٩] المنانية[١٠] من المكاره والمصائب التي

---

(١) في «ن»: الخالق.

(٢) في «ن»: والخلق.

(٣) في «أ»: أو تهوي.

(٤) في «أ» «ب»: تحمّ.

(٥) في «د»: «ذكرنا» بدل «ذكرناها».

(٦) في «ب» ونسخة بدل من «ج»: يجتاح. وفي متن «ج»: يحتاج.

(٧) في «ج»: وتلذع. وفي «د» ونسخة بدل من «ب»: ويُلدَغ.

(٨) في «أ» «ب» ونسخة بدل من «ج»: كشف. وفي «د»: بل يعتبهم عند القنوط.

(٩) ليست في «ن».

(١٠) استظهر في هامش «ب» أنّها: المانوية.

تصيب الناس، فكلاهما يقول: إن كان للعالم خالق رؤوف رحيم، فلم يُحدِثُ[١] فيه هذه الأُمور المكروهة.. والقائل بهذا القول يذهب به[٢] إلى أنّه ينبغي أن يكون عيش الإنسان في هذه الدنيا صافياً من كلّ كدر، ولو كان هكذا كان الإنسان سيخرج[٣] من الأشر والعتوّ إلى ما لا يصلح في دين ولا دنيا[٤] كالذي ترى كثيراً من المترفين ومَن نشأ في الجِدَة والأمن، يخرجون إليه، حتّى أنّ أحدهم ينسى أنّه بشر، أو أنّه مربوب أو أنّ ضرراً يمسّه، أو أنّ مكروهاً ينزل به، أو أنّه يجب عليه أن يرحم ضعيفاً، أو يواسي فقيراً، أو يرثي لمبتلى، أو يتحنّن على ضعيف، أو يتعطّف على مكروب، فإذا عضّته المكاره ووجد مضضها اتّعظ وأبصر كثيراً ممّا كان جهله وغفل عنه، ورجع إلى كثير ممّا كان يجب عليه.

والمنكرون لهذه الأُمور المؤذية بمنزلة الصبيان الذين يذمّون الأدوية المرّة البشعة، ويتسخّطون من المنع من الأطعمة الضارّة، ويتكرّهون الأدب[٥] والعمل، ويحبّون أن يتفرّغوا للهو والبطالة، وينالوا كلّ مطعم ومشرب، ولا يعرفون ما تؤدّيهم إليه البطالة من سوء النشوء والعادة، وما تعقبهم الأطعمة اللذيذة الضارّة[٦] من الأدواء والأسقام، وما لهم في الأدب[٧] من الصلاح، وفي الأدوية من المنفعة، وإن شاب ذلك بعض الكراهة.

---

(١) في «ب»: يحدث ذلك فيه. وفي «ن»: تحدث.

(٢) ليست في «أ» «ج» «د» «ن».

(٣) في «ن»: يخرج.

(٤) في «ب»: دين ودنيا.

(٥) في «ج»: الأرب. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

(٦) ليست في «أ».

(٧) في نسخة بدل من «ج»: الأرب.

فإن قالوا: ولِمَ[١] لم يكن الإنسان معصوماً من المساوي حتّى لا يحتاج إلى أن يلذعه بهذه[٢] المكاره؟

قيل: إذاً كان يكون غير محمود على حسنة يأتيها، ولا مستحقّاً للثواب عليها.

فإن قالوا: وما كان يضرّه أن لا يكون محموداً على الحسنات مستحقّاً للثواب، بعد أن يصير إلى غاية النعيم واللذّات[٣]؟

قيل لهم: اعرضوا على امرئ صحيح الجسم والعقل أن يجلس منعّماً ويُكفَى كُلّ ما يحتاج إليه بلا سعي ولا استحقاق، فانظروا[٤] هل تقبل نفسه ذلك؟! بل ستجدونه بالقليل ممّا يناله بالسعي والحركة أشدّ اغتباطاً وسروراً منه بالكثير ممّا يناله بغير استحقاق[٥]، وكذلك نعيم الآخرة أيضاً يكمل لأهله بأن ينالوه بالسعي فيه والاستحقاق له فالنعمة[٦] على الإنسان في هذا الباب مضاعفة، بأنّ[٧] أعدّ له الثواب الجزيل على سعيه في هذه الدنيا وجعل[٨] له السبيل إلى أن ينال ذلك[٩] بسعي واستحقاق فيكمل له[١٠] السرور والاغتباط بما يناله منه.

---

(١) في «ن»: فَلِمَ.

(٢) في «ج» «د» ونسخة بدل من «ب»: يلدغه بهذه. وفي «ن»: تلذعه هذه.

(٣) في «أ» «ب» «ج» «د»: واللّذة.

(٤) في «أ» «ب» «ج» «د»: فانظر.

(٥) في «ب»: الاستحقاق.

(٦) في «د»: والنعمة.

(٧) في جميع النسخ: فإن. والمثبت عن استظهار في «ب».

(٨) في «د»: فجعل.

(٩) ليست في «ب».

(١٠) ليست في «ب».

فإن قالوا: أوليس قد يكون مِن الناس مَن يركن إلى ما نال من خير وإن كان لا يستحقّه، فما الحجّة في منع من رضي أن ينال نعيم الآخرة على هذه[١] الجملة[٢]؟

قيل لهم: إنّ هذا باب لو صحّ للناس لخرجوا إلى غاية الكَلَب[٣] والضراوة على الفواحش[٤]، وانتهاك المحارم، فمن كان يكفّ نفسه عن فاحشة أو يتحمّل المشقّة في باب من أبواب البرّ لو وثق بأنّه صائر إلى النعيم لا محالة، أو من كان يأمن على نفسه وأهله وماله من الناس لو لم يخافوا الحساب والعقاب، فكان ضررُ هذا الباب سينال الناس في هذه الدنيا قبل الآخرة، فيكون في ذلك تعطيل العدل والحكمة معاً، وموضعٌ للطعن[٥] على التدبير بخلاف الصواب، ووضعُ الأُمور في غير مواضعها.

[لماذا تصيب الآفات جميع الناس وما الحجّة في ذلك؟]

وقد[٦] يتعلّق هؤلاء بالآفات التي تصيب الناس فتعمّ البرّ والفاجر، أو[٧] يبتلى بها البرّ ويسلم الفاجر منها، فقالوا: كيف يجوز هذا في تدبير الحكيم، وما الحجّة فيه؟

فيقال لهم: إنّ هذه الآفات وإن كانت تنال الصالح والطالح جميعاً، فإنّ الله عزّ

---

(١) ليست في «د».

(٢) في نسخة بدل من «ب»: الخلّة.

(٣) في «ج»: الكَلَبة.

(٤) قوله «على الفواحش» ليس في «د».

(٥) في «د»: الطعن.

(٦) «قد» ليست في «ب».

(٧) في «أ» «د»: ويبتلى. وفي «ج»: ويبتلى به.

وجلّ جعل ذلك صلاحاً للصنفين كليهما؛ أمّا الصالحون فإنّ الذي يصيبهم من هذا يذكّرهم[١] نعم ربّهم عندهم في سالف أيّامهم، فيحدوهم ذلك على الشكر والصبر، وأمّا الطالحون فإنّ مثل هذا إذا نالهم كسر شرّتهم وردعهم عن المعاصي والفواحش.

وكذلك يَجعلُ لمن سلم منها[٢] من الصنفين صلاحاً في ذلك، أمّا الأبرار فإنّهم يغتبطون بما هم عليه من البرّ والصلاح ويزدادون فيه رغبة وبصيرة، وأمّا الفجّار فإنّهم يعرفون رأفة[٣] ربّهم، وتطوّله عليهم بالسلامة من غير استحقاق، فيحضّهم ذلك على الرأفة بالناس، والصفح عمّن أساء إليهم.

ولعلّ قائلاً يقول: إنّ هذه الآفات التي تصيب الناس في أموالهم، فما قولك فيما يُبتَلَون به في أبدانهم فيكون فيه[٤] تلفهم كمثل الحرق والغرق والسيل والخسف؟

فيقال له: إنّ الله جعل[٥] في هذا أيضاً صلاحاً للصنفين جميعاً؛ أمّا الأبرار فلِما هم في مفارقة هذه الدنيا من الراحة من تكاليفها، والنجاة من مكارهها، وأمّا الفجّار فلِما هم في ذلك من تمحيص أوزارهم، وحبسهم عن الازدياد منها.

وجملة القول: إنّ الخالق تعالى ذكره بحكمته وقدرته قد يصرف هذه الأُمور كلّها إلى الخير[٦] والمنفعة، فكما أنّه إذا قطعت الريحُ شجرةً أو قطعت نخلةً، أخذها الصانع

---

(١) في «أ» «ب»: يردّهم. وفي «ج» «ن»: يزدهم. وفي «د»: يزيدهم. وفي نسخة بدل من «ج»: بردّهم. والمثبت عن نسخة بدل من «ب».

(٢) في «ب» «ج» «د» «ن»: منهم. والمثبت عن «أ» ونسختي بدل من «ب» «ج».

(٣) في نسخة بدل من «ب»: رحمة.

(٤) في «أ» «ب» «د»: «في» بدل «فيه»، وفي نسخة بدل من «ب» كالمثبت.

(٥) في «ج»: يجعل.

(٦) في «أ» «ب» «ج» «د»: الخيرة. وكذا المورد الذي بعده.

الرقيق[١] واستعملها في ضروب من المنافع، فكذلك يفعل المدبّر الحكيم في الآفات التي تنزل بالناس في أبدانهم وأموالهم، فيصيّرها جميعاً إلى الخير والمنفعة.

فإن قال قائل[٢]: ولم تحدث[٣] على الناس؟

قيل له: لكيلا يركنوا إلى المعاصي من طول السلامة فيبالغ الفاجر في ركوب المعاصي، ويفتُر الصالح عن الاجتهاد في البرّ، فإنّ هذين الأمرين جميعاً يغلبان على الناس في حال الخفض والدعة، وهذه الحوادث التي تحدث عليهم تردعهم[٤] وتنبّهم على ما فيه رشدهم، فلو أُخْلُوا[٥] منها لغلوا في الطغيان والمعصية، كما غلا الناس في أوّل الزمان، حتّى وجب عليهم البوار بالطوفان وتطهير الأرض منهم.

[الموت والفناء وانتقاد الجهّال وجواب ذلك]

وممّا ينتقده[٦] الجاحدون للعمدِ والتقديرِ الموتُ والفناء: فإنّهم يذهبون إلى أنّه ينبغي أن يكون الناس مخلّدين[٧] في هذه الدنيا، مبرّئين من[٨] الآفات، فينبغي أن يُساق هذا الأمر إلى غايته، فينظر ما محصوله.

---

(١) في «ج» «د»: الرقيق. وفي نسخة بدل من «ه»: الدقيق.

(٢) ليست في «أ» «ب» «ه» «ن».

(٣) في «ب» «د»: ولم لا يحدث. وأدخلت «لا» في متن «ب» عن نسخة. وفي «ج»: ولم لا تحدث.

(٤) في نسخة بدل من «ب»: تروعهم.

(٥) في «ن»: خَلَوا.

(٦) في «أ» «ب» «ج» «د»: يعتقده.

(٧) في «د»: مُخَلَّين.

(٨) في «ن»: من هذه الآفات.

أفرأيت لو كان كلّ من دخل العالم ويدخله يبقون، ولا يموت أحد منهم، ألم تكن الأرض تضيق بهم حتّى تُعْوِزُهُم المساكن والمزارع والمعائش[١]، فإنّهم ـ والموت يفنيهم أولاً فأولا[٢] ـ يتنافسون في المساكن والمزارع، حتّى تنشب بينهم في ذلك الحروب، وتسفك فيهم الدماء، فكيف كانت تكون حالهم لو كانوا يولدون ولا يموتون، وكان يغلب عليهم الحرص والشره، وقساوة القلوب[٣]، فلو وثقوا بأنّهم لا يموتون لما قنع الواحدُ منهم بشيء يناله، ولا أَفرَجَ لأحد عن شيء يسأله، ولا سلا[٤] عن شيء ممّا يحدث عليه، ثمّ كانوا يملّون الحياة وكلّ شيء من أُمور الدنيا كما قد يملّ الحياة من طال عمره، حتّى يتمنّى الموت والراحة من الدنيا.

فإن قالوا: إنّه كان ينبغي أن يرفع عنهم المكاره والأوصاب حتّى لا يتمنّوا الموت ولا يشتاقوا إليه، فقد وصفنا ما كان يخرجهم إليه من العتوّ والأشر الحامل لهم على ما فيه فساد الدنيا والدين.

وإن قالوا: إنّه كان ينبغي أن لا يتوالدوا كيلا تضيق عنهم[٥] المساكن والمعائش[٦].

قيل لهم: إذا كان يُحرَم أكثر هذا الخلق دخول العالم والاستمتاع بنعم الله تعالى ومواهبه في الدارين جميعاً، إذاً لم يدخل العالم إلّا قرن واحد، لا يتوالدون ولا

---

(١) في «أ» «ب» «ج» «د»: والمعاش. وفي نسخة بدل من «ج» كالمثبت.

(٢) في «ب» «ج»: أوّلاً أوّلاً. وفي نسخة بدل من «ج» كالمثبت.

(٣) في «ج»: القلب. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

(٤) في «ب»: ولا سلّ. وفي نسخة مصححة منها كالمثبت. وفي نسخة بدل من «ج»: ولا بسل.

(٥) في «د»: عليهم.

(٦) في «أ» «ب» «ج» «د»: والمعاش.

يتناسلون.

فإن قالوا: كان يخلق[١] في ذلك القرن الواحد من الناس مثل ما خلق ويخلق إلى انقضاء العالم.

يقال لهم: رجع الأمر إلى ما ذكرنا من ضيق المساكن والمعائش[٢] عنهم، ثمّ لو كانوا لا يتوالدون ولا يتناسلون لذهب موضع الأُنس بالقرابات وذوي الأرحام والانتصار بهم عند الشدائد، وموضع تربية الأولاد والسرور بهم، ففي هذا دليل على أنّ كُلَّ ما تذهب إليه الأوهام ـ سوى ما جرى به التدبير ـ خطأ وسَفاهٌ[٣] من الرأي والقول.

[الطعن على التدبير من جهة أُخرى والجواب عليه]

ولعلّ طاعناً يطعن على التدبير من جهة أُخرى فيقول: كيف يكون هاهنا تدبير، ونحن نرى الناس في هذه الدنيا من عَزَّ بَزَّ[٤]، فالقويّ يظلم ويغصب[٥]، والضعيف يُظلَمُ ويُسام[٦] الخسف، والصالح فقير مبتلى، والفاسق معافى[٧] موسَّع عليه، ومن ركب فاحشة أو انتهك محرّماً لم يعاجل بالعقوبة، فلو كان في العالم تدبير لجرت

---

(١) في «ن»: فإن قالوا إنّه كان ينبغي أن يخلق.

(٢) في «ب»: والمعاش.

(٣) في «ن»: وسفه.

(٤) في نسخة بدل من «ب»: من عزيز وذليل فالقوي. وفي نسخة بدل من «ج»: من غير برٍّ.

(٥) في «أ»: ويغضب.

(٦) في «ن»: ويسالم.

(٧) في «أ» «د»: مُعافٌ.

الأُمور على القياس القائم، فكان الصالح هو المرزوق، والطالح هو المحروم، وكان القويّ يُمْنَع من ظلم الضعيف، والمنتهك للمحارم يعاجل بالعقوبة.

فيقال[١] في جواب ذلك: إنّ هذا لو كان هكذا لذهب موضع الإحسان الذي فُضِّلَ به الإنسان على غيره من الخلق، وحمل النفس على البرّ والعمل الصالح احتساباً للثواب، وثقة بما وعد الله منه[٢]، ولصار الناس بمنزلة الدوابّ التي تُساسُ بالعصا والعلف، ويُلْمَعُ لها بكلّ واحد منهما ساعة فساعة فتستقيم على ذلك، ولم يكن أحد يعمل على يقين بثواب أو عقاب، حتّى كان هذا يخرجهم عن حدّ الإنسيّة إلى حدّ البهائم، ثمّ لا يعرف ما غاب، ولا يعمل إلّا على الحاضر من نعيم الدنيا[٣]، وكان يحدث من هذا أيضاً أن يكون الصالح إنّما يعمل الصالحات[٤] للرزق والسعة في هذه الدنيا، ويكون الممتنع من الظلم والفواحش إنّما يعفّ[٥] عن ذلك لَـتَرَقُّبِ عقوبةٍ تنزل به من ساعته، حتّى تكون أفعال الناس كلّها تجري على الحاضر لا يشوبها[٦] شيء من اليقين بما عند الله، ولا يستحقّون[٧] ثواب الآخرة والنعيم الدائم فيها، مع أنّ هذه الأُمور التي ذكرها الطاعن من الغنى والفقر[٨] والعافية والبلاء ليست بجارية على خلاف قياسه، بل قد تجري على ذلك أحياناً والأمر المفهوم.

---

(١) في «د»: يقال.

(٢) في «ن»: عنه.

(٣) قوله «من نعيم الدنيا» ليس في «أ» «ب» «جـ» «د».

(٤) ليست في «ن».

(٥) في «ن»: يكفّ.

(٦) في «د»: والّا يشوبها. وفي «ن»: لا يشوبه.

(٧) في «جـ»: ولا يستحقّوا. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

(٨) في «جـ»: الغنيّ والفقير.

فقد ترى كثيراً من الصالحين يُرزقون المال لضروب من التدبير، وكيلا يسبق إلى قلوب الناس أنّ الكفّار هم المرزوقون، والأبرار هم المحرومون، فيؤثرون الفسق على الصلاح، وترى كثيراً من الفسّاق يُعاجَلُون بالعقوبه إذا تفاقم طغيانهم وعظم ضررهم على الناس وعلى أنفسهم كما عوجل فرعون بالغرق، وبخت نصّر بالتيه، وبلبيس[١] بالقتل، وإن أُمهل بعض الأشرار بالعقوبة، وأُخّر بعض الأخيار بالثواب إلى الدار[٢] الآخرة لأسباب تخفى على العباد[٣] لم يكن هذا ممّا يبطل التدبير، فإنّ مثل هذا قد يكون من ملوك الأرض ولا يبطل تدبيرهم، بل يكون تأخيرهم ما أخّروه، أو[٤] تعجيلهم ما عجّلوه داخلاً في صواب الرأي والتدبير، وإذا كانت الشواهد تشهد، وقياسهم يوجب أنّ للأشياء خالقاً حكيماً قادراً، فما يمنعه أن يدبّر خلقه؟ فإنّه لا يصحّ[٥] في قياسهم أن يكون الصانع يهمل صنعته إلّا بإحدى ثلاث خلال: إمّا عجز وإمّا جهل وإمّا شرارة، وكلّ هذه[٦] محال في صنعته عزّ وجلّ وتعالى ذكره.

وذلك أنّ العاجز لا يستطيع أن يأتي بهذه[٧] الخلائق الجليلة العجيبة، والجاهل لا يهتدي لما فيها[٨] من الصواب والحكمة، والشرّير لا يتطاول لخلقها وإنشائها،

---

(١) في «أ»: بُلْبَيْس. وشرحت في الهامش: اسم ملك هذا البلد سمّي باسم البلد. وفي «د»: ويلبس بالقتل.

(٢) في «د»: دار.

(٣) في هامش «ب»: على الناس. صح.

(٤) في «ن»: وتعجيلهم.

(٥) في «ن»: لا يصلح.

(٦) في «ن»: هذا.

(٧) في «ب» «ج» «د»: هذه. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

(٨) في «ج»: فيه. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

وإذا كان هذا هكذا وجب أن يكون الخالق لهذه الخلائق يدبّرها لا محالة، وإن كان لا يُدرَك[١] كنه ذلك التدبير ومخارجه، فإنّ كثيراً من تدبير الملوك لا تفهمه العامّة ولا تعرف أسبابه، لأنّها لا تعرف دُخلة[٢] أمر الملوك وأسرارهم، فإذا عُـرِف سـببه وجد قائماً على الصواب، والشاهدُ المحنةُ[٣].

ولو شككت في بعض الأدوية والأطعمة فتبيّن[٤] لك من جهتين أو ثلاث أنّـه حارّ أو بارد، ألم تكن ستقضي عليه بذلك وتنفي الشكّ فيه عن نفسك؟ فما بال هؤلاء الجهلة لا يقضون على العالَم بالخلق[٥] والتدبير مع هذه الشواهد الكثيرة وأكثر منها ما لا يحصى كثرةً، و[٦]لو كان نصف العالم وما فيه مشكلاً صوابه لما كان من حزم الرأي وسمت[٧] الأدب أن يقضى على العالم بالإهمال؛ لأنّه كان في النصف الآخر وما يظهر فيه من الصواب والإتقان[٨] ما يردع الوهم عن التسرّع إلى[٩] هـذه القضيّة، فكيف وكُلُّ ما فيه إذا فُتِّشَ وُجِدَ على غايه الصواب حتّى لا يخطر بالبال شيء إلّا وجد ما عليه الخلقة أصحّ وأصوب منه.

---

(١) في نسخة بدل من «ج»: ندرك.

(٢) في «ن»: دخيلة.

(٣) في «أ» «ب» «ج» «د»: والشاهد والمحنة. وفي نسخة بدل من «ب» كالمثبت. وهي التـي شرحها المجلسي في بيانه.

(٤) في «ب» «ن»: فيتبيّن. وفي نسخة بدل من «ب» كالمثبت.

(٥) في «أ» «ب» «ج» «د»: بالخالق.

(٦) الواو ليست في «ب» «د».

(٧) في «أ» «ج» «د»: وسِمة.

(٨) في «ن»: وإتقان.

(٩) في «ج»: عن الشروع في هذه القضيّة. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

[اسم هذا العالم بلسان اليونانيّة]

واعلم يا مفضّل أنّ[١] اسم هذا العالم بلسان اليونانيّة الجاري المعروف عندهم «قوسموس»[٢] وتفسيره «الزينة» وكذلك سمّته الفلاسفة ومن ادّعى الحكمة، أفكانوا[٣] يسمّونه بهذا الاسم إلّا لما رأوا فيه من التقدير والنظام؟! فلم يرضوا أن يسمّوه تقديراً ونظاماً حتّى سمّوه زينة، ليخبروا أنّه مع ما هو[٤] عليه من الصواب والإتقان، على غاية الحسن والبهاء.

[عمى ماني عن دلائل الحكمة وادّعاؤه علم الأسرار]

أعجب يا مفضّل من قوم لا يقضون على صناعة الطبّ بالخطأ، وهم يرون الطبيب يخطئ، ويقضون على العالَم بالإهمال، ولا يرون شيئاً منه مهملاً، بل أعجب من أخلاق من ادّعى الحكمة، حتّى جهلوا مواضعها في الخلق، فأرسلوا ألسنتهم بالذمّ للخالق جلّ وعلا.. بل العجب من المخذول «ماني»[٥] حين ادّعى علم الأسرار وعَمِيَ عن[٦] دلائل الحكمة في الخلق حتّى نسبه إلى الخطأ ونسب خالقه إلى الجهل تبارك الحكيم[٧] الكريم.

---

(١) أدخلت في «ج» عن نسخة.

(٢) في «د» ونسخة بدل من «ب»: فرسموس. وفي نسخة بدل من «ج»: قوقموس.

(٣) في «ن»: أفكانا.

(٤) أدخلت في «ج» عن نسخة.

(٥) ليست في «ج».

(٦) في «د»: عن ذكر دلائل.

(٧) في «ب»: الحليم.

[انتقاد المعطّلة فيما راموا أن يدركوا بالحسّ ما لا يدرك بالعقل]

وأعجبُ منهم جميعاً المعطّلةُ الذين راموا أن يدركوا[١] بالحسّ ما لا يدرك بالعقل، فلمّا أعوزهم ذلك خرجوا إلى الجحود والتكذيب، فقالوا: ولِمَ لا يدرك بالعقل؟

قيل: لأنّه فوق[٢] مرتبة العقل، كما لا يدرك البصر[٣] ما هو فوق مرتبته، فإنّك لو رأيت حجراً يرتفع في الهواء علمت أنّ رامياً رمى به، فليس هذا العلم من قِبَل البصر، بل من قِبَل العقل، لأنّ العقل هو الذي يميّزه، فيعلم أنّ الحجر لا يذهب علوّاً من تلقاء نفسه، أفلا ترى كيف وقف البصر على حدّه، فلم يتجاوزه، فكذلك[٤] يقف العقل على حدّه من معرفة الخالق فلا يعدوه، ولكن يعقله بعقل أقرّ أنّ فيه نفساً ولم يعاينها، ولم يدركها بحاسّة من الحواسّ.

[معرفة العقل للخالق معرفة إقرار لا معرفة إحاطة]

وعلى حسب هذا أيضاً نقول: إنّ العقل يعرف الخالق من جهةِ ما يوجب[٥] عليه الإقرار، ولا يعرفه بما يوجب[٦] له الإحاطة بصفته.

فإن قالوا: فكيف يكلَّفُ العبدُ الضعيفُ معرفته بالعقل اللطيف، ولا يحيط به؟

---

(١) في «أ» «د»: يُدرك.

(٢) في نسخة من «أ»: «في» بدل «فوق».

(٣) في «ج»: بالبصر. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

(٤) في «د»: وكذلك.

(٥) في «أ» «ب» «د» «ن»: من جهةٍ توجب.

(٦) في «أ» «د»: يوجبه. وفي «ج»: بما يوجبه الإحاطة.

قيل لهم: إنّما كُلِّف العباد من ذلك ما في طاقتهم أن يبلغوه، وهو أن يوقنوا بـه ويقفوا عند أمره ونهيه، ولم يكلّفوا[١] الإحاطة بصفته، كما أنّ الملك لا يكلّف رعيّته أن يعلموا أطويل هو[٢] أم قصير، و[٣]أبيض هو أم أسمر، وإنّما يكلّفهم الإذعـان لسلطانه[٤]، والانتهاء إلى أمره.

ألا ترى أنّ رجلاً لو أتى باب الملك فقال: اعرض عليّ نفسك حتّى أتقصّى[٥] معرفتك وإلّا لم أسمع لك، كان قد أحلّ نفسه العقوبة[٦]، فكذا[٧] القائلُ أنّه لا يقرّ بالخالق سبحانه حتّى يحيط بكنهه، متعرِّضٌ[٨] لسخطه.

فإن قالوا: أوليس قد نَصِفُه فنقول: هو العزيز الحكيم الجواد الكريم؟

قيل لهم: كلّ هذه صفات إقرار، وليست صفات إحاطة، فإنّا نعلم أنّه حكيم ولا نحيط[٩] بكنه ذلك منه، وكذلك قدير وجواد وسائر صفاته، كما قد نرى[١٠] السماء ولا[١١] ندري ما جوهرها، ونرى البحر ولا ندري أين منتهاه، بل فوق هذا المثال بما

---

(١) في «د» ونسخة بدل من «ب»: يكلّف.

(٢) ليست في «أ» «ب» «د».

(٣) الواو ليست في «أ» «ب».

(٤) في «ب»: بسلطانه.

(٥) في «ج»: انقضى. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

(٦) في «ن» ونسخة بدل من «ب»: بالعقوبة.

(٧) في «ج» «د»: فهكذا.

(٨) في «ن»: متعرّضاً.

(٩) في «ب» «ن»: «ولا نعلم» بدل «ولا نحيط».

(١٠) في «د»: كما قد ترى السماء ولا تدري ... وترى ... ولا تدري.

(١١) في «ج»: وما ندري. وفي «د»: ولا تدري. وفي «ن»: فلا ندري.

لا نهاية له[١]؛ لأنّ[٢] الأمثال كلّها تقصر عنه، ولكنّها تقود العقل إلى معرفته.

فإن قالوا: ولِمَ يُخْتَلَفُ فيه؟

قيل لهم: لقصر الأوهام عن مدى عظمته، وتعدّيها أقدارها في طلب[٣] معرفته، وانّها تروم الإحاطة به، وهي تعجز عن ذلك وما دونه.

[الشمس واختلاف الفلاسفة في وضعها وشكلها ومقدارها]

فمن ذلك هذه الشمس التي تراها تطلع على العالم ولا يوقف على حقيقة أمرها، ولذلك كثرت الأقاويل فيها، واختلفت[٤] الفلاسفة المذكورون في وصفها:

فقال بعضهم: هو فلك أجوف مملوء ناراً، له فم يجيش بهذا الوهج والشعاع.

وقال آخرون: هو سحابة[٥].

وقال آخرون: هو جسم زجاجيّ، يقبل[٦] نارية في العالم، ويرسل عليه[٧] شعاعها.

وقال آخرون: هو صفو لطيف ينعقد من[٨] ماء البحر.

وقال آخرون: هو أجزاء كثيرة مجتمعة من النار.

---

(١) ليست في «ج».

(٢) في «ن»: ولأنّ.

(٣) ليست في «د».

(٤) في «ب»: واختلف. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

(٥) في «ج»: سبحانه. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

(٦) في «ج»: تقبل. وفي «ن»: يقلّ.

(٧) في «ج» «د»: عليها.

(٨) في «د»: عن. وهي ليست في «ن».

وقال آخرون: هو من جوهر خامس سوى الجواهر الأربعة.

ثمّ اختلفوا في شكلها:

فقال بعضهم: هي بمنزلة صفيحة عريضة.

وقال آخرون: بل[١] هي أعظم[٢] كالكرة المدحرجة.

وكذلك اختلفوا في مقدارها:

فزعم بعضهم أنّها مثل الأرض سواء.

وقال آخرون: بل هي أقلّ من ذلك.

وقال آخرون: بل هي أعظم من الجزيرة العظيمة.

وقال أصحاب الهندسة: هي أضعاف الأرض مائة وسبعين مرّة.

ففي اختلاف هذه الأقاويل منهم في الشمس دليل على أنّهم لم يقفوا على الحقيقة من أمرها، وإذا[٣] كانت هذه الشمس التي يقع عليها البصر، ويدركها الحسّ، قد عجزت العقول عن الوقوف على حقيقتها، فكيف ما لطف عن الحسّ واستتر عن الوهم؟!

فإن قالوا: ولم استتر؟

قيل لهم[٤]: لم يستتر بحيلة يخلص إليها ـ كمن يحتجب عن[٥] الناس بالأبواب والستور ـ وإنّما معنى قولنا «استتر»[٦] أنّه لطف عن مدى ما تبلغه الأوهام، كما

---

(١) ليست في «ب» «ج» «ن».

(٢) ليست في «ب» «ج» «ن».

(٣) في «ج» «د» «ن»: فإذا.

(٤) ليست في «ج».

(٥) في «ن»: من.

(٦) في «ج»: استتر عنه أنّه.

لطفت النفس، وهي خلق[١] من خلقه، وارتفعت عن إدراكها بالنظر.

فإن قالوا: ولِمَ لطف و[٢]تعالى عن ذلك علوّاً كبيراً؟

كان ذلك خطأ من القول، لأنّه لا يليق بالذي هو خالق كلّ شيء إلّا أن يكون مبايناً لكلّ شيء، متعالياً عن كلّ شيء سبحانه وتعالى.

[الحقّ الذي تطلب معرفته من الأشياء أربعة أوجه وتفصيل ذلك]

فإن قالوا: كيف يعقل أن يكون مبايناً لكلّ شيء متعالياً عن كلّ شيء[٣]؟

قيل لهم: الحقّ[٤] الذي تطلب معرفته من الأشياء هو أربعة أوجه:

فأوّلها: أن ينظر أموجود هو أم ليس بموجود؟

والثاني: أن يعرف ما هو في ذاته وجوهره؟

والثالث: أن يعرف كيف هو وما[٥] صفته؟

والرابع: أن يعلم لماذا هو ولأيّة[٦] علّة؟

فليس من هذه الوجوه شيء يمكن المخلوق[٧] أن يعرفه من الخالق حقّ معرفته، غير أنّه موجود فقط. فإذا قلنا: وكيف؟ وما هو؟ فممتنع علم كنهه، وكمال المعرفة به،

---

(١) في نسخة بدل من «ج»: خلو.

(٢) الواو ليست في «ن».

(٣) قوله «عن كلّ شيء» ليس في «أ» «ب» «ج». وقوله «متعالياً عن كلّ شيء» ليس في «د».

(٤) في نسخة بدل من «ب»: لِحقّ.

(٥) في «د»: وما في صفته.

(٦) في «أ» «ن»: ولأيّ.

(٧) في «أ» «د»: يمكن من المخلوق. وفي «ن»: للمخلوق.

وأمّا لماذا هو؟ فساقط في صفة الخالق، لأنّه جلّ ثناؤه[١] علّة كلّ شيء، وليس شيء بعلّة له، ثمّ ليس علم الإنسان بأنّه موجود يوجب[٢] له أن يعلم ما هو وكيف هو؟ كما أنّ علمه بوجود النفس لا يوجب أن يعلم ما هي وكيف هي؟ وكذلك الأُمور الروحانيّة اللطيفة.

فإن قالوا: فأنتم الآن تصفون من قصور العلم عنه وصفاً حتّى كأنّه غير معلوم؟

قيل لهم[٣]: هو كذلك من جهةٍ إذا رام العقل معرفة كنهه والإحاطة به، وهو من جهة أُخرى أقرب من كلّ قريب إذا استدلّ عليه بالدلائل الشافية[٤]، فهو من جهة كالواضح لا يخفى على أحد، وهو من جهة كالغامض لا يدركه أحد، وكذلك العقل أيضاً ظاهر بشواهده[٥] ومستور بذاته.

[أصحاب الطبائع ومناقشة أقوالهم]

فأمّا أصحاب الطبائع فقالوا: إنّ الطبيعة لا تفعل شيئاً لغير معنى ولا تتجاوز[٦] عمّا فيه تمام الشيء في طبيعته[٧]، وزعموا أنّ المحنة[٨] تشهد بذلك، فقيل لهم: فمن أعطى الطبيعة هذه الحكمة والوقوف على حدود الأشياء بلا مجاوزة لها وهذا قد

---

(١) في «أ» ونسخة بدل من «ج»: جلّ شأنه.

(٢) في «أ» «ب» «ج» «د»: موجب.

(٣) في «أ» «ب» «ج» «د»: له. وفي نسخة بدل من «ج» كالمثبت.

(٤) في نسخة بدل من «ج»: الشاهدة.

(٥) في «ب» «د»: بشواهد. وفي «ج»: بالشواهد.

(٦) «تتجاوز» ليست في «أ» «ج» «د» «ن». واستُظهرت في «ب» فقط.

(٧) في «ج»: طبقته. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

(٨) في «ن»: الحكمة.

تعجز عنه العقول بعد طول التجارب؟

فإن أوجبوا للطبيعة الحكمة والقدرة على مثل هذه الأفعال، فقد أقرّوا بما أنكروا، لأنّ هذه هي[١] صفات الخالق.

وإن أنكروا أن يكون هذا للطبيعة، فهذا وجه الخلق يهتف بأنّ الفعل للخالق الحكيم، وقد كان من القدماء طائفة أنكروا العمد والتدبير في الأشياء، وزعموا أنّ كونها بالعرض والاتفاق وكان ممّا احتجّوا به هذه الآيات[٢] التي تكون على[٣] غير مجرى العرف والعادة، كالإنسانِ[٤] يولد ناقصاً أو زائداً إصبعاً، أو يكون المولود[٥] مشوّهاً مبدّل الخلق، فجعلوا هذا دليلاً على أنّ كون الأشياء ليس بعمد وتقدير بل بالعرض كيفما اتفق[٦] أن يكون.

وقد كان أرسطاطاليس ردّ عليهم فقال: إنّ الذي يكون بالعرض والاتفاق إنّما هو شيء يأتي في الفرط مرّة لأعراض تعرض للطبيعة، فتزيلها[٧] عن سبيلها، وليس بمنزلة الأُمور الطبيعيّة الجارية على شكل واحد جرياً دائماً متتابعاً.

وأنت يا مفضّل ترى أصناف الحيوان تجري[٨] أكثرَ ذلك على مثال ومنهاج واحد، كالإنسان يولد وله يدان ورجلان وخمس أصابع، كما عليه الجمهور من

---

(١) في «أ»: «في» بدل «هي».

(٢) في نسخة بدل من «ج»: الاناث.

(٣) في «أ» «ب» «ج» «د»: «تلد» بدل «تكون على».

(٤) في «ن»: كإنسان.

(٥) في «ج»: المولّد.

(٦) في نسخة من «ب»: كيف كان ما اتّفق. حيث أُدخلت «كان» عن نسخة.

(٧) في «د»: وتزيلها.

(٨) في «ب» «ن»: أن يجري. وأدخلت «أن» في متن «ب» عن نسخة. وفي جميع النسخ عدا «د» يجري.

الناس، فأمّا ما يولد على خلاف ذلك فإنّه لعلّة تكون في الرحم، أو في المادة التي يُنْشَأُ منها الجنين، كما يعرض في الصناعات حين يتعمّد الصانع الصواب في صنعته، فيعوق دون ذلك عائق في الأداة أو في الآلة التي يعمل فيها الشيء، فقد[1] يحدث مثل ذلك في أولاد الحيوان للأسباب[2] التي وصفنا فيأتي الولد زائداً أو ناقصاً أو مشوّهاً، ويسلم أكثرها فيأتي سويّاً لا علّة فيه، فكما أنّ الذي يحدث في بعض أعمال[3] الأعراض لعلّة فيه لا يوجب[4] عليها جميعاً الإهمال وعدم الصانع، كذلك ما يحدث على بعض الأفعال الطبيعيّة لعائق يدخل عليها لا يوجب[5] أن يكون جميعها[6] بالعرض والاتفاق. فقول من قال في الأشياء أنّ كونها بالعرض والاتفاق ـ من قِبَلِ[7] أنّ شيئاً منها يأتي على خلاف الطبيعة بعرضٍ[8] يعرض له ـ خطأ وخطل.

فإن قالوا: ولم صار مثل هذا يحدث في الأشياء؟

قيل هم: ليُعلم أنّه ليس كون الأشياء باضطرار من الطبيعة، ولا يمكن أن يكون سواه ـ كما قال قائلون[9] ـ بل هو تقدير وعمد من خالق حكيم، إذ جعل

---

(١) في «أ» «ج» «د»: وقد.

(٢) في «ب»: الأسباب.

(٣) في «أ» «ب»: الأعمال. وفي نسخة بدل من «ب» كالمثبت.

(٤) في «أ» «ب» «د»: لا توجب.

(٥) في «د»: لا توجب.

(٦) في «ج»: جميعاً. وفي نسخة بدل منها كالمثبت.

(٧) في «ن»: قبيل.

(٨) في «د»: لعرض.

(٩) في «أ»: قائلون به. وفي «ن»: القائلون.

الطبيعة[١] تجري أكثر ذلك على مجرى ومنهاج معروف، و[٢]تزول[٣] أحياناً عن ذلك لأعراض تعرض لها، فيستدلّ بذلك على أنّها مصرَّفة مدبَّرة فقيرة إلى إبداء الخالق وقدرته في بلوغ غايتها، وإتمام عملها، تبارك الله أحسن الخالقين.

يا مفضّل، خذ ما آتيتك، واحفظ ما منحتك، وكن لربّك من الشاكرين، ولآلائه من الحامدين، ولأوليائه من المطيعين، فقد شرحتُ لك من الأدلّة على الخلق، والشواهد على صواب التدبير[٤] والعمد، قليلاً من كثير، وجزءاً من كلّ، فتدبّره وفكّر[٥] فيه واعتبر به.

فقلت: بمعونتك يا مولاي أقوى[٦] على ذلك، وأبلغه إن شاء الله.

فوضع يده على صدري فقال: احفظ بمشيئة الله، ولا تنس إن شاء[٧] الله، فخررت مغشيّاً عليّ[٨]، فلمّا أفقت قال: كيف ترى نفسك يا مفضّل؟ فقلت: قد استغنيتُ بمعونة مولاي وتأييده عن الكتاب الذي كتبته، وصار ذلك بين يديَّ كأنّما أقرأه من كفّي، فلمولاي الحمد والشكر كما هو (أهله و)[٩] مستحقّه.

فقال: يا مفضّل، فرّغ قلبك واجمع إليك ذهنك وعقلك وطمأنينتك، فسألقي[١٠]

---

(١) في «ن»: للطبيعة.
(٢) الواو ليست في «أ».
(٣) في «ب» «ج» «د»: ويزول.
(٤) في نسخة بدل من «ج»: صواب العمد والعمد.
(٥) في «أ» «ج» «د»: وذكّر.
(٦) في «ن»: أقرّ.
(٧) في «ج»: ولا تنس بمشيئة الله.
(٨) ليست في «أ» «ج» «د».
(٩) لسيت في «ج».
(١٠) في نسخة بدل من «ج»: فسأُبقي.

إليك[1] من علم ملكوت السماوات والأرض ـ وما خلق الله بينهما وفيهما من عجائب خلقه، وأصناف الملائكة، وصفوفهم ومقاماتهم ومراتبهم إلى سدرة المنتهى، وسائر الخلق من الجنّ والإنس إلى الأرض السابعة السفلى وما تحت الثرى ـ حتّى يكون ما وعيته جزءاً من أجزاء، انصرف إذا شئت مصاحَباً مكلوءاً، فأنت منّا بالمكان الرفيع، وموضعك من قلوب المؤمنين موضع الماء من الصدى، ولا تسألنّ عمّا وعدتك حتّى أُحدِثَ لك منه ذكراً.

قال المفضّل: فانصرفتُ من عند مولاي بما لم ينصرف أحد بمثله[2].

---

(١) في «د»: عليك.

(٢) في «أ»: وقع الفراغ من نسخه في يوم الجمعة الثاني والعشرين من شعبان سنة أربع وسبعين بعد الألف، على يد العبد الجاني حسين بن شمس الدين محمّد الاصفهاني، حامداً لله تعالى مصلّياً مسلّماً.

في «ج»: قد تمّ الأحاديث. فرغت من كتابته بعون الله وَمَنِّه في عصر يوم السبت الخامس عشر من شهر ربيع الأوّل من شهور سنة اثني وتسعين وألف في بلدة رشت صانها الله تعالى من الحدثان. وكاتبه أقلّ الخليقة عملاً وأكثرهم زللاً جعفر بن الغازي الرازي عفي عنهما بالنبي والوصي وآلهما.

وكتب في هامشها: قوبل وصحّح بقدر الوسع والطاقة والشروع في مقابلته واتمامه أيضاً في يوم الأحد الثاني يوم ختم كتابته. والحمد لله أوّلاً وآخراً وظاهراً وباطناً.

في «د»: والحمدُ لله ربّ العالمين. وكتب في الحاشية: بلغ مقابلة بحمد الله تعالى نسخة عليها الاعتماد فصحّ إن شاء الله تعالى، وكان ذلك في عصر اليوم التاسع من شهر محرّم الحرام مفتتح السنة ١٠٨٠ الثمانين بعد الألف، وأنا أقلّ خلق الله تعالى وعبده صالح بن عبدالكريم البحراني عفي عن والديه وعنه.

بما ان المجلس الخامس من هذا الكتاب من صفحه ٢٢٥ الى ٢٣٤ لم يكن مأخوذاً من نسخته المخطوطة بل من بعض الكتب الناقلة عنه ورأينا فيه بعض ما لايوافق عقيدة الشيعة، فلذلك حذفناه من النسخة المطبوعة بعد ما طبع بضمنه.

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمدُللّه ربّ العالمين، و الصلاة على سيّدنا محمّد و آله الطيّبين الطاهرين.

و بعد، فلمّا وفق الله سبحانه و تعالى لإتمام تحقيق متن كتاب فكّر المعروف بتوحيد المفضّل، و إخراج نصّه بأفضل و أصح شكل ممكن، رأينا أن نلحق به شروح و تعليقات العلاّمة محمّد باقر المجلسيّ ﷺ التي زيّن بها الكتاب، و كشف عن بعض غوامضه، و أبان بعض ما خفي من معانيه، لأنّ فيها فوائد جمّة لا غنى عنها لمن يريد الوقوف على مرامي الكتاب و مغازيه و معانيه.

خصوصاً، و إنَّ تحقيق هذا المتن الشريف جاء في ضمن سلسلة مصادر بحارالأنوار، فكان من الضروريّ أن يقف القارئ على ما جاد به قلم العلاّمة المجلسي في هذا المجال.

و قد جعلنا هذه الشروح ملحقةً بالمتن و لم نضعها في الهامش حفاظاً على وحدة النصّ و اختلافات النسخ، و تخليصاً للهوامش من التطويل، و لكي لا يقف القارئ

على ركام هائل من التعليقات، فلكلّ ذلك ذكرنا الشروح ملحقةً و أشرنا في الهامش إلى الصفحة و السطر المذكور فيهما النصّ المشروح، و أشرنا أيضاً في الهوامش إلى اختلاف النسخ التي ذكرها العلاّمة المجلسي في شرحه و لم ترد في نسخنا، كما نبهنا في الهامش على الاختلافات بين النص الذي شرحه العلاّمة المجلسي و النصّ الذي انتخبناه في المتن إن كان ثمة اختلاف.

هذا، و قد رجونا بهذا العمل وجه الله تعالى، فإن كان الصواب حليفنا فللّه الحمد و المنّة، و إلّا فلتسعه عين الرضا.

شروح و تعليقات العلّامة المجلسي رحمه الله

[١] الحَوْزُ(١): الجمعُ، وكلُّ من ضمَّ إلى نفسه شيئاً فقد حازَهُ.

[٢] الحُظْوَة(٢) ـ بالضمّ والكسر والحاء المهملة والظاء المعجمة ـ: المكانةُ والمنزلةُ.

[٣] الفَيْلَسُوفُ(٣): العالِمُ.

[٤] خَسَأَ البصرُ(٤)، أي كَلَّ.

[٥] النّامُوسُ(٥): صاحب السرِّ المُطَّلِعُ على [باطِنِ] أمركَ، أو صاحبُ سِرِّ الخَيرِ، وجِبرئيلُ عليه السلام، والحاذِقُ ومَن يَلطُفُ مَدْخَلُهُ، ذكرها

---

(١) في قول ابن أبي العوجاء: «وحازَ الشَّرَفَ»، الصفحة ٦٦، السطر ١.

(٢) في قول ابن أبي العوجاء: «ونال الحظوة»، الصفحة ٦٦، السطر ٢.

(٣) في قول صاحب ابن أبي العوجاء: «إنّه كان فيلسوفاً»، الصفحة ٦٦، السطر ٣.

(٤) في قول صاحب ابن أبي العوجاء: «فرجعت خاسئات»، الصفحة ٦٦، السطر ٥.

(٥) في قول صاحب ابن أبي العوجاء: «باسم ناموسه»، الصفحة ٦٦، السطر ٦.

الفيروزآباديُّ[١]، ومراده هنا الربُّ تعالى شأنه.

[٦] خَمَلَ ذِكْرُهُ[٢]: خَفِيَ. والخاملُ: السّاقطُ الذي لا نباهةَ لَهُ.

[٧] وقوله: «الذي يمشى به»[٣] أي يذهب إلى دين محمّد ﷺ وغيره بسببه، أو يُهتَدى به كقوله تعالى: ﴿ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ ﴾[٤]. وفي بعض النسخ «يسمى» إمّا بالتشديد أي يذكر اسمه، أو بالتخفيف أي يرتفع الناسُ به ويدّعون الانتساب إليه.

[٨] صَدَقَكَ[٥] ـ بالتخفيف ـ أي قال لكَ صِدْقاً.

[٩] «لَطيفُ حِسِّكَ»[٦] أي حِسُّك اللَّطيفُ، أي لم يلتبس على حسّك غرائبُ صنعِ الله فيك لمعاندتك للحقِّ. وفي بعض النسخ «حُسْنِكَ»[٧]، فالمرادُ بِصِدْقِ الحُسْنِ ظهورُ ما أخفى الله فيه منه على الناظر. وعلى الوجهين يُمكنُ أن يُقرأ صَدَّقَكَ ـ بالتشديد ـ بتكلُّفٍ لا يخفى على المتأمّل.

[١٠] الرَّزينُ[٨]: الوَقُورُ.

[١١] الرَّصينُ[٩] ـ بالصاد المهملة ـ: المُحْكَمُ الثّابتُ.

---

(١) القاموس المحيط ٢: ٢٥٦.

(٢) في قول صاحب ابن أبي العوجاء: «ولئلّا يخمل أَمره»، الصفحة ٦٦، السطر ١٠.

(٣) هو قول ابن أبي العوجاء، الصفحة ٦٦، السطر ١٢.

(٤) الأنعام: ١٢٢.

(٥) في قول المفضّل: «وصدقك لطيف حسِّك»، الصفحة ٦٧، السطر ٥.

(٦) الصفحة ٦٧، السطر ٥.

(٧) لم يرد هذا الوجه في نسخنا.

(٨) في قول ابن أبي العوجاء في الصادق عليه السلام: «وإنّه للحليم الرزين»، الصفحة ٦٧، السطر ١٠.

(٩) في قول ابن أبي العوجاء في الصادق عليه السلام: «العاقل الرصين»، الصفحة ٦٧، السطر ١٠.

[١٢] الخُرْقُ[١] ـ بالضمّ ـ: ضِدُّ الرِّفقِ.

[١٣] النَّزَقُ[٢]: الطَّيشُ والخِفَّةُ عندَ الغضبِ.

[١٤] قوله: «استفرغنا»[٣] لعلّه من الإفراغ بمعنى الصبّ، قال الفيروزآبادي: استَفْرَغَ مَجْهُودَهُ: بذلَ طاقَتَهُ[٤].

[١٥] الإِدحاضُ[٥]: الإِبطالُ.

[١٦] أَسناها[٦]، أَي أَرفعها أو أَضْوَأها.

[١٧] المُهَيْمِنُ[٧]: الأَمينُ والمُؤتَمَنُ والشَّاهِدُ.

[١٨] «قاتَلَهُمُ اللهُ»[٨]، أَي قَتَلَهُمْ، أَو لَعَنَهُمْ.

[١٩] «أَنَّى يُؤْفَكُون»[٩]: كيف يُصرَفُونَ عَنِ الحَقِّ.

[٢٠] قال الجوهريّ: ظَلَّ يَتَذَمَّرُ عَلى فُلانٍ، إذا تَنَكَّرَ لهُ وأَوعَدَهُ، انتهى[١٠].

---

(١) في قول ابن أبي العوجاء في الصادق ﵇: «لايعتريه خُرقٌ»، الصفحة ٦٧، السطر ١١.

(٢) في قول ابن أبي العوجاء في الصادق ﵇: «لايعتريه خُرقٌ ... ولا نَزَق»، الصفحة ٦٧، السطر ١١.

(٣) في قول ابن أبي العوجاء: «حتّى إذا استفرغنا»، الصفحة ٦٧، السطر ١٢.

(٤) القاموس المحيط ٣: ١١١.

(٥) في قول ابن أبي العوجاء في الصادق ﵇: «دَحَضَ حجّتنا» و في نسخة المجلسي «أدحض حجتنا»، الصفحة ٦٧، السطر ١٢.

(٦) الصفحة ٧٠، السطر ١.

(٧) الصفحة ٧٠، السطر ١.

(٨) الصفحة ٧٠، السطر ١٢.

(٩) الصفحة ٧٠، السطر ١٢.

(١٠) الصحاح ٢: ٦٦٥. و انظر قول الإمام ﵇ في الصفحة ٧١، السطر ٦.

[٢١] غَرَبَتْ(١) بمعنى غابَتْ.

[٢٢] الإربُ(٢) ـ بالفتح(٣) والكسر ـ: الحاجةُ.

[٢٣] «ووَصْفه بالإحالة» أي بأنّه يستحيل أَن يكون له خالق مدبّر، أو يستحيل أَن يكون من فعله تعالى.

[٢٤] المانويّة(٤): فرقة من الثنويّة أصحاب ماني الذي ظهر في زمان سابور ابن أردشير، وأحدث ديناً بين المجوسيّة والنصرانيّة، وكان يقول بنبوّة المسيح ـ على نبيّنا وآله وعليه السلام ـ ولا يقول بنبوّة موسى ـ على نبيّنا وآله وعليه السلام ـ وزعم أنّ العالَمَ مصنوعٌ مركَّبٌ من أصلين قديمين: أحدهما نور والآخر ظلمة، وهؤلاء ينسبون الخَيراتِ إلى النُّور، والشُّرورَ إلى الظُّلْمة، وينسبون خلق السباع والمؤذيات والعقارب والحيّات إلى الظُّلْمةِ، فأشار عليه السلام إلى فساد وهمهم بأنّ هذا لجهلهم بمصالح هذه السباع والعقارب والحيّات التي يزعمون أنّها من الشُّرُورِ التي لا يليق بالحكيم خلقُها.

[٢٥] قوله عليه السلام: «المُعَلِّلِينَ»(٥) أي الشّاغلين أنفسهم عن طاعة ربّهم بأُمور يحكم العقل السليم باستحالته. قال الفيروزآبادي: عَلَّلَهُ بطَعامٍ وغَيْرِهِ

---

(١) الصفحة ٧١، السطر ٧. و الرواية التي رجحناها في المتن «عَزَبَتْ» بالزاي.

(٢) الصفحة ٧١، السطر ١٠.

(٣) لم أقف على «الأَرْب» بمعنى الحاجة، و إنّما نصّوا على الأَرَب و الإِرْب، فكأنّ صواب العبارة: «الإِرْب بالكسر و بفتحتين: الحاجة».

(٤) الصفحة ٧١، السطر ١١. و الذي رجحناه في المتن «المنّانية»، و كلاهما نسبة إلى ماني.

(٥) الصفحة ٧٢، السطر ١.

تَعْلِيلاً: شَغَلَهُ بِهِ[(١)].

[٢٦] قال الفيروزآبادي: نَضَدَ مَتاعَهُ يَنْضِدُهُ: جَعَلَ بعضَهُ فوقَ بعضٍ، فهو مَنْضُودٌ، انتهى[(٢)].

[٢٧] التَّخْوِيلُ[(٣)]: الإِعطاءُ والتَّمليكُ.

[٢٨] قوله عليه السلام: «وأنّ الخالق له واحد»[(٤)] أقول: أشار عليه السلام بذلك إلى أقوى براهين التوحيد، وهو أنّ ائتلاف أجزاء العالم واحتياج بعضها إلى بعض وانتظام بعضها ببعض، يدلّ على وحدة مدبّرها، كما أَنّ ارتباط أجزاء الشخص بعضها ببعض وانتظام بعض أعضائه مع بعض يدلُّ على وحدة مدبّره. وقد قيل في تطبيق العالَم الكبير على العالَم الصغير لطائفُ لا يسع المقام ذكرها، وربّما يستدلّ عليه أيضاً بما قد تقرّر من أنّ المتلازِمَين إمّا أن يكون أحدُهما علّةً للآخر، أو هما معلولا علّة ثالثة.

[٢٩] الأَديمُ[(٥)]: الجِلدُ.

[٣٠] الطَّلْقُ[(٦)]: وَجَعُ الوِلادةِ.

[٣١] يقال: أَزْعَجَهُ[(٧)]، أَي قَلَعَهُ عَن مكانِهِ.

---

(١) القاموس المحيط ٤: ٢٠.

(٢) انظر القاموس المحيط ١: ٣٤١. و انظر قول الإمام عليه السلام في الصفحة ٧٢، السطر ١١.

(٣) الصفحة ٧٣، السطر ١.

(٤) الصفحة ٧٣، السطر ٤.

(٥) الصفحة ٧٤، السطر ٢.

(٦) الصفحة ٧٤، السطر ٣.

(٧) الصفحة ٧٤، السطر ٣.

[٣٢] يقال: تَلَمَّظَ[١]، إذا أخرجَ لسانَهُ فمسحَ بهِ شَفَتَيه، وتَلمَّظَتِ الحيّةُ إذا أَخْرَجَتْ لِسانَها كتَلَمُّظِ الآكِلِ.

[٣٣] الإداوة[٢] ـ بالكسر ـ: إناء صغير من جلد يُتَّخذ للماء.

[٣٤] الطَّواحِن[٣]: الأَضراسُ. وتُطلق الأضراسُ غالباً على المآخيرِ، والأَسنانُ على المقاديمِ كما هو الظاهر هنا، وإن لم يفرّق اللُّغويّون بينهما، والمرادُ بالطَّواحن هنا جميعُ الأَسنان.

[٣٥] الإِساغَةُ[٤]: الأَكلُ والشّربُ بسُهولةٍ.

[٣٦] أَفَرَأَيْتَ[٥]، أي أَخْبِرني. قال الزمخشري: لمّا كانت مشاهدةُ الأَشياءِ ورُؤْيَتُها طريقاً إلى الإحاطةِ بها عِلماً وصحّةِ الخَبرِ عنها، استعملوا أَرَأَيْتَ بمعنى أَخْبِرْ، انتهى[٦].

[٣٧] يقال: ذَوَى[٧] العُودُ، أي يَبِسَ.

[٣٨] المَوْؤُدُ[٨]: الّذي دُفِنَ في الأَرضِ حيّاً، كما كان المشركون يفعلون في الجاهليّة ببناتهم.

---

(١) الصفحة ٧٤، السطر ٦.

(٢) الصفحة ٧٤، السطر ٧.

(٣) الصفحة ٧٤، السطر ٩.

(٤) الصفحة ٧٤، السطر ١٠.

(٥) الصفحة ٧٥، السطر ٢.

(٦) الكشاف ٣: ٣٩ في تفسير الآية ٧٧ من سورة مريم.

(٧) الصفحة ٧٥، السطر ٣.

(٨) الصفحة ٧٥، السطر ٤.

[٣٩] قوله عليه السلام: «أَو يُقِيمُهُ»[١] أي عدمُ طُلوعِ الأَسنان.

[٤٠] قوله عليه السلام: «ذلك بما قَدَّمَتْ أَيديهم»[٢] يحتمل أن يكون هذا لتعذيب الآباء وإن كان الأَولادُ يُؤجَرُون لقباحة منظرهم، أو للأولاد لِما كان في علمِهِ تعالى صدورُهُ عنهم باختيارهم.

[٤١] يَرْصُدُهُ[٣]، أَي يَرْقُبُهُ.

[٤٢] قوله عليه السلام: «فإن كانَ الإِهمالُ»[٤] أي إذا لم تكن الأشياءُ منوطةً بأسبابها، ولم ترتبط الأُمور بعللها، فكما جاز أن يحصل هذا الترتيب والنظام التامّ بلا سبب فجاز أن يصير التدبيرُ في الأُمور سَبباً لاختلالها، وهذا خلاف ما يحكم به عُقولُ كافّة الخلق؛ لما نرى من سعيهم في تدبير الأُمور وذمّهم مَن يأتي بها على غير تأمُّلٍ ورَوِيَّةٍ.

ويُحتمل أن يكون المرادُ أَنّ الوجدان يحكم بتضادِّ آثارِ الأُمور المتضادّة، ورُبَّما أَمكَنَ إقامةُ البُرهانِ عليه أيضاً، فإذا أتى الإِهمالُ بالصَّوابِ يجب أَن يَأتيَ ضِدُّهُ ـ وهو التدبير ـ بالخطأ وهذا أفظع وأشنع.

[٤٣] والمرادُ بالمُحالِ[٥] الأَمرُ الباطلُ الّذي لم يأتِ على وجهه الذي ينبغي أن يكون عليه. قال الفيروزآبادي: المُحالُ من الكلامِ ـ بالضَّمِّ ـ ما عُدِلَ عن وَجْهِهِ، انتهى[٦].

---

(١) الصفحة ٧٥، السطر ٦.

(٢) الصفحة ٧٦، السطر ١. و الذي أَثبتناه أنّها آية كريمة ﴿ذلك بما قدّمت أيديكم﴾.

(٣) الصفحة ٧٦، السطر ٢.

(٤) الصفحة ٧٦، السطر ٣.

(٥) الصفحة ٧٦، السطر ٤.

(٦) القاموس المحيط ٣: ٣٦٣.

[٤٤] التَّيهُ[١]: الضَّلالُ والحَيْرَةُ.

[٤٥] الغَضاضَةُ[٢] ـ بالفتح ـ: الذِّلَّةُ والمنقصةُ.

[٤٦] قوله عليه السلام: «مُعَصَّباً»[٣] أي مشدوداً.

[٤٧] التَّسجِيةُ[٤]: التغطية بثوبٍ يُمَدُّ عليه.

[٤٨] الغَبِيُّ[٥] ـ على فعيل ـ: قليلُ الفِطنة.

[٤٩] الاعتبارُ[٦]: من العِبْرةِ، وذُكِرَ في مقابلة السَّهوِ والغَفلةِ.

[٥٠] قوله: «ما قدر[٧] وما يوجب[٨]» كلاهما معطوفان على «موضع»[٩].

[٥١] قوله: «من المكلّفات»[١٠] بيانٌ لـ«ما يوجب»[١١]، أي لذهب التكاليف المتعلّقة بالأولاد بأن يبرُّوا آباءهم ويعطفوا عليهم عند حاجة الآباء إلى تربيتهم، وإعانتهم لكبرهم وضعفهم، جزاءً لما قاسوا من الشدائد في تربيتهم.

---

(١) الصفحة ٧٦، السطر ٨.

(٢) الصفحة ٧٦، السطر ١٣.

(٣) الصفحة ٧٦، السطر ١٣.

(٤) الصفحة ٧٦، السطر ١٤.

(٥) الصفحة ٧٧، السطر ٢.

(٦) الصفحة ٧٧، السطر ٥.

(٧) الصفحة ٧٧، السطر ٨.

(٨) الصفحة ٧٧، السطر ٩.

(٩) الصفحة ٧٧، أوّل السطر ٨.

(١٠) الصفحة ٧٧، السطر ٩. و الذي أثبتناه في المتن «من المكافاة».

(١١) الصفحة ٧٧، أوّل السطر ٩.

[٥٢] قوله: «أن يرى»[١] خبر لقوله: «أقلّ ما في ذلك»[٢].

[٥٣] الدَّأْبُ»[٣]: الجِدُّ والتَّعبُ.

[٥٤] التَّوَخِّي[٤]: التَّحرّي والقصد.

[٥٥] قوله ﷺ: «كلّ ما لا يعرفه»[٥] أي ممّا لا يقصر عنه عِلْمُ المخلوقين.

[٥٦] يقال: أبطل[٦]، أي جاء بالباطل.

[٥٧] المشاكلة[٧]: المشابهةُ والمُناسبةُ.

[٥٨] اسم الإشارة[٨] راجع إلى ما مضى من التَّدبير في الخلق، ويحتمل إرجاعه إلى الجماع.

[٥٩] قوله ﷺ: «فما يمنعهم»[٩] لعلّ المراد أنّهم إذا قالوا بذلك فقد أثبتوا الصانع، فَلِمَ يُسَمُّونه بالطبيعة وهي ليست بذات علم وإرادة وقدرة.

[٦٠] قوله ﷺ: «عُلِمَ أنّ هذا الفعل»[١٠] أي ظاهر بطلان هذا الزعم.

---

(١) الصفحة ٧٨، السطر ١.

(٢) الصفحة ٧٧، السطر ١٤.

(٣) الصفحة ٧٨، السطر ٩. والدَّأْبُ والدَّأَبُ والدُّؤُوب كلّها بمعنى الجدّ و التعب.

(٤) الصفحة ٧٨، السطر ٩.

(٥) الصفحة ٧٨، السطر ١٣.

(٦) الصفحة ٧٩، السطر ٩.

(٧) الصفحة ٧٩، السطر ١٢.

(٨) وهي قوله ﷺ: «ذلك» من قوله «يُشاكِلُ ذلك». الصفحة ٧٩، السطر ١٢.

(٩) الصفحة ٨٠، السطر ١٢.

(١٠) الصفحة ٨٠، السطر ١٤.

والّذي صار سبباً لذهولهم أنّ الله تعالى أجرى عادته بأن يخلق الأشياء بأسبابها، فذهبوا إلى استقلالِ تلك الأسبابِ في ذلك، وبعبارة أُخرى: إنّ سنّة الله وعادته قد جرتَ ـ لِحِكَمٍ كثيرة ـ أَن تكون الأشياء بحسب بادئ النظر مستندةً إلى غيره تعالى، ثُمَّ يُعلَمُ بعدَ الاعتبار والتفكّر أنّ الكُلَّ مستندٌ إلى قُدرته وتأثيره تعالى، وإنّما هذه الأشياء وسائل وشرائط لذلك، فلذا تحيّروا في الصانع تعالى، فالضمير المنصوب في قوله: «أَجراها»[١] راجع إلى السنّة، وضمير «عليه»[٢] راجع إلى الموصول.

[٦١] قال الفيروزآبادي: وَشَجَت[٣] العروقُ والأَغصانُ: اشتبكت[٤].

[٦٢] وقال [الفيروزآبادي]: نَكَأَ[٥] القَرْحَةَ ـ كمنع ـ قَشَرَها قبل أن تَبْرَأَ فَنَدِيَتْ، انتهى[٦].

[٦٣] المفائض[٧]: في بعض النسخ بالفاء، أي مجاري؛ من فاضَ الماءُ. وفي بعضها بالغين؛ من غاضَ الماءُ غَيْضاً أي نَضَبَ وذهبَ في الأرض، والمَغِيضُ: المكانُ الذي يغيض فيه.

---

(١) الصفحة ٨١، السطر ١.

(٢) الصفحة ٨١، آخر السطر ١.

(٣) الصفحة ٨١، السطر ٤.

(٤) لم يذكر الفيروزآبادي في القاموس ذلك، والظاهر أنّه نقله عن النهاية الأثيرية ٥: ١٨٧، فسها قلمه. انظر بحار الأنوار ٢١: ٣٥٥ «بيان».

(٥) الصفحة ٨١، السطر ٥.

(٦) القاموس المحيط ١: ٣١.

(٧) الصفحة ٨١، السطر ٨.

[٦٤] و«إلى» في قوله: «إلى ما في تركيب»[١] بمعنى «مع».

[٦٥] قال الفيروزآبادي: الغُضْرُوفُ[٢]: كلُّ عظمٍ رخو يُؤكَلُ، وهو مارِنُ الأنفِ، وبعض الكَتِفِ، ورُؤُوسُ الأَضلاعِ، ورَهابَةُ الصَّدرِ، وداخِلُ قوف الأُذُن، انتهى[٣].

[٦٦] قوله: «لاتتزايد ولا تنقص»[٤] أي النسبة بين الأعضاء.

[٦٧] بلوغ الأَشُدّ[٥] ـ وهو القوّة ـ: أن يكتهلَ ويستوفيَ السِّنَّ الّذي يستحكم فيها قُوَّته وعقله وتمييزه.

[٦٨] قوله ﷺ: «بعضها يلقى بعضاً»[٦] حال، أو صفة بتأويل أو تقدير.

[٦٩] رَوْحُ المخاطبة[٧] ـ بالفتح ـ أي راحَتُها ولذَّتُها.

[٧٠] الشجو[٨]: الحزن. ولا يُتَوَهَّم جوازُ الاستدلال به[٩] على عدم حرمة الغناء مطلقاً، لاحتمال أن يكون المرادُ الأفرادَ المحلّلة منها كما ذكرها الأصحاب، أو يكون فائدةُ إدراك تلك اللذّة عِظَمَ الثوابِ في تركها لوجهه تعالى.

---

(١) الصفحة ٨٢، السطر ٦.

(٢) الصفحة ٨٢، السطر ٧.

(٣) انظر القاموس المحيط ٣: ١٧٩. وفيه: «رَخْص» بدل «رخو»، و«نُغْض» بدل «بعض».

(٤) الصفحة ٨٢، السطر ٨. والذي أثبتناه في المتن «لا يتزايد ولا ينقص».

(٥) الصفحة ٨٢، السطر ٨ ـ ٩.

(٦) الصفحة ٨٤، السطر ٩.

(٧) الصفحة ٨٥، السطر ١٠.

(٨) الصفحة ٨٥، السطر ١١.

(٩) أي بقوله ﷺ «ويعدم لذّة الأصوات و اللحون الشجيّة والمطربة». الصفحة ٨٥، السطر ١١.

[٧١] قوله عليه السلام: «توافي خلقه»[١] خبر «صارت»[٢].

[٧٢] المُزُّ[٣]: بين الحلو والحامض.

[٧٣] الثَّجُّ[٤]: السَّيلان.

[٧٤] الغَصَصُ[٥]: أَن يقفَ الشيءُ في الحلق فلم يَكَدْ يُسِيغُهُ.

[٧٥] الجُمْجُمَةُ[٦]: عظمُ الرأسِ المُشتَمِلُ على الدِّماغ.

[٧٦] البَيضةُ[٧]: هي التي تُوضَع على الرأسِ في الحَربِ.

[٧٧] الفَتُّ[٨]: الكَسْرُ.

[٧٨] هَدَّ[٩] البناءَ: كَسَرَهُ وضعضعه، وهَدَّتْهُ المُصيبةُ أي أَوهَنَتْ رُكنَهُ.

[٧٩] الحِيطَةُ[١٠] ـ بالكسر ـ: الحِياطةُ والرِّعايةُ.

[٨٠] الجَفْنُ[١١]: غطاءُ العين من أَعلى وأسفل.

---

(١) الصفحة ٨٦، السطر ٤.

(٢) الصفحة ٨٦، السطر ٣.

(٣) الصفحة ٨٩، السطر ٧.

(٤) الصفحة ٩٠، السطر ١.

(٥) الصفحة ٩٠، السطر ١.

(٦) الصفحة ٩٠، السطر ٨.

(٧) الصفحة ٩٠، السطر ٨.

(٨) الصفحة ٩٠، السطر ٩. والذي أثبتناه «تقيه» بدل «يفتّه» الموجودة في مطبوعة البحار، والذي في نسخة «ب»: «يغته».

(٩) الصفحة ٩٠، السطر ٩. والذي أثبتناه «حدّ» بدل «هدّ».

(١٠) الصفحة ٩١، السطر ١. والذي أثبتناه في المتن «للحياطة».

(١١) الصفحة ٩١، السطر ٤.

[٨١] الأشفار[١]: هي حُرُوفُ الأَجفان الّتي عليها الشعر.

[٨٢] الأَشراجُ[٢]: العُرَى.

وكأنّه ﷺ شبّه الأشفار بالعرى والخيط المشدود بها، فإنّ بهما ترفع الأستار وتسدل عند الحاجة إليهما، أو بالعرى التي تكون في العَيْبَةِ من الأَدَمِ وغيره، يكون فيها خيطٌ إذا شدّت به يكون ما في العيبة محفوظاً مستوراً، وكلاهما مناسب، والأوّل أنسب بالغشاء. قال الجزريّ: في حديث الأحنف: فأَدخلتُ ثياب صَونِي العَيْبَةَ فأَشْرَجْتُها. يقال: أَشْرَجْتُ العَيبةُ وشَرَجْتُها، إذا شَدَدْتَها بالشَّرَجِ وهي العُرَى، انتهى[٣].

[٨٣] أولجها[٤] يعني أدخلها.

[٨٤] الجَوانحُ[٥]: الأضلاعُ الّتي ممّا يلي الصَّدر.

[٨٥] قوله ﷺ: «لا تُخِلُّ»[٦] من الإِخلال بالشيء بمعنى تَرْكِهِ.

[٨٦] قوله: «تَتَحَيَّز»[٧] إمّا من الحَيِّزِ أي تَسْكُنُ، أو من قولهم: تَحَيَّزَتِ الحيَّةُ: أي تلوَّتْ.

[٨٧] الكَوكَبُ[٨]: المَحْبِسُ.

---

(١) الصفحة ٩١، السطر ٤.

(٢) الصفحة ٩١، السطر ٤.

(٣) النهاية الأثيريّة ٢: ٤٥٦. و جمعُ الشَرَجِ أَشراجٌ.

(٤) الصفحة ٩١، السطر ٥.

(٥) الصفحة ٩١، السطر ٨.

(٦) الصفحة ٩٢، السطر ٢. والذي أثبتناه في المتن. «ولا تختلُّ».

(٧) الصفحة ٩٢، السطر ٢.

(٨) الصفحة ٩٣، السطر ٤. والذي أثبتناه في المتن «اللّولب».

[٨٨] اطَّرَدَ[١] الشَّيءُ تَبعَ بعضُهُ بعضاً وجَرَى.

[٨٩] قال الجوهري: حُمَّةُ[٢] الحَرِّ: مُعظَمُهُ[٣].

[٩٠] قوله عليه‌السلام: «إلّا من خلقه مُؤَمِّلاً»[٤] إشارة إلى أنّ الأمل والرَّجاء في البقاء هو السبب لتحصيل النَّسل، ولذا جُعِلَ الإنسانُ ذا أملٍ لبقاءِ نوعِهِ.

[٩١] قوله عليه‌السلام: «إلّا من ضربه بالحاجة»[٥] أي سَبَّبَ له أسبابَ الاحتياج وخَلَقَهُ بحيثُ يَحتاجُ.

[٩٢] قوله عليه‌السلام: «إلّا من توكّل بتقويمه»[٦] أي تَكَفَّلَ برفع حاجَتِهِ وتقويمِ أَوَدِهِ.

[٩٣] الحَوْلُ[٧]: القُوّةُ.

[٩٤] قال الجوهري: وَزَعْتُهُ[٨] أَزَعُهُ وَزْعاً: كففتُهُ، انتهى[٩].

[٩٥] الكَلُّوبُ[١٠] ـ بالتشديد ـ: حديدةٌ معوجَّةُ الرأسِ. وفي بعض النسخ «كَلُّون» وهو فارسيّ.

---

(١) الصفحة ٩٣، السطر ٤.

(٢) الصفحة ٩٣، السطر ٥.

(٣) الصحاح ٥: ١٩٠٦.

(٤) الصفحة ٩٣، السطر ١١.

(٥) الصفحة ٩٣، السطر ١٢.

(٦) الصفحة ٩٣، السطر ١٣.

(٧) الصفحة ٩٤، السطر ٢.

(٨) الصفحة ٩٥، السطر ١.

(٩) الصحاح ٣: ١٢٩٧.

(١٠) الصفحة ٩٥، السطر ٢.

[٩٦] قوله ﷺ: «مهيّأ»[١]. في بعض النسخ بالياء، فلفظة «من» تعليليّة. وفي بعضها بالنون، فـ«من» تعليليّة أو ابتدائيّة، أي إنّما يتمّ عيشه بأُنثى. وعلى التقديرين يحتمل أن يكون بمعنى «مع» إن جُوِّزَ استعمالُهُ فيه.

[٩٧] قال الجوهري: تبّاً[٢] لفلان، تَنصِبُهُ على المصدر بإضمار فعل، أي أَلزَمَهُ اللهُ هلاكاً وخُسراناً[٣].

[٩٨] وقال [الجوهريُّ]: التَّعْسُ[٤]: الهَلاكُ ... يقال: تَعْساً لفلانٍ، أي ألزمه الله هلاكاً[٥].

[٩٩] أَلْفَى[٦] أي وَجَدَ.

[١٠٠] قوله ﷺ: «منصباً»[٧] إمّا من الانْصِباب، كناية عن التَّدلّي، أو من باب التَّفعيل من النَّصْبِ؛ قال الفيروآبادي: نَصَبَ الشَّيءَ: وضَعَهُ ورَفَعَهُ ـ ضِدٌّ ـ كنَصَّبَهُ، فانْتَصَبَ وتَنَصَّبَ[٨].

[١٠١] الرَّكَبُ[٩] ـ بالتحريك ـ مَنبتُ العانةِ.

---

(١) الصفحة ٩٥، السطر ٥.

(٢) الصفحة ٩٥، السطر ٥.

(٣) الصحاح ١: ٩٠.

(٤) الصفحة ٩٥، السطر ٥.

(٥) الصحاح ٣: ٩١٠.

(٦) الصفحة ٩٦، السطر ٩.

(٧) الصفحة ٩٦، السطر ٩.

(٨) القاموس المحيط ١: ١٣٢.

(٩) الصفحة ٩٩، السطر ١.

[١٠٢] مُستَنْقَعُ[١] الماءِ ـ بالفتح ـ: مُجتَمَعُهُ.

[١٠٣] شِرَّةُ[٢] الشَّبابِ ـ بالكسر ـ: حِرصُهُ ونَشاطُهُ.

[١٠٤] العادِيَةُ[٣]: الظُّلمُ والشَّرُّ.

[١٠٥] الأَشَرُ[٤] ـ بالتحريك ـ: البَطَرُ وشِدَّةُ الفَرَحِ.

[١٠٦] اللَّهَواتُ[٥]: جمع لَهاةٍ، وهي اللَّحمةُ في سَقفِ أَقصى الفَمِ.

[١٠٧] قوله ﷺ: «مِنَ المِرَّةِ»[٦] بيان لموضع «آخر»[٧].

[١٠٨] عَتا عُتُوّاً[٨]: استكبرَ وجاوَزَ الحَدَّ.

[١٠٩] يقال: تَحَلَّبَ[٩] العَرَقُ، أي سالَ.

[١١٠] الخَطَلُ[١٠]: المنطقُ الفاسِدُ المُضطربُ.

[١١١] الطُّعْم[١١] ـ بالضمّ ـ: الأَكْلُ.

[١١٢] الكَرَى[١٢]: السَّهَرُ.

---

(١) الصفحة ٩٩، السطر ٢.

(٢) الصفحة ٩٩، السطر ٥.

(٣) الصفحة ٩٩، السطر ٥.

(٤) الصفحة ٩٩، السطر ٦.

(٥) الصفحة ٩٩، السطر ٩.

(٦) الصفحة ١٠٠، السطر ١.

(٧) الصفحة ٩٩، السطر ١٢.

(٨) الصفحة ١٠٠، السطر ١١.

(٩) الصفحة ١٠٠، السطر ١٢.

(١٠) الصفحة ١٠١، السطر ٥.

(١١) الصفحة ١٠١، السطر ٧.

(١٢) الصفحة ١٠١، السطر ٩.

[١١٣] الجَمامُ[(١)] ـ بالفتح ـ: الرّاحَةُ، يقال: جَمَّ الفَرَسُ جَمّاً وجَماماً، إذا ذهَبَ إعياؤُهُ.

[١١٤] الشَّبَقُ[(٢)] ـ بالتحريك ـ: شِدَّةُ شهوةِ الجِماعِ.

[١١٥] تَوانَى[(٣)] في حاجَتِهِ، أي قَصَّرَ.

[١١٦] لا يَحْفِلُ بِهِ[(٤)]، أي لا يُبالي به.

[١١٧] تَحْدُرُ الثُّفْلَ[(٥)] ـ كتَنْصُر ـ أي تُرسِل.

[١١٨] قوله عليه‌السلام: «ولولا الجاذبة»[(٦)] يدلّ على أنّ لها مدخلاً في شهوة الطعام.

[١١٩] قوله عليه‌السلام: «خُلَلَهُ»[(٧)] كأنّه بالضمّ جَمعُ الخَلَّة وهي الحاجةُ، أو بالكسر أي الخِلال والفُرَج التي حَصَلَتْ في البَدَنِ بتحلُّلِ الرُّطُوباتِ.

[١٢٠] قوله عليه‌السلام: «ولعلّك ترى»[(٨)] يحتمل أن يكون الغرضُ دفعَ توهُّمِ السائل كون ذكر التمثيل بعد ذكر القوى ومنافعها على الوجه الذي ذكره

---

(١) الصفحة ١٠١، السطر ١٠. وكان الأنسب أن يذكر أيضاً «أَجَمَّ الفَرَسُ: تُرِك فلم يُركب فعفا من تَعَبه وذهب إعياؤه».

(٢) الصفحة ١٠١، السطر ١٠.

(٣) الصفحة ١٠١، السطر ١٣.

(٤) الصفحة ١٠٢، السطر ٦.

(٥) الصفحة ١٠٢، السطر ١٣.

(٦) الصفحة ١٠٣، السطر ١.

(٧) الصفحة ١٠١، السطر ٤. والظاهر أنّ العلامة ﷺ متكلّف في الشرح، فإنّ الخَلَلَ هو الفساد والوَهْن.

(٨) الصفحة ١٠٤، السطر ٢.

الأطبّاء واكتفوا به إطناباً وتكراراً.

وحاصله: إنّ الأطبّاءَ إنّما ذكروها على ما يحتاجون إليه في صناعتهم من ذكر أفعال تلك القوى وسبب تعطّلها، ولذا لم يحتاجوا إلى ذكر ما أوردنا من التمثيل، ونحن إنّما ذكرنا هذا التمثيل لتتّضح دلالتها على صانعها ومدبّرها، إذ هذه مقصودنا من ذكرها.

ويحتمل أن يكون الغرض رفع توهّم أنّ ذكرَهُ هذه القوى بعد كونها مذكورةً في كتب الأطبّاء فَضْلٌ لا حاجة إليه، بأنّ الغرض مُختلفٌ في بياننا وبيانهم، وبذلك يختلف التقرير أيضاً، فلذا ذكرناها هنا بهذا التقرير الشافي، فالضميرُ في قوله: «وُصِفَت» على بناء المجهول راجعٌ إلى القوى، والعائدُ محذوفٌ، أي «وُصِفَتْ به» لكنّه بعيد.

[١٢١] دون الجميع(١)، أي فضلاً عن الجميع.

[١٢٢] يقال: سلا عنه(٢)، أي نَسِيَهُ.

[١٢٣] إقراءُ الضَّيفِ(٣): ضيافَتُهم وإكرامُهُمْ.

[١٢٤] التَّنَكُّبُ(٤): التَّجنُّبُ.

[١٢٥] وُفِّيَ(٥) ـ على بناء المجهول ـ من التَّوْفِيَةِ وهي إعطاءُ الشَّيءِ وافياً.

[١٢٦] كلامه هاهنا(٦) مُشعِرٌ بأنّ واضِعَ اللُّغات البَشَرُ، فتدبّر.

---

(١) الصفحة ١٠٥، السطر ٦ ـ ٧.

(٢) الصفحة ١٠٥، السطر ٨.

(٣) الصفحة ١٠٦، السطر ١.

(٤) الصفحة ١٠٦، السطر ٢.

(٥) الصفحة ١٠٦، السطر ٥.

(٦) من السطر ٧ من الصفحة ١٠٦، إلى آخر سطر من ص ١٠٧.

[١٢٧] انْهَمَكَ[١] الرَّجُلُ في الأَمر، أي جَدَّ ولَجَّ.

[١٢٨] التَّسَلُّفُ[٢]: الاقْتِراضُ، كأَنَّهُ يُجرِي معاملةً مع ربّه، بأن يتصرَّفَ في اللذّات عاجلاً، ويَعِدُ ربّه في عوضها التوبةَ ليؤدِّي إِليه آجِلاً. وفي بعض النسخ: يستسلف، وهو طلبُ بيع الشيءِ سَلَفاً.

[١٢٩] المُعاناةُ[٣]: مقاساةُ العَناءِ والمَشقَّةِ.

[١٣٠] يَرْهَقُهُ[٤]، أي يغشاهُ ويَلْحَقُهُ.

[١٣١] انتهاكُ المحارمِ[٥]: المبالغةُ في خَرْقِها وإِتيانها.

[١٣٢] الارعواءُ[٦]: الكفُّ عن الشيء، وقيل: النَّدمُ على الشيءِ والانصرافُ عَنهُ وتَركُهُ.

[١٣٣] المَرَحُ[٧]: شِدَّةُ الفرحِ.

[١٣٤] قال الفيروزآبادي: العقيلةُ[٨] من كلّ شيءٍ: أَكْرَمُهُ ... وكريمةُ الإِبلِ. وقال: العِقالُ ـ ككِتاب ـ: زكاةُ عامٍ من الإِبلِ[٩].

[١٣٥] التَّفَكُّهُ[١٠]: التَّنعُّمُ.

---

(١) الصفحة ١٠٩، السطر ١٢.

(٢) الصفحة ١١٠، السطر ٩.

(٣) الصفحة ١١٠، السطر ١١.

(٤) الصفحة ١١١، السطر ١.

(٥) الصفحة ١١١، السطر ٧.

(٦) الصفحة ١١١، السطر ٩.

(٧) الصفحة ١١١، السطر ٩.

(٨) الصفحة ١١١، السطر ١٧.

(٩) القاموس المحيط ٤: ١٩.

(١٠) الصفحة ١١٢، السطر ١٣.

[١٣٦] الكِلْسُ[(١)] ـ بالكسر ـ: الصَّارُوجُ.

[١٣٧] قوله عليه السلام: «للأَرضِ»[(٢)] أي لِفَرْشِها.

[١٣٨] جَنَى[(٣)] الذَّنبَ عليهِ يَجْنِيهِ جِنايَةً: جَرَّهُ إليهِ.

[١٣٩] الجِدَةُ[(٤)] ـ بالتخفيف ـ: الغَناءُ.

[١٤٠] قوله عليه السلام: «في تشابه الأشياء»[(٥)] أي قد يشتبه مال شخص بمال شخص آخر ـ كثوب أو نعل أو دينار أو درهم ـ فيصير سبباً للاشتباه والتشاجر والتنازع، فضلاً عن تَشابُهِ الصُّورةِ فإنّه أعظمُ فساداً. والمراد: أنّ الناس كثيراً ما يشتبه عليهم أمرُ رجلين لتَشابُهِ لباسهما ومركوبهما وغير ذلك، فيؤخذ أحدهما بالآخر، فكيف مع تشابُهِ الصورة؟

[١٤١] قوله عليه السلام: «اشتبهت مقاديرها»[(٦)] أي لم يُعرَف غايةُ ما ينتهي إليه مقداره، فيشتبه الأمر عليه فيما يريد أن يهيّئه لنفسه من دار ودابّة وثياب وزوجة.

[١٤٢] قوله عليه السلام: «ويجفو»[(٧)] أي يَبعُدُ ويجتَنِبُ ولا يُداوِمُ على الصناعات اللَّطيفة، أي التي فيها دقّةٌ ولطافةٌ. قال الجزريُّ: وفي الحديث: اقرَؤُوا القُرآنَ ولا تَجْفُوا عنه، أي تعاهدوه ولاتَبْعُدُوا عن

---

(١) الصفحة ١١٣، السطر ١.

(٢) الصفحة ١١٣، السطر ٢.

(٣) الصفحة ١١٥، السطر ٣.

(٤) الصفحة ١١٦، السطر ٥.

(٥) الصفحة ١١٦، السطر ٣. والذي أثبتناه في المتن «تشابه الأسماء».

(٦) الصفحة ١١٧، السطر ٣.

(٧) الصفحة ١١٧، السطر ٦. والذي أثبتناه في المتن «وتجفو».

تِلاوتِهِ، انتهى[١].

والحاصل: أنّ الله تعالى جَعلَ الإنسان بحيثُ يثقل عن الحركة والمشي قبل سائر الحيوانات، ويكلُّ عن الأعمال الدقيقة، لتعظم عليه مؤونة تحصيل ما يحتاج إليه فلا يبطر ولا يطغى، أو ليكون لهذه الأعمال أجرٌ فيصيرُ سبباً لمعايش أقوامٍ يُزاوِلُونها.

[١٤٣] الدُّعّار[٢]: في بعض النسخ بالمهملة من الدَّعَرِ ـ محرّكةً ـ [وهو] الفسادُ والفِسقُ والخُبثُ. وفي بعضها بالمعجمة من الدَّغْرَةِ وهي أخذُ الشيءِ اختِلاساً.

[١٤٤] العِرْسُ[٣] ـ بالكسر ـ: امرأةُ الرَّجُلِ.

[١٤٥] الخَوَلُ[٤] ـ محرّكة ـ: ما أَعطاك اللهُ من النِّعم والعبيدِ والإِماء.

[١٤٦] المُفاكَهَةُ[٥]: المُمازحَةُ والمُضاحَكَةُ.

[١٤٧] قوله ﷺ: «وتتخَلَّلُ مواضع الخطأ»[٦] يحتمل أن تكون الجملة حاليّةً، أي تأتي بالصواب مع أنّها تدخُلُ مواضعَ هي مظنّةُ الخطأ، من قولهم: تَخَلَّلتُ القومَ أي دخلتُ خلالهم. ويحتمل أن يكون المرادُ بالتخلّل التخلُّفَ أو الخُرُوجَ من خلالها، لكنَّ تطبيقهما على المعاني

---

(١) النهاية الأثيرية ١: ٢٨١.

(٢) الصفحة ١١٧، السطر ١٢.

(٣) الصفحة ١١٩، السطر ٢.

(٤) الصفحة ١١٩، السطر ٢.

(٥) الصفحة ١١٩، السطر ٤.

(٦) الصفحة ١١٩، السطر ٥.

اللغويّة يحتاجُ إلى تكلُّفٍ.

[١٤٨] «مدير الأَدوار»[١] لعلّ فيه مضافاً محذوفاً، أي ذوي الأدوار، أو الإسناد مجازيٌّ. وفي بعض النسخ بالباء الموحّدة، وهو أظهر.

[١٤٩] الأَكوارُ[٢]: جمعُ كَوْرٍ ـ بالفتح ـ وهو الجماعةُ الكثيرة من الإبل والقطيعُ من الغنم، ويقال: كُلُّ دَوْرٍ كَوْرٌ[٣]. والمُرادُ إمّا استئنافُ قرنٍ بعد قرن وزمان بعد زمان، أو إعادةُ أَهل الأَكوار والأَدوار جميعاً في القيامة، والأَوّلُ أَظهرُ.

[١٥٠] قال الجزريّ: قِيلَ للقَرْنِ طَبَقٌ[٤] لأنّهم طَبَقٌ للأَرضِ ثمّ يَنقَرِضُونَ فيَأْتي طَبَقٌ آخرُ[٥].

[١٥١] قوله عليه السلام: «في نظائر»[٦] أي قالها في ضمن نظائر لها، أو مع نظائرها.

[١٥٢] قوله عليه السلام: «إنّما هي»[٧] أي المَثُوباتُ والعُقُوباتُ، «أعمالُكُم» أي جزاؤها.

---

(١) الصفحة ١٢١، السطر ٣. والذي أثبتناه في المتن «مدبِّر الأدوار».

(٢) الصفحة ١٢١، السطر ٣.

(٣) في العبارة غموض، والمراد قول اللغويين: كارَ الرَّجُلُ العِمامة كَوْراً: أدارها على رأسه، وكُلُّ دورٍ كَورٌ تسميةً بالمصدر.

(٤) الصفحة ١٢١، السطر ٣ ـ ٤.

(٥) النهاية الأثيرية ٣: ١١٣. في شرح شعر العباس:

إذا مضى عالَمٌ بَدا طَبَقُ

قال: يقول: إذا مضى قَرْنٌ بدا قَرْنٌ، وقيل للقرن ... الخ.

(٦) الصفحة ١٢١، السطر ٧.

(٧) الصفحة ١٢٢، السطر ١.

[١٥٣] العَمَهُ[١]: التَّحَيُّرُ والتَّرَدُّدُ.

[١٥٤] الحَيْدُ[٢]: المَيْلُ.

[١٥٥] المَدْرَجَةُ[٣]: المَذهَبُ والمَسْلَكُ.

[١٥٦] زَحْزَحَهُ[٤]: أبعدَهُ.

[١٥٧] الأنثِناءُ[٥]: الانعطافُ والمَيْلُ.

[١٥٨] قوله ﵇: «ولا يغرون»[٦] في بعض النسخ بالغين المعجمة والراء المهملة على بناء المفعول، من قولهم: أَغْرَيتُ الكلبَ بالصَّيدِ، أي لا يُؤَثِّر فيهم الإغراء، والتحريص على جميع الأعمال التي يَحتاج إليها الخلق من ذلك العمل الذي تأتي به الدوابّ. وفي بعضها بالعين المهملة والزاي المعجمة، من عَزِيَ ـ من باب تَعِبَ ـ أي صبر على ما نابه، والأوّلُ أظهرُ.

[١٥٩] الفادِحُ[٧]، من قولهم: فَدَحَهُ الدَّيْنُ: أَثْقَلَهُ.

(ثمّ اعلم أنّه ينبغي حمل السؤال[٨] على أنّه كان يمكن أن يُكتَفى بخلق الحيوانات لأنّ بعضَهم ينقادون ويطيعون بعضاً، فالجوابُ منطبقٌ من غير تكلّف)[٩].

---

(١) الصفحة ١٢٢، السطر ٢.

(٢) الصفحة ١٢٢، السطر ٥.

(٣) الصفحة ١٢٢، السطر ٥.

(٤) الصفحة ١٢٢، السطر ٦.

(٥) الصفحة ١٢٣، السطر ١.

(٦) الصفحة ١٢٤، السطر ٨. والذي أثبتناه في المتن «يُغَرُّون».

(٧) الصفحة ١٢٤، السطر ١٢.

(٨) السؤال المذكور في السطرين ٥ ـ ٦ من الصفحة ١٢٤.

(٩) عن البحار المطبوع.

[١٦٠] «أوكدها»[١] أي أَوكَدُ الأشياء وأحوَجُها إلى هذا النوع من الخَلقِ هذه الصناعات. (ويُحتمل إرجاع الضَّمير إلى جنس البشر فيكون فعلاً أي ألزمها أو ألهمها هذه الصناعات. ولا يبعد إرجاعُهُ إلى الأَكُفِّ أيضاً)[٢].

[١٦١] قوله عليه السلام: «مدمجة»[٣] أي انضمّ بعضها إلى بعض، قال الجوهري: دَمَجَ الشّيءُ دُمُوجاً، إذا دَخَلَ في الشَّيءِ واستحكَمَ فيهِ ....، وأَدْمَجْتُ الشَّيءَ، إذا لَفَفْتَهُ في ثَوبٍ[٤]. وفي بعض النسخ: مُدَبَّحَة بالباء والحاء المهملة، ولعلَّ المرادَ مُعَوَّجَةٌ، من قولهم: دَبَّحَ تَدْبِيحاً، أي بَسطَ ظهرَهُ وطَأْطَأَ رأسَهُ، وهو تصحيف[٥].

[١٦٢] البراثن[٦] من السِّباع والطَّير بمنزلة الأصابع من الإنسان.

[١٦٣] المِخْلَبُ[٧]: ظُفُرُ البُرْثُنِ.

[١٦٤] المُلَمْلَمُ[٨] ـ بفتح اللامين ـ: المُجتَمِعُ المُدوَّرُ المَصْمُومُ.

[١٦٥] الأَخْمَصُ[٩] من باطنِ القَدمِ: ما لا يُصِيبُ الأرضَ.

[١٦٦] الشِّدْقُ[١٠]: جانبُ الفَمِ.

---

(١) الصفحة ١٢٥، السطر ٦.

(٢) عن البحار المطبوع.

(٣) الصفحة ١٢٥، السطر ٩.

(٤) الصحاح ١: ٣١٥ ـ ٣١٦.

(٥) الصواب أن النسخة الأخرى «مِذْبَحة» وهي صحيحة المعنى.

(٦) الصفحة ١٢٥، السطر ٩.

(٧) الصفحة ١٢٥، السطر ٩.

(٨) الصفحة ١٢٦، السطر ١.

(٩) الصفحة ١٢٦، السطر ١.

(١٠) الصفحة ١٢٦، السطر ٤.

[١٦٧] الطُّعْمُ[(١)] ـ بالضمّ ـ: الطَّعامُ.

[١٦٨] الأُمّاتُ[(٢)]: جمعُ الأُمّ. وقيل: إنّما تستعمل في البهائم، وأمّا في الناس فيقال: أُمَّهاتٌ.

[١٦٩] يقال: قابَ الطَّيرُ بيضَتَهُ: فَلَقَها، فانْقابَتْ[(٣)].

[١٧٠] اليَمامُ[(٤)]: حَمامُ الوَحشِ.

[١٧١] الحُمَرُ[(٥)] ـ بضمّ الحاء وفتح الميم ـ: طائرٌ، وقَد يشدّد الميم.

[١٧٢] يقال: مَجَّ[(٦)] الرَّجُلُ الطَّعامَ مِن فيه، إذا رمى به.

[١٧٣] المُودَعُ[(٧)] من الخَيلِ ـ بفتح الدال ـ: المُستريحُ.

[١٧٤] نِيرُ[(٨)] الفَدّانِ ـ بالكسرِ ـ: الخَشَبةُ المُعتَرِضَةُ في عُنُقِ الثَّورينِ.

[١٧٥] قوله ﷺ: «يركبُ السُّيوفَ»[(٩)] أي يستقبلها بجُرأةٍ كأنّه يركَبُها، أو بمعنى يرتَكِبُ مواجَهَتها.

[١٧٦] المُؤاتاةُ[(١٠)]: المُوافَقَةُ.

---

(١) الصفحة ١٢٦، السطر ١.
(٢) الصفحة ١٢٦، السطر ١٢.
(٣) الصفحة ١٢٧، السطر ٤.
(٤) الصفحة ١٢٧، السطر ٥.
(٥) الصفحة ١٢٧، السطر ٥.
(٦) الصفحة ١٢٧، السطر ٦.
(٧) الصفحة ١٢٨، السطر ٥.
(٨) الصفحة ١٢٨، السطر ٧.
(٩) الصفحة ١٢٨، السطر ٨.
(١٠) الصفحة ١٢٨، السطر ٨.

[١٧٧] الدِّبَبَةُ[1] ـ كعِنَبة ـ جمعُ الدُّبِّ.

[١٧٨] يُقال: أَحْجَمَ[2] القومُ عنه، أي نَكَصُوا وتأخّروا وتهيَّبوا أَخْذَهُ.

[١٧٩] ساوَرَهُ[3]: واثَبَهُ.

[١٨٠] يقال: حامَيْتُ[4] عنه، أي مَنَعْتُ منهُ.

[١٨١] العَيْنُ[5] ـ بالفتح ـ: الغِلَظُ في الجِسمِ والخُشُونَةُ.

[١٨٢] الخَفْرُ[6]: المَنْعُ.

[١٨٣] شَخَصَ[7] البصرُ: ارتفع، وشَخَصَ الرَّجُلُ بَصَرَهُ: إذا فَتَحَ عَينَيهِ.

[١٨٤] الخَطْمُ[8] ـ بالفتح ـ من كلِّ طائرٍ: منقارُهُ، ومِن كُلِّ دابّةٍ: مقدَّمُ أنفِهِ وفمِهِ.

[١٨٥] قَضِمَ[9] ـ كسَمِعَ ـ: أَكَلَ بأطرافِ أسنانِه.

[١٨٦] الجَحْفَلَةُ[10]: بمنزلةِ الشَّفَةِ للبغال والحمير والخيل، وهي بتقديم الجيم على الحاء المهملة.

---

(١) الصفحة ١٢٩، السطر ٣.
(٢) الصفحة ١٢٩، السطر ٥.
(٣) الصفحة ١٢٩، السطر ٧.
(٤) الصفحة ١٢٩، السطر ٩.
(٥) الصفحة ١٣٠، السطر ٤. والذي أثبتناه في المتن «أُعِينَ».
(٦) الصفحة ١٣٠، السطر ٥.
(٧) الصفحة ١٣٠، السطر ٧.
(٨) الصفحة ١٣٠، السطر ٩.
(٩) الصفحة ١٣١، السطر ٢.
(١٠) الصفحة ١٣١، السطر ٢.

[١٨٧] الطَّبَقُ[1] ـ محرّكة ـ: غِطاءُ كُلِّ شيءٍ.

[١٨٨] الحَياءُ[2]: الفَرْجُ.

[١٨٩] المراد بمراقي[3] البطنِ ما ارتفَعَ منهُ مِن وَسَطِهِ أو قَرُبَ منهُ.

[١٩٠] الوَضَرُ[4]: الدَّرَنُ.

[١٩١] المِذَبَّةُ[5] ـ بكسر الميم ـ: ما يُذَبُّ بهِ الذُّبابُ.

[١٩٢] بَطَحَهُ[6]: أَلقاهُ على وَجهِهِ.

[١٩٣] كَفَحْتُهُ كَفْحاً وكِفاحاً[7]: إذا استَقْبَلْتَهُ.

[١٩٤] المِشْفَرُ[8] مِنَ البعيرِ: كالجَحْفَلةِ من الفَرَسِ.

[١٩٥] قال الجوهري: الزَّرَافةُ[9] وَالزُّرَافةُ ـ بفتح الزاي وضمّها مخفّفة الفاء ـ: دابّةٌ يقال لها بالفارسيّة: اُشْتُرْ گاو پَلَنْگْ[10].

[١٩٦] قال الفيروزآبادي: السِّمْعُ[11] ـ بكسر السين وسكون الميم ـ: وَلَدُ

---

(١) الصفحة ١٣١، السطر ٤.

(٢) الصفحة ١٣١، السطر ٤.

(٣) الصفحة ١٣١، السطر ٥. والذي أثبتناه في المتن «مَراقّ البطن» وهي مارقَّ منه ولان، واحدها مَرَقٌّ، أو لا واحد لها.

(٤) الصفحة ١٣١، السطر ٥.

(٥) الصفحة ١٣١، السطر ٦.

(٦) الصفحة ١٣١، السطر ١٤.

(٧) الصفحة ١٣٢، السطر ٣.

(٨) الصفحة ١٣٢، السطر ٥.

(٩) الصفحة ١٣٣، السطر ١١.

(١٠) الصحاح ٤: ١٣٦٩.

(١١) الصفحة ١٣٤، السطر ٨.

الذِّئب من الضَّبُعِ [يزعمون أنّه] لا يموت حتفه أنفه كالحَيَّةِ، وعَدْوُهُ أسرَعُ مِن الطَّيرِ، ووَثْبَتُهُ تَزيدُ على ثلاثينَ ذراعاً[١].

[١٩٧] وقال [الفيروزآبادي]: شَحِيجُ[٢] البغلِ والحمارِ: صَوتُهُ[٣].

[١٩٨] الغَياطِلُ[٤]: جَمعُ الغَيْطَلِ، وهُوَ الشَّجَرُ الكَثيرُ المُلتفُّ.

[١٩٩] قوله ﷺ: «أن يكون»[٥] أي خُلِقَ كذلكَ لِأَنْ يكونَ عِبرَةً للإنسانِ.

[٢٠٠] السِّنخُ[٦] ـ بالكسر ـ: الأَصلُ.

[٢٠١] قوله: «بالصِّحَّةِ هو النَّقصُ في العقلِ»[٧] أي الفَصْلُ الصَّحيحُ الذي يَصْلُحُ واقعاً أن يكون فاصلاً. وفي أكثر النسخ: «وهو» وعلى هذا لا يبعد أن تكون تصحيف «القِحَة» أي قلّة الحياء.

[٢٠٢] قال الجوهري: قال الكسائي: رَجُلٌ حافٍ بَيِّنُ الحِفْوَةِ والحِفاءِ بالمدّ، وهو الذي يمشي بلا خُفٍّ ولا نَعْلٍ، وقال: وأمّا الّذي حَفِيَ مِن كَثرةِ المَشْي ـ أي رقَّتْ قَدَمُهُ أو حافِرُهُ ـ فإنّه حَفٍ بَيِّنُ الحَفا[٨]؛ مقصوراً، وأَحْفاهُ غَيرُهُ، انتهى[٩].

---

(١) انظر القاموس المحيط ٣: ٤١.

(٢) الصفحة ١٣٤، السطر ١٢.

(٣) انظر القاموس المحيط ١: ١٩٥. وفيه «شحيجُ البغلِ والغراب صوته».

(٤) الصفحة ١٣٥، السطر ٥.

(٥) الصفحة ١٣٥، السطر ١٣.

(٦) الصفحة ١٣٦، السطر ١.

(٧) الصفحة ١٣٦، السطر ٦.

(٨) الصفحة ١٣٦، السطر ١٠.

(٩) انظر الصحاح ٦: ٢٣١٦.

[٢٠٣] قوله عليه السلام: «ورَوْعَة»[١] من قولهم: راعَني الشَّيءُ: أَعْجَبَني.

[٢٠٤] السِّرْبُ[٢] ـ بالكسر ـ والسُّرْبَةُ: القطيعُ من الظِّباءِ والقَطا والخَيلِ ونَحوِها، والجَمعُ أَسْرابٌ.

[٢٠٥] المَهاةُ[٣]: البقرةُ الوحشيّةُ، والجمع مَها.

[٢٠٦] الوَعْـلُ ـ بـالفتح وككَـتِف ـ: تَـيسُ الجـبلِ، والجَـمعُ: وِعـالٌ ووُعُولٌ[٤].

[٢٠٧] الإِيَّلُ ـ بضمّ الهمزة وكسرها وفتح الياء المشدّدة وكسَيِّد ـ: الذَّكَرُ من الأَوعالِ، ويـقال: هـو الذي يسـمّى بـالفارسيّة: «گَـوَزْن»، والجَـمْعُ أَيايِلُ[٥].

[٢٠٨] القانصُ[٦]: الصّائِدُ.

[٢٠٩] خَلَصَ إِلَيهِ[٧]: وَصَلَ.

[٢١٠] المرادُ بالتمثيلِ[٨] ما ذكره الله تعالى في قصّة قابيل.

[٢١١] المَعَرَّةُ[٩]: الأَذى.

---

(١) الصفحة ١٣٧، السطر ٧.

(٢) الصفحة ١٣٨، السطر ٦.

(٣) الصفحة ١٣٨، السطر ٦.

(٤) الصفحة ١٣٨، السطر ٧.

(٥) الصفحة ١٣٨، السطر ٧.

(٦) الصفحة ١٣٨، السطر ١٠.

(٧) الصفحة ١٣٨، السطر ١٣.

(٨) قوله في السطر ١٣ من الصفحة ١٣٨ «وعلموه بالتّمثيل الأوّل الّذي مُثِّلَ لهم».

(٩) الصفحة ١٣٨، السطر ١٤.

[٢١٢] قوله: «لا بعقلٍ ورويّةٍ»[١] لعلّ المراد أنّ هذه الأُمور من مَحضِ لُطفِهِ تعالى حيث يلهمهم ذلك لا بعقل ورويّة. وفي أكثر النسخ: لا يعقل ومروّته[٢]، وهو تصحيف، والمرادُ معلوم.

[٢١٣] الجُهْدُ[٣]: الطّاقةُ والمَشَقَّةُ، أي أَصابته مشقّة عظيمة من العطش.

[٢١٤] العَجِيجُ[٤]: الصِّياحُ ورَفعُ الصَّوتِ.

[٢١٥] أَعْوَزَهُ الشّيءُ[٥]، أي احتاجَ إليه.

[٢١٦] التَّماوُتُ[٦]: إظهارُ المَوتِ حِيلةً.

[٢١٧] المُساوَرَةُ[٧]: هي الوُثُوبُ على وَجهِ الصَّيدِ.

[٢١٨] قال الفيروزآباديّ: الدُّلْفِينُ[٨] ـ بالضمّ ـ دابّةٌ بحريّةٌ تُنَجِّي الغَرِيقَ[٩].

[٢١٩] قوله عليه السلام: «يُثَوِّرُ الماءَ»[١٠] أي يُهيِّجُهُ ويُحرِّكُهُ.

[٢٢٠] التِّنِّينُ[١١]: حيّةٌ عظيمةٌ معروفةٌ.

---

(١) الصفحة ١٣٩، السطر ٤.

(٢) لم نجد هذا ولا في نسخةٍ من نُسَخنا.

(٣) الصفحة ١٣٩، السطر ٦.

(٤) الصفحة ١٣٩، السطر ٦.

(٥) الصفحة ١٣٩، السطر ١١.

(٦) الصفحة ١٣٩، السطر ١١.

(٧) الصفحة ١٣٩، السطر ١٤.

(٨) الصفحة ١٤٠، السطر ٢.

(٩) القاموس المحيط ٣: ١٤١.

(١٠) الصفحة ١٤٠، السطر ٣.

(١١) الصفحة ١٤٠، السطر ٧، في قول المفضّل «خبرني يا مولاي عن التنّين».

[٢٢١] ثَقِفَهُ[1]، أي وَجَدَهُ.

[٢٢٢] القَيْظُ[2]: صَمِيمُ الصَّيفِ من طُلُوعِ الثُّريّا إلى طُلُوعِ سُهَيلٍ.

[٢٢٣] الصَّحْوُ[3]: ذَهابُ الغَيم.

[٢٢٤] الاحْتِشادُ[4]: الاجتماعُ.

[٢٢٥] الزُّبْيَةُ[5] ـ بالضمّ ـ: الحُفْرَةُ.

[٢٢٦] النَّشْزُ[6] ـ بالفتحِ والتَّحريكِ ـ: المكانُ المُرتَفِعُ.

[٢٢٧] قال الجوهري: اللَّيْثُ[7]: الأَسدُ، وضَربٌ من العَناكِبِ يَصْطادُ الذُّبابَ بالوَثْبِ، انتهى[8].

[٢٢٨] المَواتُ[9] ـ بالفتح ـ: ما لا رُوحَ فيه.

[٢٢٩] يقالُ: ما به حَراكٌ[10] ـ كسحاب ـ أي حَرَكَةٌ.

[٢٣٠] الشَّرَكُ[11] ـ بالتحريك ـ: حِبالَةُ الصَّائِدِ.

---

(١) الصفحة ١٤٠، السطر ٨.

(٢) الصفحة ١٤٠، السطر ١٠.

(٣) الصفحة ١٤٠، السطر ١٠.

(٤) الصفحة ١٤١، السطر ٧.

(٥) الصفحة ١٤١، السطر ٨.

(٦) الصفحة ١٤١، السطر ١٢. وفي متن «ب» والشرح هنا «نَشر» بالراء، لكن يبدو أنّه من غلط النسخ، لأنّ شرح المجلسي ﷺ يقتضي أنها بالزاي المعجمة.

(٧) الصفحة ١٤٢، السطر ١.

(٨) الصحاح ١: ٢٩٢.

(٩) الصفحة ١٤٢، السطر ٣.

(١٠) الصفحة ١٤٢، السطر ٣.

(١١) الصفحة ١٤٢، السطر ٧.

[٢٣١] يقال: أَحالَ عليهِ[١] بالسَّوطِ يَضرِبُهُ، أي أَقْبَلَ.

[٢٣٢] قوله ﷺ: «فلا يضع منه»[٢] أي لا ينقُصُ من قدرِ المعنى النفيسِ تمثيلُهُ بالشيءِ الحقير. قال الفيروزآبادي: وَضَعَ عَنْهُ: حَطَّ مِن قَدْرِهِ[٣].

[٢٣٣] أَقَلَّهُ[٤] أي حَمَلَهُ ورَفَعَهُ.

[٢٣٤] جَسا[٥] ـ كدَعا ـ: صَلُبَ ويَبِسَ.

[٢٣٥] يقال: سَحَجْتُ[٦] جِلْدَهُ فانْسَحَجَ، أَي قَشَرْتُهُ فانْقَشَرَ.

[٢٣٦] التَّقَصُّفُ[٧]: التَّكسُّرُ.

[٢٣٧] الغَرِيضُ[٨]: الطَّرِيُّ، أَي غيرُ مَطبُوخٍ.

[٢٣٨] العَجَمُ[٩] ـ بالتّحريك ـ: النَّوى.

[٢٣٩] حَضَنَ[١٠] الطَّائِرُ بَيضَهُ يَحْضُنُهُ: إذا ضَمَّهُ إلى نفسِهِ تحتَ جَناحِهِ.

[٢٤٠] زَقَّ[١١] الطَّائِرُ فَرْخَهُ يَزُقُّهُ، أي أَطْعَمَهُ بِفِيهِ.

[٢٤١] تُقَوْقِي[١٢]، أي تَصيحُ.

---

(١) الصفحة ١٤٢، السطر ٨.

(٢) الصفحة ١٤٢ ـ ١٤٣، السطر ١٣ ـ ١.

(٣) القاموس المحيط ٣: ٩٤.

(٤) الصفحة ١٤٣، السطر ٨.

(٥) الصفحة ١٤٣، السطر ١٠.

(٦) الصفحة ١٤٣، السطر ١٠.

(٧) الصفحة ١٤٣، السطر ١١.

(٨) الصفحة ١٤٣، السطر ١٢.

(٩) الصفحة ١٤٣، السطر ١٣.

(١٠) الصفحة ١٤٤، السطر ٥.

(١١) الصفحة ١٤٤، السطر ٧.

(١٢) الصفحة ١٤٥، السطر ٣.

[٢٤٢] المُحُّ[١] ـ بضمّ الميم والحاء المهملة ـ: صُفرةُ البَيضِ. وفي بعض النسخ بالخاء المعجمة.

[٢٤٣] قال الأصمعي: أَخْثَرْتُ[٢] الزُّبْدَ: تركتُهُ خاثِراً، وذلك إذا لم تُذِبْهُ[٣].

[٢٤٤] تَنْقابُ[٤]، أي تَنْفَلِقُ.

[٢٤٥] المَرَجُ[٥] ـ بالتَّحريك ـ: الفسادُ والاضطِرابُ والاختلاطُ. وفي بعض النسخ بالزاي المعجمة، والأوّلُ أَظهر.

[٢٤٦] الوَشْيُ[٦]: نقشُ الثَّوبِ، ويكونُ مِن كُلِّ لَوْنٍ.

[٢٤٧] السُّلُوكُ[٧]: جَمعُ السِّلْكِ وهو جَمعُ السِّلْكَةِ ـ بالكسر ـ: الخيطُ يُخاطُ بِهِ.

[٢٤٨] ماءٌ ضَحْضاحٌ[٨]، أي قَرِيبُ القَعْرِ.

[٢٤٩] الرَّبِيئَةُ[٩] ـ بالهمز ـ: العَينُ والطَّلِيعةُ الّذي ينظُرُ للقوم لِئَلّا يَدْهَمَهُم عَدُوٌّ، ولا يكونُ إلّا على جَبَلٍ أَو شَرَفٍ.

---

(١) الصفحة ١٤٥، السطر ٧.

(٢) الصفحة ١٤٥، السطر ٧.

(٣) هذا النصّ بعينه في الصحاح ٢: ٦٤٢.

(٤) الصفحة ١٤٥، السطر ٨.

(٥) الصفحة ١٤٧، السطر ٣.

(٦) الصفحة ١٤٧، السطر ٥.

(٧) الصفحة ١٤٧، السطر ٩.

(٨) الصفحة ١٤٨، السطر ٤.

(٩) الصفحة ١٤٨، السطر ٤.

[٢٥٠] المَرْقَبُ[١]: المَوضعُ المُشرِفُ يَرتفعُ عليهِ الرَّقِيبُ.

[٢٥١] الذُّعْرُ[٢]: الخَوفُ.

[٢٥٢] البَشَمُ[٣] ـ محرّكة ـ: التُّخْمةُ والسَّآمَةُ، بَشِمَ ـ كفَرِحَ ـ وأَبْشَمَهُ الطَّعامُ.

[٢٥٣] الفَراشُ[٤]: هي الّتي تَقعُ في السِّراجِ.

[٢٥٤] اليَعْسُوبُ[٥]: أَميرُ النَّحلِ، وطائِرٌ أصغرُ من الجَرادةِ أو أَعْظَمُ.

[٢٥٥] قوله عليه السلام: «ناشزتين»[٦] ـ بالمعجمة ـ أي مرتَفِعَتَينِ. وفي بعض النسخ بالمهملة، أي مَبسُوطَتَين.

[٢٥٦] السُّرَى[٧]: السَّيرُ باللَّيلِ.

[٢٥٧] قال الفيروزآباديُّ: التُّمَّرَةُ ـ كقُبَّرَة ـ وابنُ تُمَّرَةَ[٨]: طائرٌ أَصغرُ من العُصفُورِ، انتهى[٩].

[٢٥٨] فَغَرَ فاهُ[١٠]، أَي فَتَحَهُ.

---

(١) الصفحة ١٤٨، السطر ٥.

(٢) الصفحة ١٤٨، السطر ٧.

(٣) الصفحة ١٤٩، السطر ٧.

(٤) الصفحة ١٥٠، السطر ٥.

(٥) الصفحة ١٥٠، السطر ٦.

(٦) الصفحة ١٥١، السطر ٤.

(٧) الصفحة ١٥١، السطر ٦.

(٨) الصفحة ١٥٢، السطر ٦.

(٩) القاموس المحيط ١: ٣٨٠.

(١٠) الصفحة ١٥٢، السطر ٧.

[٢٥٩] الحَسَكُ[١] ـ محرّكةً ـ: نباتٌ تَعلَقُ ثمرَتُهُ بصُوفِ الغَنَمِ.

[٢٦٠] قوله ﷺ: «غبيّاً جاهلاً»[٢] أي ليس له عَقلٌ يتصرَّفُ في سائرِ الأَشياءِ على نَحوِ تَصرُّفِهِ في ذلك الأمرِ المخصوصِ، فَظهَرَ أنَّ خُصوصَ هذا الأمرِ إلهامٌ من مدبّرٍ حكيمٍ، أَو خِلقَةٌ وطَبيعةٌ جَبَلَهُ عَلَيها، ليصدُرَ عنهُ خُصُوصُ هذا الأَمرِ لما فيه من المصلحة مع كونِهِ غافلاً عن المصلحة أَيضاً، ولعلّ هذا يؤيّد ما يقال: إنَّ الحَيواناتِ العُجْمَ غيرُ مُدْرِكَةٍ للكُلّيّاتِ.

[٢٦١] يقال: دَلَفَتِ[٣] الكَتِيبةُ في الحَربِ، أي تَقَدَّمَتْ. ويُقال: دَلَفْناهُمْ. فـ«العساكر» تَحتَملُ الرَّفعَ والنَّصبَ.

[٢٦٢] الرَّجْلُ[٤] ـ بالفتح ـ: جَمعُ راجل؛ خلافُ الفارِسِ.

[٢٦٣] انْسَابَ[٥]: جَرَى ومَشَى مُسْرِعاً.

[٢٦٤] لا يَؤُودُها[٦]، أَي لا يُثْقِلُها.

[٢٦٥] لُجَّةُ[٧] الماءِ: مُعظَمُهُ.

[٢٦٦] المِجْذافُ[٨]: ما تجري به السَّفينةُ.

[٢٦٧] انْتَجَعَ[٩]: طَلَبَ الكَلأَ في مَوضِعِهِ.

---

(١) الصفحة ١٥٢، السطر ٩.
(٢) الصفحة ١٥٣، السطر ٩.
(٣) الصفحة ١٥٤، السطر ٣.
(٤) الصفحة ١٥٤، السطر ٤.
(٥) الصفحة ١٥٤، السطر ٨.
(٦) الصفحة ١٥٤، السطر ١١.
(٧) الصفحة ١٥٥، السطر ١.
(٨) الصفحة ١٥٥، السطر ٢.
(٩) الصفحة ١٥٥، السطر ٥.

[٢٦٨] حافّاتُ الآجام[١]: جَوانِبُها.

[٢٦٩] عَكَفَ على الشَّيءِ[٢]: أَقبلَ عليهِ مُواظِباً.

[٢٧٠] قال الفيروزآبادي: القِرْمِزُ[٣]: صِبْغٌ أرمَنيٌّ يكونُ من عُصارةِ دُودٍ [يَكونُ] في آجامِهِمْ[٤].

[٢٧١] وقال [الفيروزآبادي]: الحَلَزُونُ[٥] ـ مُحرَّكةً ـ: دابَّةٌ تكونُ في الرِّمْثِ[٦]؛ أي بَعضِ مراعي الإبل. ويظهرُ من كلامه عليه السلام اتّحادُهُما، ويحتمل أن يكونَ المرادُ أنّ من صِبْغِ الحَلَزُونِ تَفَطَّنُوا بإعمالِ القِرْمِزِ للصّبغِ لتشابُهِهِما.

[٢٧٢] «اصطفانا بعلمه»[٧] أي اختارنا وفَضَّلنا على الخلق بأن أعطانا من علمه ما لم يُعْطِ أحداً.

[٢٧٣] «أَيّدنا بحلمه»[٨] أي قَوّانا على تبليغِ الرِّسالةِ بما حلّانا به من حلمه لنصبر على ما يلقانا من أذى النّاسِ وتَكذيبِهِمْ.

[٢٧٤] الدَّوْحَةُ[٩]: الشَّجرةُ العظيمَةُ.

---

(١) الصفحة ١٥٥، السطر ١١ ـ ١٢.

(٢) الصفحة ١٥٥، السطر ١٢.

(٣) الصفحة ١٥٦، السطر ٤.

(٤) القاموس المحيط ٢: ١٨٧.

(٥) الصفحة ١٥٦، السطر ٦.

(٦) القاموس المحيط ٢: ١٧٣.

(٧) الصفحة ١٥٧، السطر ٤.

(٨) الصفحة ١٥٧، السطر ٤.

(٩) الصفحة ١٥٧، السطر ٥.

[٢٧٥] الصَّخْرُ[١]: الحَجَرُ العِظامُ.

[٢٧٦] أَديمُ السَّماء[٢]: وَجْهُها، كما يُطلَقُ أَديمُ الأرضِ على وَجْهِها، ويمكن أن يكون ﷺ شَبَّبها بالأَديمِ.

[٢٧٧] قوله ﷺ: «حكمة بالغة»[٣] بالرفعِ خبرُ مبتَدَإٍ محذوفٍ، أو بالنَّصبِ بالحاليّة أو بِكونِهِ مَفعُولاً لأَجله.

[٢٧٨] الدُّولَةُ[٤] ـ بالفتح والضَّمّ ـ: انقلابُ الزَّمانِ، ودالتِ الأَيّامُ: دارَت، واللهُ يُداوِلُها بينَ النّاسِ.

[٢٧٩] هَدَأَ[٥] ـ كمَنَعَ ـ هَدْءاً وهُدُوءاً: سَكَنَ.

[٢٨٠] يقال: نَكَيتُ[٦] في العَدُوِّ نِكايَةً، إذا قَتلتَ فيهم وجَرَحْتَ.

[٢٨١] جَثَمَ[٧] الإنسانُ والطَّائرُ والنَّعامُ، يَجْثِمُ جَثْماً وجُثُوماً: لِزمَ مكانَهُ فلم يَبْرَحْ، والمرادُ جُثُومُهُم في اللَّيلِ.

[٢٨٢] التَّظاهُرُ[٨]: التَّعاوُنُ.

[٢٨٣] نَوَّرَ[٩] الشَّجَرُ، أي أَخْرَجَ نَوْرَهُ.

---

(١) الصفحة ١٥٧، السطر ٩. والذي أثبتناه في المتن «الصَّحْو».

(٢) الصفحة ١٥٨، السطر ٦ ـ ٧.

(٣) الصفحة ١٥٨، السطر ٩.

(٤) الصفحة ١٥٨، السطر ١٢.

(٥) الصفحة ١٥٩، السطر ٣.

(٦) الصفحة ١٥٩، السطر ٦.

(٧) الصفحة ١٥٩، السطر ٧.

(٨) الصفحة ١٥٩، السطر ١٢.

(٩) الصفحة ١٦٠، السطر ٦.

[٢٨٤] حَدْمُ[١] النَّارِ: شِدّةُ احتِراقِها.

[٢٨٥] التَّقَصِّي[٢]: بُلُوغُ أَقْصى الشَّيءِ ونهايَتِهِ.

[٢٨٦] الغابِرُ[٣]: الباقِي والماضي، والمرادُ هنا الثَّاني.

[٢٨٧] بَزَغَتِ[٤] الشَّمسُ بُزُوغاً: شَرَقَتْ، أو البُزُوغُ ابتداءُ الطُّلُوعِ.

[٢٨٨] قال الجوهري: اعتَلَّ[٥] عَلَيهِ [بِعِلَّةٍ] واعْتَلَّهُ: إذا اعتاقَهُ عن أَمْرٍ، انتهى[٦].

[٢٨٩] لَيلةٌ داجِيَةٌ[٧]، أي مُظلِمةٌ.

[٢٩٠] قوله ﷺ: «لا تفارق مراكزها»[٨] لعلَّ المرادَ أنّه ليس لها حركةٌ بيّنةٌ ظاهرةٌ كما في السيّارات، أو لا تختلف نِسَبُ بعضها إلى بعض بالقرب والبعد؛ بأن تكون الجملة التالية مفسّرة لها. ويحتمل أن يكونَ المرادُ بمراكزها البروجَ الّتي تُنسب إليها على ما هو المصطلح بين العرب من اعتبار محاذاة تلك الأشكال في الانتقال إلى البروج وإنِ انتقلَتْ عن مواضِعِها، وعليه ينبغي أن يحمل قوله ﷺ: «وبعضُها مطلقةٌ تنتقل في البروج»؛ أو على ما ذكرنا سابقاً من كون انتقالها في البروج ظاهرةً بيِّنةً

---

(١) الصفحة ١٦٠، السطر ٨. والأوضح شرحها بالاحْتِدام بمعنى شدّة الحرّ.

(٢) الصفحة ١٦٠، السطر ١٢.

(٣) الصفحة ١٦١، السطر ٦.

(٤) الصفحة ١٦١، السطر ١٠. والذي أثبتناه في المتن «شروقها».

(٥) الصفحة ١٦٢، السطر ٤.

(٦) الصحاح ٥: ١٧٧٤.

(٧) الصفحة ١٦٣، السطر ١.

(٨) الصفحة ١٦٣، السطر ١٢.

يعرفه كلُّ أحدٍ. والأَوّلُ أظهرُ كما سيظهر من كلامه عليه السلام.

[٢٩١] قوله: «فإنّ الإهمال معنى واحد»[١] يحتمل أن يكونَ المرادُ أنّ الطبيعةَ أو الدَّهرَ ـ اللَّذَينِ يجعلونَهُما أصحابُ الإهمال مؤثِّرَينِ ـ كلٌّ منهما أمر واحد غير ذي شعور وإرادة، ولا يُمكنُ صدورُ الأَمرين المختلِفَين عن مثل ذلك كما مرّ. أو المرادُ أنّ العقلَ يحكم بأنّ مثل هذين الأمرين المتَّسِقَين الجارِيَين على قانونِ الحكمةِ لا يكون إلّا من حكيم راعى فيهما دقائق الحِكَم. أو المرادُ أنّ الإهمال ـ أي عدم الحاجة إلى العلّة ـ وترجيحَ الأمرِ الممكنِ من غير مرجِّحٍ كما تزعمون أمرٌ واحد حاصل فيهما، فلِمَ صارت إحداهُما راتبةً والأُخرى منتقلةً؟ ولِمَ لَمْ يُعكَسِ الأمرُ؟ والأوّل أظهرُ كما لا يخفى.

[٢٩٢] قوله عليه السلام: «لبطلت الدلالات»[٢] ظاهرُهُ كونُ الأوضاعِ النجوميّة علاماتٍ للحوادثِ.

[٢٩٣] قوله عليه السلام: «في البروج الراتبة»[٣] يدلّ ظاهراً على ما أشرنا إليه من أنّه عليه السلام راعى في انتقال البروج محاذاة نفس الأَشكال، وإن أَمكَنَ أن يكون المرادُ بيانَ حكمةِ بُطْءِ الحركةِ ليصلحَ كونُ تلك الأشكال علاماتٍ للبروج ولو بقربها منها، لكنّه بعيدٌ.

[٢٩٤] قوله عليه السلام: «والشِّعْرَيَيْن»[٤]. قال الجوهريّ: الشِّعْرَى: الكوكب

---

(١) الصفحة ١٦٤، السطر ٨ ـ ٩.

(٢) الصفحة ١٦٤، السطر ١٣.

(٣) الصفحة ١٦٥، السطر ٣.

(٤) الصفحة ١٦٥، السطر ١٠.

الذي يطلُعُ بعد الجوزاء، وطُلُوعُهُ في شدّة الحرّ، وهما الشِّعْريان: الشِّعْرَى العَبُورُ التي في الجوزاء، والشِّعْرَى الغُمَيْصاءُ التي في الذراع. تَزعمُ العربُ أَنَّهما أُختا سُهَيلٍ، انتهى(١).

[٢٩٥] القِفارُ(٢): جمعُ قَفْرٍ، وهو الخَلاءُ من الأَرضِ.

[٢٩٦] خَطِفَ(٣) البَرقُ البَصَرَ: ذَهَبَ بهِ.

[٢٩٧] وَهْجُ(٤) النّارِ ـ بالتَّسكين ـ: تَوَقُّدُها.

[٢٩٨] قوله: «حثيثاً»(٥) أي مُسْرِعاً.

[٢٩٩] تَجافى(٦)، أي لم يَلزَمْ مكانَهُ.

[٣٠٠] بَرِحَ(٧) مكانَهُ: زالَ عنهُ.

[٣٠١] قوله عليه السلام: «لا يُجاوِزُ ذلك»(٨) أي في مُعظَمِ المَعْمُورَةِ.

[٣٠٢] قال الفيروزآبادي: خَوَتِ(٩) الدارُ: تهدَّمَتْ ... والنُّجومُ خَيّاً: أَمْحَلَتْ فلم تُمْطِرْ، كأَخْوَتْ(١٠).

---

(١) الصحاح ٢: ٦٩٩.
(٢) الصفحة ١٦٦، السطر ١٠.
(٣) الصفحة ١٦٦، السطر ١٤.
(٤) الصفحة ١٦٦، السطر ١٤.
(٥) الصفحة ١٦٧، السطر ٢.
(٦) الصفحة ١٦٧، السطر ٧. والذي أثبتناه في المتن «النّجاء في» بدل «التجافي».
(٧) الصفحة ١٦٧، السطر ٨.
(٨) الصفحة ١٦٩، السطر ١ ـ ٢.
(٩) الصفحة ١٧٠، السطر ٢.
(١٠) القاموس المحيط ٤: ٣٢٦.

[٣٠٣] وقال [الفيروزآبادي]: المُنْتَكِثُ[١]: المَهزُولُ[٢].

[٣٠٤] وقال [الفيروزآبادي]: التَّرَسُّلُ[٣]: الرِّفقُ والتُّؤَدَةُ، انتهى[٤].

[٣٠٥] قوله ﷺ: «بِبُعدِ ما بين المشرقين»[٥] أي المشرقِ والمغربِ، كناية عن عِظَمِ الدّائرة التي يقطع عليها البروج، أو مشرقِ الصّيفِ والشّتاء، والأوّلُ أظهرُ.

[٣٠٦] قوله ﷺ: «الجاسية»[٦] أي الصُّلْبَةُ.

[٣٠٧] يَتَفَكَّهُ[٧] بها، أي يتمتَّعُ بها.

[٣٠٨] الرَّيْعُ[٨]: النَّماءُ والزِّيادةُ.

[٣٠٩] قال الجوهريُّ: أَمَضَّنِي[٩] الجُرْحُ إِمْضاضاً، إذا أَوْجَعَكَ، وفيه لغة أُخرى: مَضَّنِي الجُرْحُ؛ ولم يَعْرِفها الأصمعيُّ[١٠].

[٣١٠] رُكُودُ[١١] الرِّيحِ: سُكُونُها.

---

(١) الصفحة ١٧٠، السطر ٢.

(٢) القاموس المحيط ١: ١٧٦.

(٣) الصفحة ١٧٠، السطر ٣.

(٤) القاموس المحيط ٣: ٣٨٤.

(٥) الصفحة ١٧٠، السطر ١٢.

(٦) الصفحة ١٧١، السطر ٣.

(٧) الصفحة ١٧١، السطر ٣.

(٨) الصفحة ١٧١، السطر ٥.

(٩) الصفحة ١٧١، السطر ٨.

(١٠) الصحاح ٣: ١١٠٦.

(١١) الصفحة ١٧١، السطر ١١.

[٣١١] الحَرَضُ[١]: فَسادُ البَدنِ.

[٣١٢] يقال: نَهَكَتْهُ[٢] الحُمَّى، أي أَضْنَتْهُ وهَزَلَتْهُ.

[٣١٣] قوله عليه السلام: «والهواء يؤدّيه»[٣] يدلّ على ما هو المنصور[٤] من تكيُّفِ الهواءِ بكيفيَّةِ الصَّوتِ على ما فُصِّلَ في مَحلّهِ.

[٣١٤] يقال: كَرَبَهُ[٥] الأَمْر، أي شَقَّ عليهِ.

[٣١٥] فَدَحَهُ[٦] الدَّينُ، أي أَثقلَهُ.

[٣١٦] رَيْثما[٧] فَعَلَ كذا، أي قَدْرَ ما فَعَلَهُ. و «يبلغ» إمّا على بناء المجرّد فـ«العالَم» فاعله، أو على التفعيل فـ«الهواء»[٨] فاعله.

[٣١٧] الرَّوحُ[٩] ـ بالفتح ـ: الرّاحةُ ونَسِيمُ الرِّيحِ.

[٣١٨] اطَّرَدُ[١٠] الشَّيءُ: تَبعَ بَعضُهُ بَعضاً وجَرَى.

[٣١٩] الأَرايِيحُ[١١]: جَمعٌ للرِّيحِ.

---

(١) الصفحة ١٧١، السطر ١٢. والذي أثبتناه في المتن «ويمرض الأصحاء» بدل «ويحرّض الأصحّاء».

(٢) الصفحة ١٧١، السطر ١٢.

(٣) الصفحة ١٧٢، السطر ٣.

(٤) كذا في «ب»، ولعلّ الصواب: «المتصوّر».

(٥) الصفحة ١٧٢، السطر ٥.

(٦) الصفحة ١٧٢، السطر ٥.

(٧) الصفحة ١٧٢، السطر ٨. وهو قوله عليه السلام: «ريثما يبلغ العالم حاجته».

(٨) في قوله عليه السلام في السطر ٧ من الصفحة ١٧٢ «هذا الهواء».

(٩) الصفحة ١٧٣، السطر ١.

(١٠) الصفحة ١٧٣، السطر ١.

(١١) الصفحة ١٧٣، السطر ٢.

[٣٢٠] تُزْجِي السَّحابَ[١] ـ على بناء الإِفعال ـ أي تَسوقُهُ.

[٣٢١] تَفُضُّهُ[٢]، أي تُفرِّقُهُ.

[٣٢٢] التَّفَشِّي[٣]: الانتشارُ.

[٣٢٣] تُرخي الأَطعِمَةَ[٤] ـ على التَّفعيل أو الإِفعال ـ أَي تُصَيِّرُها رِخْوةً لَطِيفةً.

[٣٢٤] تُشِبُّ النّارَ[٥]، أي تُوقِدُها.

[٣٢٥] العَقاقِيرُ[٦]: أُصُولُ الأَدويَةِ.

[٣٢٦] الغَناءُ[٧] ـ بالفتح ـ: المَنْفَعةُ.

[٣٢٧] الخاوِيةُ[٨]: الخالِيةُ.

[٣٢٨] الفَدْفَدُ[٩]: الفلاةُ، والمكانُ الصُّلْبُ الغليظُ والمُرْتَفِعُ، والأَرْضُ المُستَوِيَةُ.

[٣٢٩] الفُسْحَةُ[١٠] ـ بالضمّ ـ: السَّعَةُ.

---

(١) الصفحة ١٧٣، السطر ٥.

(٢) الصفحة ١٧٣، السطر ٦.

(٣) الصفحة ١٧٣، السطر ٦.

(٤) الصفحة ١٧٣، السطر ٧.

(٥) الصفحة ١٧٣، السطر ٧.

(٦) الصفحة ١٧٤، السطر ٢.

(٧) الصفحة ١٧٤، السطر ٣.

(٨) الصفحة ١٧٤، السطر ٤.

(٩) الصفحة ١٧٤، السطر ٦.

(١٠) الصفحة ١٧٤، السطر ٨.

[٣٣٠] يُقالُ: لي عَن هذا الأَمِر مَنْدُوحَةٌ[١] ومُنْتَدَحٌ، أي سَعَةٌ.

[٣٣١] حَزَبَهُ أَمْرٌ[٢]، أي أَصابَهُ.

[٣٣٢] الرَّاتِبةُ[٣]: الثّابِتةُ.

[٣٣٣] الرّاكِنَةُ[٤]: السّاكِنَةُ.

[٣٣٤] هَدَأ[٥] هَدْءاً وهُدُوءاً: سَكَنَ.

[٣٣٥] قوله عليه السلام: «رَجْراجَةٌ»[٦] أي مُتَزلزِلَةٌ مُتحرِّكَةٌ.

[٣٣٦] التَّكَفُّؤُ[٧]: الانقلابُ والتَّمايُلُ والتَّحَرُّكُ.

[٣٣٧] الارْتِجاجُ[٨]: الاضْطِرابُ.

[٣٣٨] الارْعِواءُ[٩]: الرُّجُوعُ عن الجهلِ والكفُّ عن القبيحِ.

[٣٣٩] الصَّلْدُ[١٠] ـ ويكسر ـ: الصُّلْبُ الأَمْلَسُ.

[٣٤٠] قوله عليه السلام: «كيف تنصب»[١١] كذا في أكثر النسخ، والنَّصْبُ يكون بمعنى الرَّفعِ والوَضْعِ، ولعلّ المراد هنا الثاني، والظاهرُ أنّه تصحيف

---

(١) الصفحة ١٧٤، السطر ٨.

(٢) الصفحة ١٧٤، السطر ٩.

(٣) الصفحة ١٧٤، السطر ١٠.

(٤) الصفحة ١٧٤، السطر ١٠.

(٥) الصفحة ١٧٥، السطر ١.

(٦) الصفحة ١٧٥، السطر ٢.

(٧) الصفحة ١٧٥، السطر ٢. والذي أثبتناه في المتن «منكفئة» لا «متكفّئة». والمعينان قريبان.

(٨) الصفحة ١٧٥، السطر ٣.

(٩) الصفحة ١٧٥، السطر ٧.

(١٠) الصفحة ١٧٦، السطر ١.

(١١) الصفحة ١٧٦، السطر ٢. والذي أثبتناه في المتن «كيف نقصت».

«نقصت» أو نحوه.

[٣٤١] قوله عليه السلام: «إنّ مَهَبَّ الشّمال أرفع»[1] أي بعدَ ما خرجتِ الأرضُ من الكُرويّةِ الحقيقيّةِ صار مايلي الشّمال منها في أَكثر المعمورة أرفعَ ممّا يلي الجنوب، ولذا ترى أكثر الأنهار ـ كدجلة والفرات وغيرهما ـ تجري من الشّمال إلى الجنوب، ولمّا كان الماء الساكن في جوف الأرض تابِعاً للأرض في ارتفاعه وانخفاضه فَلِذا صارتِ العيونُ المتفجّرةُ تجري هكذا من الشّمال إلى الجنوب حتّى تجري على وجه الأرض؛ ولذا حكموا بفوقيّةِ الشّمال على الجنوب في حكم اجتماع البئر والبالوعة، وإذا تأمّلتَ فيما ذكرنا يظهر لك ما بيّنه عليه السلام من الحِكَمِ في ذلك، وأنّه لا ينافي كرويّة الأرض.

[٣٤٢] التَّدَفُّقُ[2]: التَّصبُّبُ.

[٣٤٣] قوله عليه السلام: «فإنّه سوى الأمر الجليل»[3] الضميرُ راجعٌ إلى الماءِ وهو اسم «إنّ»، و «يُمزَجُ»[4] خبره، أي للماء سوى النفع الجليل المعروف ـ وهو كونه سبباً لحياة كلّ شيء ـ منافع أُخرى؛ منها: أنّه يُمزَجُ مع الأشربة.

[٣٤٤] قال الجوهري: الحَمِيمُ: الماءُ الحارُّ ... وقد اسْتَحْمَمْتُ[5] إذا

---

(١) الصفحة ١٧٦، السطر ٥.

(٢) الصفحة ١٧٦، السطر ١١.

(٣) الصفحة ١٧٧، السطر ٣ ـ ٤.

(٤) الصفحة ١٧٧، السطر ٥.

(٥) الصفحة ١٧٧، السطر ٨.

اغتَسَلْتَ بهِ ... ثُمَّ صار كُلُّ اغتسالٍ اسْتِحْماماً بأيِّ ماءٍ كان، انتهى[١].

[٣٤٥] الوَصَبُ[٢] ـ محرّكة ـ: المَرَضُ.

[٣٤٦] المُكْتَنَفُ[٣] ـ بفتح النون ـ من الكَنْفِ بمعنى الحِفْظِ والإحاطة، واكتَنَفَهُ أي أَحاطَ به. ويظهرُ منه أَنَّ نوعاً من الياقوتِ يتكوَّنُ في البحر، وقيل: أُطلِق على المرجان مجازاً. ويحتمل أن يكون المرادُ ما يُستَخْرَجُ منه بالغوص وإن لم يتكوَّن فيه.

[٣٤٧] اليَلَنْجُوجُ[٤]: عُودُ البَخُورِ.

[٣٤٨] «من العراق»[٥] أي البصرة، و «إلى العراق» أي الكوفة، أو بالعكس.

[٣٤٩] قوله عليه السلام: «ويعجز»[٦] أي لولا كثرة الهواء لعجز الهواءُ عمّا يستحيلُ الهواء إليه من السَّحاب والضَّباب الّتي تتكوّن من الهواء.

[٣٥٠] «أوّلاً أوّلاً»[٧] أي تدريجاً، أي كان الهواءُ لا يفي بذلك أو لا يتّسع لذلك.

[٣٥١] الضَّبابُ[٨] ـ بالفتح ـ: نَدَىً كالغيمِ، أو سَحابٌ رقيقٌ كالدُّخانِ.

---

(١) الصحاح ٥: ١٩٠٥.

(٢) الصفحة ١٧٧، السطر ٩.

(٣) الصفحة ١٧٨، السطر ١.

(٤) الصفحة ١٧٨، السطر ٣.

(٥) الصفحة ١٧٨، السطر ٥. والذي أثبتناه في المتن «من العراق إلى الصّين» بدل «من العراق إلى العراق».

(٦) الصفحة ١٧٨، السطر ١٢. والذي أثبتناه في المتن «ولَعَجَزَ».

(٧) الصفحة ١٧٨، السطر ١٢.

(٨) الصفحة ١٧٨، السطر ١٢.

[٣٥٢] الأَحايِينُ[1]: جمع أَحْيانٍ، وهو جَمعُ حِيْنٍ بمعنى الدَّهرِ والزَّمان.

[٣٥٣] قوله ﷺ: «فلا هي تمسك بالمادّة والحطب»[2] أي دائماً بحيث إذا انطفَأَتْ لم يُمكِن إعادتُها. والمادّة: الزِّيادةُ المتَّصلةُ، والمرادُ هنا الدُّهنُ ومثله.

[٣٥٤] دِفاءُ الأَبدانِ[3] ـ بالكسر ـ: دَفْعُ البردِ عنها.

[٣٥٥] «يَعْتَقِبان»[4] أي يأتي كلٌّ منهما عَقِيبَ صاحِبِه.

[٣٥٦] خَصِرَ الهواءُ[5] ـ بكسر الصاد المهملة ـ يقال: خَصِرَ يومُنا، أي اشتدّ برده، وماءٌ خاصِرٌ: بارد. وفي أكثر النسخ بالحاء المهملة والسين من حَسِرَ أي كَلَّ، وهو لا يستقيم إلّا بتكلّف وتَجَوُّز. وفي بعضها بالخاء المعجمة، والثاء المثلّثة، من قولهم: خَثَرَ اللَّبنُ خَثْراً، إذا غَلُظَ.

[٣٥٧] البَشِعُ[6]: الكَريهُ الطَّعمِ الذي يأخذ بالحَلْقِ.

[٣٥٨] القِنْطارُ[7]: مِعيارٌ، ويُروى أنّه ألف ومائتا أوقية، ويقال: هو مائة وعشرون رطلاً، ويقال: هو مِلْءُ مَسْكِ الثَّورِ ذَهَباً.

[٣٥٩] قوله ﷺ: «ويذهبُ له بِهِ الصَّوتُ»[8] أي يملأُ صِيتُ كرمِهِ وجُودِهِ الآفاقَ.

---

(١) الصفحة ١٧٩، السطر ٣.

(٢) الصفحة ١٧٩، السطر ٥.

(٣) الصفحة ١٨٠، السطر ٧.

(٤) الصفحة ١٨٠، السطر ١٠.

(٥) الصفحة ١٨١، السطر ٢.

(٦) الصفحة ١٨١، السطر ١١.

(٧) الصفحة ١٨٢، السطر ١.

(٨) الصفحة ١٨٢، السطر ٢.

[٣٦٠] الذَّمْرُ[١]: المَلامةُ والتَّهدُّدُ.

[٣٦١] قوله: «ليتفشّى»[٢] التَّفشّي: الاتّساع، والأظهرُ «لِيَغْشَى» بالغين المعجمة كما في بعض النسخ.

[٣٦٢] الحَطْمُ[٣]: الكَسْرُ.

[٣٦٣] الأنْدِفاقُ[٤]: الأنْصِبابُ.

[٣٦٤] اليَرَقانُ[٥]: آفةٌ للزَّرعِ.

[٣٦٥] قوله: «ممّا عسى أَن يُرْزَأَ»[٦]، من الرُّزْءِ: المُصِيبَة.

[٣٦٦] «المَقايِل»[٧] في بعض النسخ بالقاف، وكأنّه من القَيْلُولة. وفي بعضها بالغين، ولعلّه من الغِيلِ: الشجر الملتفّ. وفي بعض كتب اللغة: المَغالَةُ: العُشُّ. وفي بعض النسخ: مَعاقِل، جمع المَعْقلِ وهُوَ المَلْجَأُ.

[٣٦٧] الكِلْسُ[٨] ـ بالكسر ـ: الصَّارُوجُ.

[٣٦٨] الجِبْسُ[٩] ـ بالكسر ـ: الجِصُّ. وفي أكثر النسخ: الجبسين، ولم أجده فيما عندنا من كتب اللغة، لكن في كتب الطبّ كما في أكثر النُّسَخ.

---

(١) الصفحة ١٨٢، السطر ٥.

(٢) الصفحة ١٨٢، السطر ١٠. والذي أثبتناه في المتن «ليغشى».

(٣) الصفحة ١٨٣، السطر ٨.

(٤) الصفحة ١٨٣، السطر ٨.

(٥) الصفحة ١٨٣، السطر ١٢.

(٦) الصفحة ١٨٤، السطر ٤ ـ ٥.

(٧) الصفحة ١٨٤، السطر ١١.

(٨) الصفحة ١٨٥، السطر ٦.

(٩) الصفحة ١٨٥، السطر ٦.

[٣٦٩] المَرْتَكُ[١] ـ كمَقْعَد ـ: المرداسنج.

[٣٧٠] القونيا[٢] ـ بالباء الموحّدة أو الياء المثنّاة من تحت ـ ولم أجدهما في كتب اللغة، لكن في القاموس: القَوْنَةُ: القِطْعَةُ من الحديدِ أو الصُّفْرِ يُرْقَعُ بِها الإناءُ[٣]. وفي بعض النسخ: التُّوتِيا، وفي كتب اللغة أنّه حَجَرٌ يُكتَحَلُ بِهِ[٤].

[٣٧١] القارُ[٥]: القِيرُ.

[٣٧٢] جَبَى[٦] الخراجَ جِبايَةً: جَمَعَهُ.

[٣٧٣] الإيغالُ[٧]: المبالَغَةُ في الدُّخُولِ والذَّهابِ.

[٣٧٤] انْصَلَتَ[٨]: مَضَى وسَبَقَ.

[٣٧٥] لِحاءُ[٩] الشَّجَرَةِ ـ بالكسر ـ: قِشْرُها.

[٣٧٦] يَنْسِفُهُ[١٠] ـ بالكسر ـ أي يَقْلَعُهُ.

[٣٧٧] بَشِمَ[١١] الحيوانُ بَشَماً ـ من باب تَعِبَ ـ: اتَّخَمَ من كَثرةِ الأَكلِ.

---

(١) الصفحة ١٨٥، السطر ٦.

(٢) الصفحة ١٨٥، السطر ٦.

(٣) القاموس المحيط ٤: ٢٦١.

(٤) انظر المصباح المنير: ٧٨، ولسان العرب ٢: ١٨.

(٥) الصفحة ١٨٥، السطر ٨.

(٦) الصفحة ١٨٦، السطر ١.

(٧) الصفحة ١٨٦، السطر ٥.

(٨) الصفحة ١٨٦، السطر ٥.

(٩) الصفحة ١٨٧، السطر ٤.

(١٠) الصفحة ١٨٩، السطر ٥.

(١١) الصفحة ١٨٩، السطر ٥.

[٣٧٨] الكَدْحُ[١]: العَملُ والسَّعيُ.

[٣٧٩] الشَّقا[٢]: الشِّدَّةُ والعُسْرُ، شَقِيَ كرَضِيَ.

[٣٨٠] الدَّوْحُ[٣] ـ بفتحِ الدّالِ وسُكُونِ الواوِ ـ: جمعُ الدَّوْحَةِ؛ وهي الشَّجرةُ العظيمةُ.

[٣٨١] قوله ﷺ: «معجماً»[٤] لعلّ المراد شدّة ارتباطها؛ قال الفيروزآبادي: بابٌ مُعْجَمٌ، كمُكْرَم: مُقْفَلٌ، انتهى[٥]. ويحتمل أن يكونَ كنايةً عن خَفائها؛ كقوله ﷺ: «صلاةُ النَّهار عَجْماء».

[٣٨٢] وقوله ﷺ: «إن عاقَ دُونَ الغَرسِ»[٦] أي غَرْسِ الأغصان عائقٌ تُغرَسُ النَّوى بَدَلَها.

[٣٨٣] الشَّدْخُ[٧]: الكَسرُ والغَمْزُ، والمُشَدَّخُ: هو بُسْرٌ يُغمَزُ ويُيَبَّسُ للشِّتاءِ.

[٣٨٤] الدُّلْبُ[٨] ـ بالضمّ ـ: الصِّنارُ.

[٣٨٥] قوله ﷺ: «فتحتبس الحرارة الغريزيّة»[٩] يدلّ على أنّ الحرارة

---

(١) الصفحة ١٨٩، السطر ٧.

(٢) الصفحة ١٨٩، السطر ٨. و الشّقا و الشّقاء كلاهما مصدر شقيَ.

(٣) الصفحة ١٩٠، السطر ٦.

(٤) الصفحة ١٩١، السطر ٢.

(٥) القاموس المحيط ٤: ١٤٧.

(٦) الصفحة ١٩٢، السطر ١.

(٧) الصفحة ١٩٢، السطر ٣.

(٨) الصفحة ١٩٢، السطر ٩.

(٩) الصفحة ١٩٢، السطر ١٣.

الغريزيّة لا تختصّ بالحيوان، بل تُوجَدُ في النبات أيضاً كما صرّح به جماعة من المحقّقين.

[٣٨٦] يقال: رَصَفْتُ[١] الحِجارةَ في البناءِ رَصْفاً، أي ضَمَمْتُ بعضَها إلى بعضٍ.

[٣٨٧] استَحْصَفَ[٢]: استَحْكَمَ.

[٣٨٨] التَّذَرُّعُ[٣]: كَثرةُ الكلامِ والإفراطُ فيهِ.

[٣٨٩] قال الفيروزآبادي: اليَقْطِينُ[٤]: ما لا ساقَ لهُ من النّباتِ ونحوِهِ[٥].

[٣٩٠] القَصْفُ[٦]: الكَسْرُ.

[٣٩١] قال الجوهري: الجِرْوُ[٧] والجُرْوُ والجَرْوُ: وَلَدُ الكلبِ والسِّباع، والجمعُ أَجْرٍ - وأصله أَجْرُوٌ على أَفْعُل - وجِراءٌ، وجمع الجِراءِ أَجْرِيَةٌ، والجِرْوُ والجِرْوَةُ: الصَّغيرُ من القِثّاءِ، انتهى[٨].

[٣٩٢] الحَمَارَّةُ[٩] - بتخفيف الميم وتشديد الراء وقد يُخفَّفُ في الشعر -: شِدَّةُ الحرِّ.

---

(١) الصفحة ١٩٣، السطر ٨.
(٢) الصفحة ١٩٤، السطر ٣.
(٣) الصفحة ١٩٤، السطر ٥.
(٤) الصفحة ١٩٤، السطر ٧.
(٥) القاموس المحيط ٤: ٢٦٠.
(٦) الصفحة ١٩٤، السطر ١٠.
(٧) الصفحة ١٩٤، السطر ١٣.
(٨) الصحاح ٦: ٢٣٠١.
(٩) الصفحة ١٩٥، السطر ٢.

[٣٩٣] في الأساس: مالي أراك تشرح[(١)] إلى كلّ رتبة؛ وهو إظهار الرغبة إليها[(٢)].

[٣٩٤] وفيه [أي في الأساس]: هو شَرِهُ[(٣)] العَينِ: يطمعُ في كُلِّ ما يَراهُ يرمي نفسه عليه ويتمنّاه، انتهى[(٤)].

[٣٩٥] اسْتَوْخَمَهُ[(٥)]: لم يَجِدهُ مَرِيئاً موافِقاً.

[٣٩٦] المَغَبَّةُ[(٦)]: العاقِبَةُ.

[٣٩٧] قوله عليه السلام: «ليصلح»[(٧)] بيانٌ لما يتحصَّلُ ممّا مرّ لا للمتانَةِ[(٨)] فقط.

[٣٩٨] النَّزْفُ[(٩)]: النَّزْحُ.

[٣٩٩] قوله عليه السلام: «هب الإنسان»[(١٠)] أي سلَّمْنا أَنّه كذلك.

[٤٠٠] الحُصْرُ[(١١)] ـ بالضمّ ـ: اعتقالُ البَطْنِ.

[٤٠١] السُّوقَةُ[(١٢)] ـ بالضمّ ـ: الرعيّةُ؛ للواحد والجمع والمذكّر والمؤنّث.

[٤٠٢] الغُلْفُ ـ بضمّة، وبضمّتين، وكرُكَّع ـ: جمعُ غِلافٍ.

---

(١) الصفحة ١٩٥، السطر ٣.

(٢) انظر أساس البلاغة: ٢٢٧. وفيه: «كلّ دنيّة» بدل «كلّ رتبة».

(٣) الصفحة ١٩٥، السطر ٦.

(٤) لم اجده في مظنه من الأساس.

(٥) الصفحة ١٩٥، السطر ٦.

(٦) الصفحة ١٩٥، السطر ٦.

(٧) الصفحة ١٩٦، السطر ٤.

(٨) في قوله «وفيه مع ذلك متانة ليصلح»، الصفحة ١٩٦، السطر ٤.

(٩) الصفحة ١٩٧، السطر ١.

(١٠) الصفحة ١٩٧، السطر ٦.

(١١) الصفحة ١٩٧، السطر ٨.

(١٢) الصفحة ١٩٨، السطر ٣.

[٤٠٣] الزِّبلُ[١] ـ بالكسر ـ: السَّرْقِينُ.

[٤٠٤] قال الفيروزآبادي: السَّمادُ[٢]: السِّرْقِينُ برمادٍ[٣]. وقال الجزري: هو ما يُطرَحُ في أُصول الزَّرعِ والخُضَر من العَذِرَةِ والزِّبْلِ ليَجُودَ نباتُهُ[٤].
أقول: يدلُّ ظاهراً على جواز استعمال العَذِراتِ النَّجِسة في ذلك، وربَّما يُستَدَلُّ به على تَطهيرِ الاستحالةِ.

[٤٠٥] قوله عليه السلام: «للاسم الأقدم»[٥] لعلَّ المرادَ بالاسم المُسمَّى، أو المراد الاسمُ الّذي أظهره وأثبته في اللَّوحِ قبل سائر الأسماء، أو المراد الاسم الّذي يَخُصُّ الذّاتَ، فهو أسبقُ الأسماءِ في الاعتبارِ وأَشرفُها كما يظهر من الآثارِ.

[٤٠٦] قوله: «والغيب المحظور»[٦] أي الممنوع عن غيره تعالى إلّا من ارتضاه لذلك.

[٤٠٧] قوله: «بالعَرَض»[٧]، قال الفيروزآبادي: عَرَضَ الشَّيءُ: ظَهَرَ... والعَرْضُ: أَن يَمُوتَ الإنسانُ من غَيرِ عِلَّةٍ[٨].

[٤٠٨] الاجتياحُ[٩]: الاستِئصالُ.

---

(١) الصفحة ١٩٨، السطر ٧.

(٢) الصفحة ١٩٨، السطر ٩.

(٣) انظر القاموس المحيط ١: ٣٠٣.

(٤) النهاية الأثيرية ٢: ٣٩٩.

(٥) الصفحة ٢٠١، السطر ٣ ـ ٤.

(٦) الصفحة ٢٠١، السطر ٥.

(٧) الصفحة ٢٠٢، السطر ٩.

(٨) انظر القاموس المحيط ٢: ٣٣٤.

(٩) الصفحة ٢٠٣، السطر ٨.

[٤٠٩] قوله عليه‌السلام: «ويلذع»[١] يقال: لَذَعَتْهُ النّار، أي أَحْـرَقَتْهُ، ولَـذَعَهُ بِلِسانِهِ أي أَوْجَعَهُ بكلامٍ. وفي بعض النسخ بإهمال الأوّل وإعجام الثاني من لَدْغِ العَقْربِ.

[٤١٠] يقال: رَثَيْتُ[٢] لِفُلانٍ، أي رَقَقْتُ لهُ.

[٤١١] المَضَضُ[٣] ـ مُحرَّكة ـ: وَجَعَ المُصِيبَةِ.

[٤١٢] قوله عليه‌السلام: «إذا كان يكون غير محمود»[٤] يـمكن أن يـقرأ «إذاً» بالتنوين وبدونها. وعلى الثاني يكون خبر «كان» مـحذوفاً، أي إذا كـان الإنسان كذلك.

ثمّ اعلم أنّه ينبغي أن تُحمَلَ العِصمةُ المأخوذةُ في السؤال على غير المعنى المشهور الذي سيأتي تحقيقه في باب عصمة الأئـمّة عليهم‌السلام، بـل المرادُ العصمةُ بمعنى الإلجاءِ الذي لم يَبْقَ معه اختيارٌ، ولذا فَرَّعَ عليه‌السلام عليه عَدمَ استحقاقِ الثَّواب، وإلّا فالعصمةُ التي اتَّصفَ بها الأَنبياءُ والأئمّةُ عليهم‌السلام لا ينافي ذلك كما سنحقّقه في مقامه إن شاء الله تعالى.

ويمكن أن يقال ـ على تقدير أن يكون المراد هذا المعنى أيضاً ـ بأنّه إذا صار هذا عامّاً في جميع البشر لا يتأتّى في بعض الموادّ التي لا تستحقّ ذلك من نفوس الأشرار والفجّار إلّا بالإلجاءِ الرّافعِ للاستحقاقِ.

---

(١) الصفحة ٢٠٣، السطر ١٠.

(٢) الصفحة ٢٠٤، السطر ٧.

(٣) الصفحة ٢٠٤، السطر ٨.

(٤) الصفحة ٢٠٥، السطر ٣.

[٤١٣] قوله ﷺ: «إلى غاية الكلب والضراوة»[١]، قال الجوهري: دَفَعْتُ عنكَ كَلَبَ فُلانٍ، أي شَرَّهُ وأذاهُ، والكَلَبُ أيضاً شَبيهٌ بالجُنونِ[٢]، وقال: ضَرِيَ الكَلْبُ بالصَّيدِ ضَراوةً، أي تَعَوَّدَ[٣].

أقول: لمّا كان السؤال مبنيّاً على فرض العِصمةِ ظاهراً فتصحيح هذا الجواب في غاية الإشكال، وخَطَرَ بالبالِ وُجُوهٌ:

الأوّل: أن لا يكون السُّؤالُ مبنيّاً على فرض العصمة، بل يكون المرادُ أنّه لمّا ذكرتَ أنّ العصمة تُنافي الاستحقاقَ فنقول: لِمَ لَمْ يبذُلْ لهم الثوابَ على أيّ حال بأن يكلّفهم العملَ ليستحقّوا الثواب إن أرادوا استحقاقه وإلّا أَعطاهم من غيرِ استحقاق؟ إذ كثيرٌ من النّاسِ يطلبونَ النَّعيمَ بغيرِ استحقاقٍ، فلا يكونُ عليهم في الدُّنيا والآخرةِ سَخَطٌ على المخالفة، وعلى هذا الجواب ظاهرُ الانطباقِ على السُّؤال كما لا يخفى.

الثاني: أَن يكون السُّؤال مبنيّاً على فرض العصمة في بعضهم، وهم الذين يطلبون الثواب ولا يريدون استحقاقه كما هو ظاهر السياق، ويكون حاصل الجواب: أنّه لو كان المجبورُ على الخيراتِ مُثاباً فمُقتضى العدلِ أن يكون غيرُ المجبور الطالبُ للخير والاستحقاق غيرَ معاقَبٍ على حال، وإلّا لكان له الحجّة على ربّه بأنّك لم تعصمني كما عَصَمْتَ غيري، ومنعتَ عنّي اللُّطفَ بالبلايا والصَّوارفِ عن المعاصي في الدُّنيا ثمّ تعذّبني على المعاصي، فعلى هذا فلو فعل غيرُ المعصومين ذلك لدعتهُمُ

---

(١) الصفحة ٢٠٦، السطر ٣.

(٢) الصحاح ١: ٢١٤.

(٣) الصحاح ٦: ٢٤٠٨.

الدَّواعي النفسانيّة إلى غاية الفساد، وهذا وجهٌ وجيهٌ لكن يحتاجُ إلى طيِّ بعضِ المقدّمات.

الثالث: أن يكون السُّؤال مبنيّاً على ذلك الفرض أيضاً، لكن يكون الجواب مبنيّاً على أنّه قد يستلزم المحالُ نقيضَهُ، إذ الكلام في هذا النَّوعِ من الخلق المسمّى بالإنسان الّذي اقتضت الحكمة أن يكون قد رُكِّبَتْ فيه أنواع الشهوات والدواعي، فلو فَرضْتَهُ على غير تلك الحالة لكان من قبيل فرض الشيء إنساناً ومَلَكاً وهما لا يجتمعان، فعلى هذا يلزمه أيضاً لِفَرضِ كونه إنساناً أن يدعوَهُ عدمُ خوفِ العِقابِ والفراغُ إلى الأَشَرِ والبَطَرِ وأنواعِ المعاصي، وحاصله يرجع إلى تغيير الجواب الأوّل إلى جواب آخر لا يَرِدُ عليه السُّؤالُ على غايةِ اللُّطفِ والدِّقَّةِ.

[٤١٤] الرَّدْعُ(١): الكَفُّ والمَنْعُ.

[٤١٥] قوله: «يغتبطون»(٢) على البناء للفاعل؛ من الاغْتِباطِ وهو حسن الحال بحيث يتمنّى غيرُهُ حالَهُ.

[٤١٦] الحضُّ(٣): الحثُّ والتَّحريضُ.

[٤١٧] تَمحيصُ الأَوزارِ(٤): تَنقِيصُها أَو إزالتُها.

[٤١٨] قوله عليه السلام: «فإن قال: ولم يحدث على الناس؟»(٥)

---

(١) الصفحة ٢٠٧، السطر ٣.

(٢) الصفحة ٢٠٧، السطر ٦.

(٣) الصفحة ٢٠٧، السطر ٧.

(٤) الصفحة ٢٠٧، السطر ١٣.

(٥) الصفحة ٢٠٨، السطر ٣. والذي أثبتناه في المتن «فإن قال قائل ولِمَ تحدث على الناس».

أقول: لمّا كان آخرُ الكلامِ مُوهِماً لأَنَّ هذهِ الأُمورَ بعد حُدوثِها يُصيِّرُها الله تعالى إلى الحكمة والصلاح، سأل ثانياً: ما السبب في أصل الحُدُوث حتّى يحتاج إلى أن يجعله الله صلاحاً؟

ويحتمل أن يكون مراده: أنّا علمنا أنّ في وجودها صَلاحاً، فهل في عدمها فساد؟ والجواب على التقديرين ظاهر.

[٤١٩] قال الفيروزآبادي: عَوِزَ[١] الشّيءُ ـ كفَرِحَ ـ: لم يُوجَدْ... وأَعْوَزَهُ الشَّيْءُ: احتاجَ إليه، والدَّهْرُ: أَحْوَجَهُ[٢].

[٤٢٠] وقال [الفيروزآبادي]: تَناشَبُوا[٣]: تَضامُّوا وتَعَلَّقَ بعضُهُم ببعضٍ، ونَشِبَهُ الأَمْرُ كَلَزِمَهُ زنةً ومعنًى[٤].

[٤٢١] وقال [الفيروزآبادي]: أَفْرَجُوا[٥] عن الطَّريقِ والقَتيلِ: انكَشَفُوا، وعن المكان: تَرَكُوهُ، انتهى[٦]. والمرادُ هنا عدمُ التَّخليةِ بينَ أحدٍ وبينَ ما يُريدُهُ.

[٤٢٢] قوله عليه السلام: «ولا سلا عن شيء»[٧] أي لا يَنْسى ويَتَسلّى عن شيء من المصائب؛ إذ بتذكُّرِ الموتِ تَزولُ شدّةُ المِحَنِ، من قولهم: سلا عنِ الشّيء، أي نَسِيَهُ.

---

(١) الصفحة ٢٠٩، السطر ٢.

(٢) القاموس المحيط ٢: ١٨٤.

(٣) الصفحة ٢٠٩، السطر ٣.

(٤) القاموس المحيط ١: ١٣٢.

(٥) الصفحة ٢٠٩، السطر ٦.

(٦) القاموس المحيط ١: ٢٠٣.

(٧) الصفحة ٢٠٩، السطر ٦ ـ ٧.

[٤٢٣] قال الجوهري: بَزَّهُ يَبُزُّه بَزّاً: سَلَبَهُ، وفي المثل: «مَن عَزَّ بزَّ»[١] أي مَن غَلَبَ أَخَذَ السَّلَبَ[٢].

[٤٢٤] وقال [الجوهري]: سامَهُ[٣] خَسْفاً وخُسْفاً ـ بالضمّ ـ أَي أَولاهُ ذُلّاً[٤].

[٤٢٥] قال الفيروزآبادي: لَمَعَ[٥] بِيَدِهِ: أَشار[٦].

[٤٢٦] وقال [الفيروزآبادي]: تَفاقَمَ[٧] الأَمرُ: عَظُمَ[٨].

[٤٢٧] قوله عليه السلام: «وبخت نصّر بالتيه»[٩]. أقول: لعلّه إشارةٌ إلى ما ذكره جماعة من المؤرّخين أنّ مَلَكاً من الملائكة لَطَمَ بُخْتَ نصّر لطمةً ومسخه وصار في الوحش في صورة أسد وهو مع ذلك يعقل ما يفعله الإنسان، ثمّ ردّه الله تعالى إلى صورةِ الإنس وأعاد إليه مُلْكَه، فلمّا عاد إلى مُلكِهِ أراد قتل دانيال فقتله الله على يدِ واحدٍ من غِلْمانهِ، وقيل في سبب قتله: إنّ الله أرسل عليه بَعُوضةً فدخلت في منخره وصعدت إلى رأسه، فكان لا يقرّ ولا يسكن حتّى يَدُقَّ رأسَهُ، فمات من ذلك.

---

(١) الصفحة ٢١٠، السطر ١١.
(٢) الصحاح ٣: ٨٦٥.
(٣) الصفحة ٢١٠، السطر ١٢.
(٤) الصحاح ٤: ١٣٥٠ مادة «خسف».
(٥) الصفحة ٢١١، السطر ٦.
(٦) القاموس المحيط ٣: ٨٢.
(٧) الصفحة ٢١٢، السطر ٣.
(٨) مقتضى العطف أن النصّ المنقول هو للفيروزآبادي، لكنّا لم نجده عنده، و وجدناه بنصّه في الصحاح للجوهري ٥: ٢٠٠٣.
(٩) الصفحة ٢١٢، السطر ٤.

[٤٢٨] بلبيس[١]: غيرُ معروفٍ عندَ المؤرّخين.

[٤٢٩] التَّطاوُلُ[٢] هنا مبالغةٌ في الطَّولِ بمعنى الفَضْلِ والإِحسانِ.

[٤٣٠] دُخْلَةُ[٣] الرَّجُلِ ـ مثلّثة ـ: نِيَّتُهُ ومذهبُهُ وجَميعُ أمرِهِ وبِطانَتُهُ.

[٤٣١] قوله عليه السلام: «والشاهد المحنة»[٤] أي بالشَّاهِدِ يُمكِن امتحانُ الغائبِ.

[٤٣٢] جاشَ[٥] البَحرُ والقِدْر وغيرُهُما يَجِيشُ جَيْشاً: غَلا.

[٤٣٣] قوله عليه السلام: «قال أصحاب الهندسة»[٦]. أقول: المشهورُ بين متأَخّريهم أنّ جِرْمَ الشَّمس مائةٌ وستّةٌ وستّون مِثْلاً ورُبْعٌ وثُمْنٌ لِجرْمِ الأرضِ، وما ذكره عليه السلام لعلّه كان مذهبَ قُدمائهم، مع أنّه قريبٌ من المشهور، والاختلافُ بين قدمائهم ومتأخّريهم في أمثال ذلك كثيرٌ.

[٤٣٤] قوله عليه السلام: «الحقّ الذي»[٧] أي الأُمورُ الحقّةُ الثّابتةُ التي تطلب معرفتها من بين الأشياء. وفي بعض النسخ: «لحَقّ» أي ما يَحِقُّ وينبغي أَن تُطلبَ معرفته من أحوال الأشياء هو أربعةُ أوجُهٍ.

[٤٣٥] قال الجوهريُّ: قولهم: لَقِيتُهُ في الفَرْطِ[٨] بعد الفَرْطِ، أي الحِينِ

---

(١) الصفحة ٢١٢، السطر ٥.

(٢) الصفحة ٢١٢، السطر ١٤.

(٣) الصفحة ٢١٣، السطر ٣.

(٤) الصفحة ٢١٣، السطر ٤.

(٥) الصفحة ٢١٧، السطر ٨.

(٦) الصفحة ٢١٨، السطر ٩.

(٧) الصفحة ٢١٩، السطر ٧.

(٨) الصفحة ٢٢١، السطر ١١.

بعدَ الحينِ[١].

[٤٣٦] الصَّدَى[٢] ـ بالفتح ـ: العَطَشُ.

ثمّ اعلم أنّ بعض تلك الفقرات تومئُ إلى تـجرّد النـفس، والله يـعلم وحججه صلوات الله عليهم أجمعين.

---

(١) الصحاح ٣: ١١٤٨.

(٢) الصفحة ٢٢٤، السطر ٥.

الفهارس الفنيّة

فهرس الآيات القرآنيّة

فهرس الأحاديث

* احاديث رسول الله ﷺ :

* احاديث الإمام الصادق عليه السلام :

*** احاديث الإمام الصادق عليه السلام :**

*** احاديث الإمام الصادق عليه السلام :**

* احاديث الإمام الصادق عليه السلام :

*** احاديث الإمام الصادق عليه السلام :**

*** احاديث الإمام الصادق ﷺ :**

*** احاديث الإمام الصادق عليه السلام :**

* احاديث الإمام الصادق عليه السلام :

* احاديث الإمام الصادق عليه السلام :

فهرس الأعلام

فهرس المذاهب والطوائف

فهرست المطالب